موجـــز
التاريـــخ السّياســيّ القديم
لجنوب شبه الجزيرة العربية
(اليمن القديـــم)

الدكتورة : أسمهـــان سعيــد الجـــرو
أستـاذ التاريخ القديم المشارك
كليـة الآداب "جامعــة عــدن"
أستاذ زائر بكلية الآداب
جامعة اليرموك "المملكة الاردنية الهاشمية"

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(١٩٩٦/٤/٥٥٦)

رقم التصنيف: ٩٥٦,٧

المؤلف ومن هو في حكمه: اسمهان سعيد ابو بكر الجرو

عنوان المصنف: موجز التاريخ السياسي لجنوب شبه الجزيرة العربية

الموضوع الرئيسي: ١- التاريخ والجغرافيا

٢-شبه الجزيرة العربية - تاريخ

رقم الايداع: (١٩٩٦/٤/٥٥٦)

بيانات النشر:

*-تم اعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

يطلب من

مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية

اربد- الاردن تلفاكس ٢٧٠١٠٠ ص. ب ١٢٨٤

الإهداء :

إلـــى والـديّ الحبيبـــين

عرفانـــاً وامتنانـــاً

المقدمة

إنّ للطبيعة الجغرافيّة لليمن القديم، أثراً كبيراً وفعالاً في طبع الحضارة اليمنيّة بطابع خاص متميّز؛ بل إنّه ليصعب تفسير بعض المقوّمات الحضاريّة بمعزل عن معرفة الظروف الطبيعيّة التي تهيّأت للإنسان ودفعته إلى التفكير والإبداع والأخذ بأسباب التجديد والتطوير.

فاليمن القديم يتميّز بمميّزات طبيعيّة قلّما توافرت لغيره من البلدان، فإذا ألقينا نظرة فاحصة على الخريطة التاريخيّة لليمن القديم، لراعنا الموقع الاستراتيجيّ الذي يحتلّه، والّذي كان له عظيم الأثر على المستوى العالمي فاليمن القديم يتوسط ثلاث قارات كانت مهد الحضارات منذ القدم، هي: آسيا شرقاً، وأفريقيا غرباً، واوربا شمالاً . فهو بمثابة البوّابة الجنوبيّة للعالم القديم، ويجاور أخصب بقاع العالم كالهند، وشرق أفريقيا الغنية بمنتوجاتها المرغوبة آنذاك. ذلك الموقع جعل قدماء اليمنيّين يقومون بدور التاجر، حيث كانوا يتاجرون بمالديهم من سلع مقدّسة كاللبان والمر... ويقومون أيضاً بدور الوسيط التجاري بين اوروبا وجنوب شرق آسيا، وشرق أفريقيا والعكس.

لقد تحكّمت الممالك اليمنيّة –منذ الألف الأول ق.م– من جراء ذلك الموقع بطرق القوافل البريّة، تلك الطّرق التي تبدأ من الموانئ الجنوبيّة لليمن القديم، مروراً بالمستوطنات الرئيسيّة، والمراكز التجاريّة في وسط وشمال شبه الجزيرة العربيّة، متّجهة إلى حوض البحر المتوسط، لتقوم بتفريغ منتجاتها، وجلب منتجات أخرى. كما كان لها نفوذ على الملاحة البحريّة.

وكان لذلك الاتصال الاقتصاديّ والتفاعل الحضاريّ دوراً هاماً في اكتسابه أفكار وثقافات جديدة أثّر فيها وتأثّر بها.

فإلى جانب الموقع الاستراتيجيّ نجد ان للمناخ المتنوّع والتراكيب الجغرافيّة من جبال وسهول وأودية وهضاب... إنعكاساً على تنوّع المنتجات الزراعيّة...

ناهيك عن أن الإنسان اليمنيّ القديم لم يستسلم للطبيعة البته؛ بل راح يتلمّس طريقه، وينمّي قدراته مكتسباً مهارات جديدة في استثمار الأرض. ففي الوقت الّذي كان يحاول فيه استنباط اسلوبه الزراعي، وتحسين عدّة وأدوات عمله، كان عليه أن يهيّمن على المياه ويسيطر على تدفّقها؛ ليتفادى منها الطغيان والنقصان، وأن يردّ عنه خطر الفيضان، فأقام شبكات الري المتنوعة من سدود واقنيّة لصرف المياه والترع اللازمة للسقي، وحفر الآبار، وبنى الصهاريج ليحقق من ذلك كله سيطرته على الأرض، واستثمار خيراتها الطّائلة؛ وفق أسس منهجية وأصول علميّة.

ويقف وراء ذلك الازدهار الحضاري كثافة سكانيّة وأجهزة إداريّة مشدودة إلى العقيدة الدينيّة بروابط وثيقة، مدعومة بنسبية من الهدوء والاستقرار، وما كان يسود بين الفينة والأخرى من علاقة الوئام بين الممالك اليمنيّة المتجاورة، كل هذا أعطى فرصة للانصراف إلى العمران، والصناعة، واستخراج المعادن والكتابة... ونتيجة لذلك سنّت القوانين والشرائع الاقتصاديّة المنظّمة للحياة بمختلف مجالاتها آنذاك.

وبفضل تلك الطبيعة، وذلك النشاط البشريّ اللامحدود، سطع نجم اليمن القديم (العربية السعيدة) عالياً، واصبح محط أطماع الدول الكبرى آنذاك (فارس وروما)، بل واصبح هدفاً استراتيجياً لهما، ولم يهدأ روعها حتى نالتا منه، فمارستا كلّ الأساليب والسبُل لتحقيق تلك الغاية، وتمكنتا من تفتيت عرى ذلك الصرح العريق، إلى أن جاء الإسلام وأعاد لليمن هيبته، ومكانته العالميّة المتميّزة.

لقد أعتمدنا -في هذا الكتاب- على المصادر النقشيّة والأثريّة بصورة أساسيّة، كما أفادتنا الدراسات الحديثة للعلماء المختصيّن بدراسات اليمن القديم -بمختلف اللغات- والتي أستقت معلوماتها من النقوش ومن نتائج التنقيبات الأثريّة الحديثة، كما اعتمدنا كثيراً على نتائج التنقيبات الأثريّة التي نشرت -بمختلف اللغات- على شكل تقارير أوليّة. وشكّلت المصادر العربيّة الإسلاميّة منهلاً لمقدار كبير من المعلومات الضروريّة. وقد أفردنا الفصل الثالث من الكتاب، لدراسة كل مايتعلق بمصادر تاريخ اليمن القديم.

وتجبُ الإشارة هنا إلى أنّ دراسة التاريخ السياسيّ لليمن القديم متسعة للغاية، ومهما تمَّ بحثه من بعض الجوانب يظلّ الغموض يكتنف جوانب أخرى، مالم تقدم البعثات الأثريّة معطيات جديدة لنا.

فكل ماسنقدّمه من موضوعات في هذا الكتاب تظلّ موجزة، وأملنا في أن يحقق هذا الكتاب الغاية المرجوّة، وان يكون مرجعاً مفيداً لطلاب التاريخ في المرحلة الجامعية، نظراً لما يغطّيه من مفردات مقرّرة عليهم، ويرسّيهم على أساس من المعرفة، تسمح لهم في المستقبل بالتّوسّع في دراسة التاريخ السياسي لليمن القديم، بشكل أكثر تفصيلاً.

ويتضمن مخطط البحث ما يلي:

- **المقدّمة.**

الجزء الأوّل: عبارة عن مدخل لدراسة تاريخ اليمن القديم ويشمل خمسة فصول :

الفصل الأول: يبحث المقومات الطبيعيّة لنمو وازدهار الحضارة اليمنيّة. (التكوين الجيولوجي، التضاريس، المناخ).

الفصل الثاني: عصور قبل التاريخ في اليمن القديم: (العصور الحجريّة، فرضيات حول عصور قبل التاريخ في اليمن، ونماذج من مواقع أثريّة تعود للعصور الحجريّة).

الفصل الثالث: مصادر دراسة تاريخ اليمن القديم: (النقوش، الآثار، المصادر الدينيّة، المصادر الكلاسيكيّة والأدبيات العربيّة).

الفصل الرابع: البحث عن النقوش واكتشاف الآثار في اليمن: (تاريخ الاهتمام بآثار وحضارة اليمن القديم، البحث عن النقوش، والتنقيبات الأثريّة).

الفصل الخامس: نظريات حول:

(أ) التسلسل التاريخي لأدوار التاريخ اليمني القديم.

(ب) الموطن الأوّل للسّبايين.

الجزء الثاني: ويتناول (العصر الأوّل من التاريخ السياسي لليمن القديم) "حضارة صيهد". ويشمل:

الفصل الأوّل: مدخل إلى العصور التاريخيّة.

-دولة سبأ:

(أقدم ذكر لدولة سبأ، أرض سبأ، أشهر مكارب وملوك الدولة السبأيّة وآثار دولة سبأ).

الفصل الثاني: دولة حضرموت:

(موقعها الجغرافي، حضرموت في المصادر، الوضع السياسي والاقتصادي لحضرموت مع بداية الميلاد، وآثار دولة حضرموت).

الفصل الثالث: دولة قتبان:

(الموقع الجغرافي، التكوين السياسي، نظام الحكم في دولة قتبان، أشهر ملوك القتبانيين، انهيار دولة قتبان، وآثار قتبان).

الفصل الرابع: دولة أوسان:

(التكوين السياسي، الصراع السبأي - الأوساني في القرن السابع ق.م، تطورات الأحداث بعد انتصار السبأيّين على الأوسانيين، أوسان تستعيد نشاطها، نشاط أوسان الاقتصادي، نهاية دولة أوسان سياسيّاً، وآثار أوسان).

الفصل الخامس: دولة معين:

(الموقع الجغرافي، أيهما أقدم معين أم سبأ؟، التكوين السياسي لدولة معين، النشاط الاقتصاديّ، النهاية السياسيّة لمعين، وآثار معين).

الجزء الثالث: يتحدث عن العصر الثاني من التاريخ السياسي لليمن القديم حضارة القيعان في المرتفعات الغربيّة).

الفصل الأوّل: ويبحث الأوضاع الدوليّة قبيل ميلاد "يسوع" عليه السلام وأثرها على مجريات الأحداث في اليمن القديم. يتطرق هذا الفصل: (للحملة الرومانية على جنوب شبه الجزيرة العربية، ولانتعاش الملاحة البحريّة، وللأوضاع الداخلية للكيانات السياسيّة، ومن ثم لبروز دولة حمير أو (بني ذي ريدان).

الفصل الثاني: دولة سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة:

اولاً: مَنْ أوّل من تلّقب بلّقب ملك سبأ وذي ريدان؟ هل هم ملوك سبأ أم ملوك حمير؟ كما يتناول: الصدام العسكري بين الكيانين السبأي والريداني، أقيال يصلون إلى سدة الحكم في مأرب، تشعب الصراع العسكري ودخول الأحباش طرفاً فيه، سياسة (شعر اوتر) ملك سبأ مع الأحباش وبدولة حضرموت، ويتطرق لسياسة الملك السبأي (إلى شرح يحضب الثاني ولعلاقته مع ملك حمير ومنافسه العنيد (شمر يهحمد).

الفصل الثالث: دولة سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة (شمر يهرعش المؤسس الأول للدولة المركزيّة، ثم يبحث تاريخ الأطماع الحبشيّة في اليمن، والدور السياسي لليزنيين وللأعراب في تثبيت دعائم الدولة الجديدة، ومن ثم يتناول التحوّلات الدينيّة وأثرها على الوضع السياسي للمنطقة).

الجزء الرابع: اليمن إبّان القرن السادس الميلادي.

وهو الجزء الأخير من الكتاب، ويشمل ستة فصول:

الفصل الأوّل: الأوضاع الدوليّة وأثرها على اليمن ويتناول: الأحوال الداخليّة للكيانات السياسية.

الفصل الثاني: ويبحث وصول الملك يوسف أسأر يثأر إلى الحكم بلقب (ملك كل الشعوب)، وسياسته الداخليّة.

الفصل الثالث: "حديثنا هنا يتركّز حول الغزو الحبشي لليمن: (الحملة الأولى، والحملة الثانيّة وهزيمة القوات اليمنيّة ثم يبحث أسباب تلك الهزيمة).

الفصل الرابع: اليمن تحت السيادة الحبشيّة:

الملك سميفع أشوع: ملك صوري، استيلاء أبرهة على الحكم، السياسة الداخلية والخارجية لأبرهة).

الفصل الخامس: ثورة سيف بن ذي يزن:

(المقاومة ضد الغزو الحبشيّ، سيف يبحث عن سند دولي، انتصار سيف بمساندة الفرس وتولّيه الحكم).

الفصل السادس: خضوع اليمن لسيادة الفارسيّة حتى مجيء الإسلام.

وفي ختام هذه المقدمة أسجّل شكري وامتناني الصادقين لجميع من عاونني معونة مخلصة في إخراج هذا الكتاب إلى النور بعد سنوات من العمل والجهد وأخص بالذكر:

١. **الدكتور (كريستيان روبان Christian Robin):** باحث بالمركز القومي للبحوث العلميّة (CNRS) وأستاذ بجامعة (أكس آن بروفانس Aix - en - Provence) بفرنسا، والمعروف بنشاطه العلمي اللامحدود، نشرت له عدد من الدراسات العلميّة القيّمة والخاصة بتاريخ وحضارة اليمن القديم، أدين له بالفضل الكبير في كل المعلومات الجديدة التي تبحث تاريخ اليمن القديم باللّغات الأجنبية، فهو بمثابة معين لاينضب، ظلّ يمدّني طيلة سنوات –منذ حصولي على الدكتوراة على يديه عام ١٩٨٦م (جامعة السربون) وحتى الآن– بكل دراسة جديدة له ولغيره من العلماء المختصّين بتاريخ وحضارة اليمن القديم.

٢. **الدكتور تقي الدبّاغ:** أستاذ الآثار القديمة، بقسم الآثار في كلية الآداب بجامعة بغداد (سابقاً). ألّف عدة كتب في موضوع اختصاصه وله عشرات البحوث باللغة العربيّة والانجليزيّة، تقاعد ويشغل الآن وظيفة أستاذ التاريخ القديم بكلية الآداب في (جامعة عدن) بالجمهورية اليمنيّة.

لقد راجع الدكتور (تقي) الكتاب دون كلل، وأبدى ملاحظات قيّمة، واقتراحات أفادتني إفادة كبيرة.

٣. **مركز خليج عدن للكمبيوتر**، لطباعته الكتاب وإظهاره بصورة لائقة.

وكلمة شكر لا بد منها للاستاذ والزميل علي محمد أسعد الذي قام بمراجعة مسودة الكتاب، وتنقيحها لغوياً.

لهم جميعاً وإلى زوجي وأفراد أسرتي كل تقدير وامتنان.

والله ولي التوفيق ،،،،

د. أسمهان سعيد الجرو

عدن، ١٨ سبتمبر ١٩٩٥

ابجدية حروف المسند وما يقابلها من

الحروف العربية الشمالية واللاتينية

عربي	مسند	لاتيني
أ		ʾ
ب		b
ت		t
ث		ṯ
ج		ǧ
ح		ḥ
خ		ẖ
د		d
ذ		ḏ
ر		r
ز		z
س		s s^{1}
ش		š s^{2}
سّ		ś s^{3}
ص		ṣ

عربي	مسند	لاتيني
ض		ḏ
ط		ṭ
ظ		ẓ
ع		ʿ
غ		ḡ ġ
ف		f
ق		q
ك		k
ل		l
م		m
ن		n
هـ		h
و		w
ي		y

١- نلاحظ أنّ الحروف الهجائيّة للّغة اليمنيّة القديمة (لغة النقوش) تكتب بأشكال مختلفة عند النسخ مثال: حرف (الباء) يكتب على شكل ( )، أو على شكل ( )، وحرف (الجيم) نجده يكتب في الغالب على شكل ( )، وفي بعض النقوش يكتب على شكل ( ) وهكذا بقية الحروف، والاختلاف في شكل كتابة الحروف الهجائية للغة المسند، يعود في الأساس إلى المرحلة التاريخيّة المواكبة للكتابة، ومع تطوّر الحياة الحضاريّة، نلاحظ تطوّر الكتابة، فتأخذ الحروف شكلاً أكثر تناسقاً وجمالاً.

٢- لقد استعمل العلماء عند كتابتهم للنقوش اليمنيّة -في بداية الأمر- الحروف العبريّة (أنظر مدوّنات النقوش) نظراً لأن أوائل المهتمّين بالدراسات اليمنيّة القديمة، كانوا من علماء اللّغة والتاريخ العبريّ والمسيحيّ، أمّا الإتجاه الحاضر فيقوم على أساس استعمال الحروف اللاتينيّة، والعربية كما هو مبيّن في الجدول. وقد اوردنا هنا طريقة النسخ الأكثر شيوعاً.

وتجب الإشارة إلى أن الفتحة تكتب (a) والضمة (u) والكسرة (i) والياء المكسورة (ī) والواو بالضمة يكتب (ū)، أمّا الألف الطويلة فتكتب على شكل (ā)، وكذلك الألف المكسورة (ả) وتكتب التاء المربوطة (a)، أمّا التاء المربوطة بعد الألف الطويلة فتكتب (a^t).

الجزء الأول

مدخل إلى تاريخ اليمن القديم

الفصل الأوّل: المقوّمات الطبيعيّة لنمو وازدهار الحضارة اليمنيّة.

الفصل الثاني: عصور قبل التاريخ في اليمن.

الفصل الثالث: مصادر دراسة تاريخ اليمن القديم.

الفصل الرابع: البحث عن النقوش واكتشاف الآثار في اليمن.

الفصل الخامس: نظريات حول:

(أ) التسلسل التاريخي لأدوار التاريخ اليمنيّ القديم.

"علم الكرونولوجيا Chronology"

(ب) الموطن الأوّل للسبأيّين.



الفصل الأول

المقومات الطبيعيّة لنمو وازدهار الحضارة اليمنيّة

أولاً: التكوين الجيولوجيّ.

ثانياً: التضـاريس.

ثالثاً: المنـــاخ.

الفصل الأوّل

المقوّمات الطبيعيّة لنمو وازدهار الحضارة اليمنيّة

أولاً: التّكوين الجيولوجي:

إنّ الإتجاهات الأساسيّة لدراسة الطبيعة الجغرافيّة لأي منطقة تستدعي معرفة تكوينها الجيولوجيّ، لما لذلك من تأثير بالغ على تضاريس ومناخ المنطقة.

وعند الحديث عن التكوين الجيولوجيّ لجنوب شبه الجزيرة العربيّة، لابدَّ من معرفة التّكوين الجيولوجيّ لشبه الجزيرة العربيّة بشكل عام، فهذا التكوين في الأساس عبارة عن جزء من الكتلة الآركيّة القديمة، التي تكوّنت من صخور ناريّة ومتحوّلة، تغطيها تراكمات من الصّخور الرّسوبيّة، المكونّة من الحجر الرّمليّ والجيريّ، ثم صخور بركانيّة مثل البازلت، والجرانيت، ثمّ يليها بعد ذلك طبقة مفكّكة من ترسّبات الوديان والقيعان الحديثة، والتّي يمثّل الطّين أهمّ وأحدث تكويناتها[1].

وعلى الرغم من صلابة القاعدة الآركيّة، إلا أنها لم تستطع مقاومة الحركات التكتونيّة ، فتعرضت للانكسارات التالية:[2]

---

[1]) خالص الأشعب: "اليمن دراسة في البناء الطّبيعيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ"، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، بغداد، ١٩٨٢م ص ٢٣.

[2]) المرجع نفسه، ص ٢٨،٢٦.

(أ) انكسارات رئيسيّة اتخذت إتّجاهات رأسيّة (شمالية - جنوبيّة) على البحر الأحمر، وأفقية (غربيّة - شرقيّة) على خليج عدن نتج عنها الصّدع المعروف بأخدود أفريقيا العظيم.

(ب) انكسارات ثانويّة متعدّدة.

بعد تلك الانكسارات أصبحت شبه الجزيرة العربية تشكّل أحد الالواح القاريّة المعروفة، إلى جانب أفريقيا التي تشكّل اللوح الثّاني المقابل للوح العربيّ، أمّا البحر الاحمر وخليج عدن فهما يشكّلان حدوداً بنّاءة بين اللوحين القاريّين، كما يمثّلان مرحلة مبكّرة في تكوين محيط بين كتلتين قاريتين تكويناتهما آركيّة قديمة.[1]

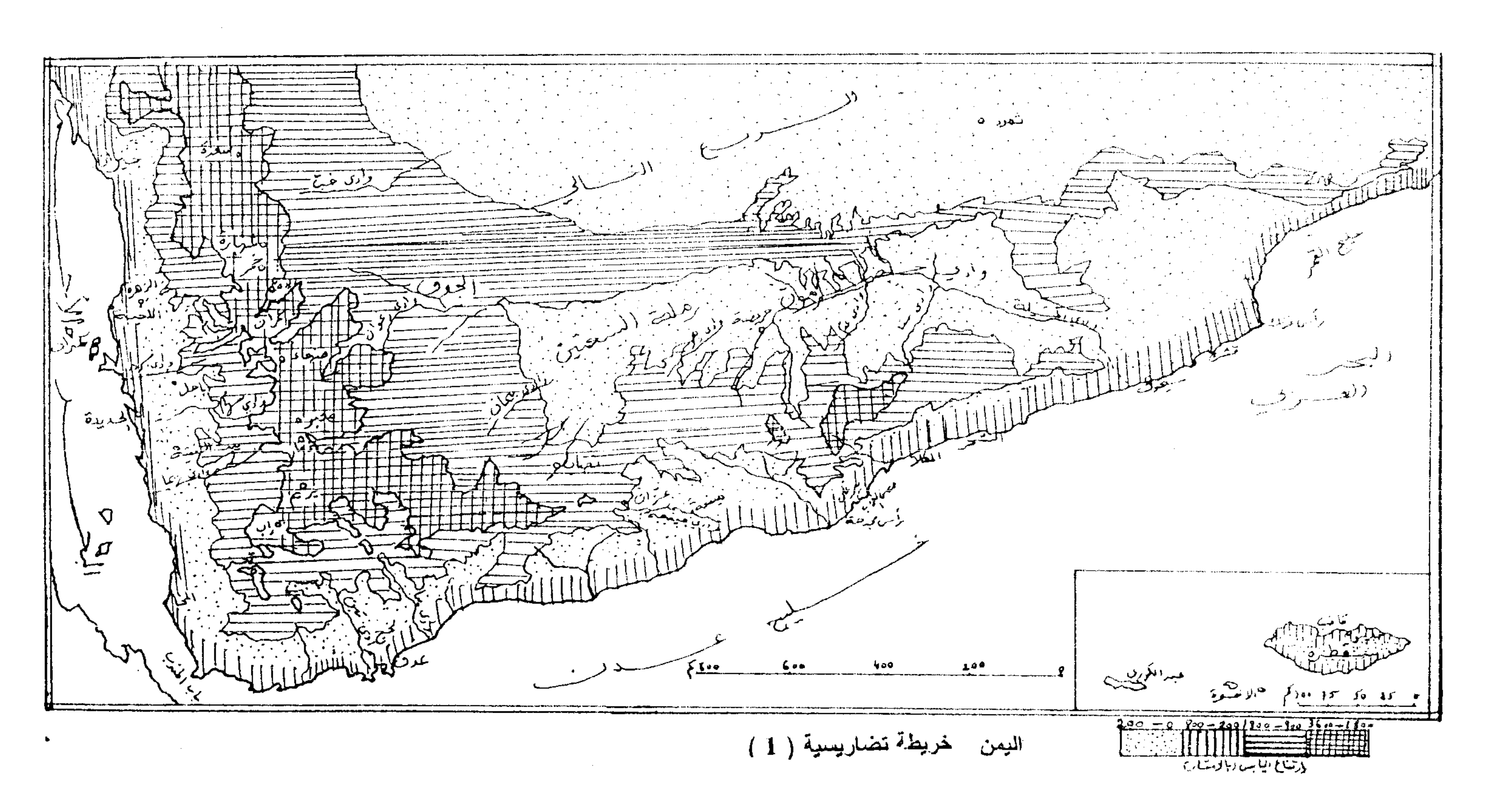
كما تعرّض الجزء الجنوبيّ من شبه الجزيرة العربيّة لثورات بركانية غطّت مساحات شاسعة من المنطقة، أحدثها يعود إلى الزّمن الجيولوجي الرّابع (حقبة البلاستوسين)، كما شهدت في فترات زمنيّة جيولوجيّة أخرى طغياناً بحرياً في مواقع مختلفة، تسبّب في ظهور بعض الجبال الالتوائية في مناطق التّراكم الرسوبيّ البحريّ.

ثانياً: التضاريس:

تنقسم التضاريس أو (طبغرافيّة) المنطقة إلى أربعة أقسام أساسية: (انظر الخريطة رقم ١) تنطوي تحت كل منها أقسام ثانوية. لقد أدت تلك الأقسام المتنوعة وظيفتها الطبيعيّة -وعلى أكمل وجه- في خلق الصّورة النهائية للمناخ والنبات وتوزيع السكان وأنماط معيشتهم أو أنشطتهم الاقتصاديّة، مما ساهم بشكل

---

[1]) محمد يوسف حسن واخرون: "أساسيات علم الجيولوجيا"، ط٣، نيويورك، ١٩٨٨، ص١٧٥.



اليمن خريطة تضاريسية (1)

فعّال في تحديد الملامح الحضاريّة لليمن القديم *. فالسطح -وبأشكاله المتنوّعة- يتكون من:

١- السّهول السّاحليّة.
٢- المرتفعات الغربيّة.
٣- الهضبة الشرقيّة.
٤- الحوض الانكساريّ.

١- السّهول السّاحليّة:

وهي تشمل السّهول الساحليّة الغربيّة، والسّهول السّاحليّة الجنوبية. فالسّهول السّاحليّة الجنوبية تمتد -على مدى السّاحل- من خليج عدن والبحر العربيّ شرقاً، وحتى خليج القمر عند رأس (ضربة عليّ) شرقاً، بمسافة تُقدَّر بسبعمائة وخمسين (٧٥٠) ميلا تقريبا[١]. أمّا في العهد القديم فقد كان الساحل الجنوبي لليمن يمتد حتى إقليم ظفار (عُمان).

ومن أهم السّمات الطوبوغرافيّة للسّهل السّاحليّ الجنوبي، قلّة أستمراريته مقارنة بالسّهل الغربي (تهامة). في بعض الخلجان الواسعة مثل: خليج القمر

---

* لقد فضّلنا استخدام اسم (اليمن القديم) عن اليمن فقط، فالحدود الجغرافية لليمن قديماً، كانت أشمل مما عليه الآن، وقد أطلق اليونان على جنوب شبه الجزيرة العربيّة (العربية السعيدة) وكانت حدودها في نظرهم تمتد من الخليج العربي شرقا، والبحر الأحمر غربا، والبحر العربي جنوبا وصحارى بلاد العرب شمالاً. أما المستشرقون فيطلقون على اليمن القديم (العربية الجنوبية). أما تسمية (يمن) فهي تسمية إسلامية ولايستبعد أن يكون الإسم قد أشتق من اسم (ي م ن ت) الذي ظهر في النقوش منذ نهاية القرن الثالث الميلادي ويقصد به الشريط الساحلي من حضرموت (الاسعاء) أو (الشحر) قديما. أما المؤرخون المسلمون فقد أطلقوا على البلاد الواقعة على يمين الكعبة (اليمن) أي الواقعة إلى الجنوب، وأطلقوا على البلاد الواقعة إلى شمال الكعبة (الشام) أي شمال الكعبة ومنهم من يرى أن أسمها مشتق من اليُمن أي البركة.

[١]) بلفقية عيدروس علوي: " جغرافية اليمن، دراسة أقليمية "، جـ١، ص٨ (دراسة لم تنشر).

(ظفار)، الأراضي السّاحليّة الواطئة التي تتسم بالاتساع والسلاسة، لكن في أماكن أخرى، نجد الهضبة تتصل بالبحر عبر انحدارات صخرية ومرتفعات شديدة الوعورة لاتترك مجالاً لأي مسلك إلى الداخل.[1]

وقد قامت على طول هذا السّاحل مجموعة من الموانئ التّاريخيّة الهامّة: كميناء (عدن) وميناء (قنا) وميناء (سمهرم) * أو (موشا) كما سماه الاغريقي، وفي مجمل هذه السهول تصبّ كثير من الأودية، أهمها: أودية (تُبَن) و (بِنا) و (ميفعه) و (حجر) وغيرها.

أما السّهول الغربيّة فيطلق عليها (تهامة)، وتسمية (تهامة) جاءت من الحرّ الشديد، أو الأرض المنخفضة، جاء ذكرها في النقوش بـ (ت هـ م ت)، فهي أرض ساحليّة صالحة للزراعة، موازية للبحر الأحمر، بعرض يتراوح بين ثلاثين إلى ستين ٣٠ - ٦٠ كم. ترتفع هذه السهول تدريجياً كلّما اتجهنا نحو الشرق حيث المرتفعات الساحليّة التي تفصل بين السّهل السّاحليّ والمرتفعات الغربيّة العاليّة، وأهم صفة طوبوغرافية لهذا الجزء من السطح: تقطعها إلى كتل جبلية تكاد تكون منّفصلة بواسطة الأودية العميقة والضيّقة والتي -غالباً- تنحدر بشدة متجهة إلى السّهول السّاحليّة[2] (البحر الأحمر، ومن أهم تلك الأودية: أودية مور، وسردد، وسهام، كما قامت على هذه الوديان العديد من المدن التّاريخيّة. أمّا الموانئ فأهمها: ميناء (موزع) القديم الذي جاء ذكره عند الكتّاب الكلاسيكيين، وميناء (المخا)، الذي ذكر في النقوش باسم (م خ و ن)[3] .

---

[1] -Willian C . Birce :" A Systematic Regional Geography", Volume VIII , South (- West Asia , London , 1966 , P.253

* سمهرم: اسم للميناء نفسه في النقوش، حاليا يسمى خور (روري).

[2]) الأشعب: المرجع السابق، ص ٣٢-٣٣.

[3]) الارياني ، مطهر عليّ: "في تاريخ اليمن نقوش مسنديّة وتعليقات "، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط٢، ١٩٩٠م، " نقش رقم ٢٨ "، ص ١٨٣.

(٢) المرتفعات الغربيّة:

تقع في القسم الغربيّ من هضبة اليمن بين المرتفعات السّاحليّة غرباً، والحوض الانكساريّ شرقاً، تمتد من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، يتراوح ارتفاعها ما بين الف وخمسماية (١٥٠٠) متر إلى ثلاثة آلاف (٣٠٠٠) متر، وفي هذا الاقليم يوجد أعلى جبال اليمن وهو جبل (حضور) أو جبل (النّبيّ شعيب)*، والذي يبلغ ارتفاعه ثلاثة آلاف وسبعمائة وستين متراً ٣٧٦٠م، بذلك فهو يحتل أعلى المرتفعات في شبه جزيرة العرب[١] إن هذا الأقليم عبارة عن كتلة هورستيّه (Horst) قافزة كانت تشكّل جزءاً من الكتلة الأثيوبيّة، التي انفصلت عنها بسبب الاخدود الأفريقي[٢] .

من أهم سمات هذا الاقليم إلى جانب الارتفاع، شدّة التّعقيد خاصة في أطرافه الغربيّة، مقارنة مع منحدرات أطرافه الشرقيّة الّتيّ تتصف بقلّة الوعورة، حيث تتدرّج صوب الصحراء وتنتهي بأخاديد الخور البلوريّة، التي يصل ارتفاعها إلى تسعة آلاف (٩٠٠٠) قدم، لتبدأ الهضبة الكلسيّة للجول حوالي (٣٠٠٠) قدم انخفاضا[٣] .

تشكّل هذه المرتفعات ملتقىً لسيول الأمطار التى تجلبها الرياح الموسميّة الجنوبيّة الغربيّة، والتي يصل معدلها السنويّ ما بين خمس وعشرين إلى أربعين (٢٥ إلى ٤٠) بوصة، في هذا الإقليم يمر خط تقسيم المياه الرئيس لليمن من الشمال الى الجنوب، وبصورة موازية للبحر الأحمر، وعلى مسافة منه تتراوح بين مائة وعشرين إلى مائة وخمسين (١٢٠-١٥٠) كم ممّا يجعل بالامكان تقسيم اليمن إلى

---

* جبل النبي شعيب، نسبة لقبر النبيّ شعيب بن مهدم، الذي يقع بقمته.

[١]) الأشعب: المرجع السابق، ص ٣٣.

[٢]) Brice : op . cit . - p . 250

[٣]) Ibid----

قسمين هيدرولوجيين رئيسيين: غربي وشرقي، إلى جانب نظامين قانونيين للتصريف جنوباً وشمالاً[1].

ويمكن ملاحظة الاتجاهات الرئيسيّة للأودية، أهمّها: تلك المتّجهة غرباً نحو السّهول السّاحليّة، وتلك المتجّهة جنوباً نحو خليج عدن، والمتّجهة شرقاً نحو الهضبة الشرقيّة وصحراء الربع الخالي وتلك المتّجهة نحو الشمال مع أنّها أقل أهمية[2].

ومن الصفات المميّزة لاقليم المرتفعات الغربية العالية، ذلك الغطاء من السحب ورذاذ المطر الذي يكسوه في الفصول الممطرة والذي يشكلّ قيمة كبيرة لحماية بعض النباتات المثمرة من أشعة الشمس[3] كمّا أنّ تربة هذا الاقليم تعد من أخصب الترب في اليمن، الغنية بموادها العضويّة، والّتي أسهمت سيول "اللافا Lava"، الحمم (البركانيّة) في تكوينها، وغالباً ما تكون قد جرفتها السيول من قمم الجبال العالية، مع مرور الزمن.

إنّ مجمل تلك العوامل مكنّت هذا الاقليم من صنع تاريخ اليمن القديم، فقد انتقلت إليه الحضارة اليمنيّة بعد الميلاد، وازدهرت مدنها بعد التّحول الذي شهدته التجارة البريّة، سواء تلك المدن الواقعة على سفوح قمم الجبال، أم تلك الرّابضة في القيعان ذات التربة الخصبة والمياه الجوفيّة الغزيرة، والأمطار الموسميّة. فعلى سفح جبل ريدان قامت (ظفار) العاصمة الحميريّة، وعلى سفح جبل (كوكبان) قامت (شبام كوكبان) وقرب قاع البون قامت (ريده) و (عمران) و (ناعط) [4] .... وغيرها من المدن التّاريخيّة الهامة.

---

[1]) الأشعب، المرجع السابق، ص ٣٤-٥٠.

[2]) المرجع نفسه، ص ٥٠.

[3]) Brice : op . cit . - p . 250 -.

[4]) يوسف محمد عبدالله: "أوراق في تاريخ اليمن وآثاره"، بحوث ومقالات، الجزء الأول منشورات وزارة الأعلام والثقافة، الجمهورية اليمنية، ١٩٨٥، ص ١٤.

(٣) الهضبة الشرقيّة:

تسمّى بـ (الجول) أو هضبة (حضرموت)، أما في النقوش فتسمى (س وط م)* أي السوط .

من الناحية الطوبوغرافيّة نجد أنّ البنيّة التضاريسيّة الغربيّة نفسها تستمر شرقاً، ولكن بشكل تدريجيّ، فالهضبة الشرقيّة يقلّ ارتفاعها كلّما اتجهنا شرقاً، حتى جبال (قارة) و (ظفار)، حيث يصل معدل الارتفاع إلى أربعة آلاف (٤٠٠٠) متر تقريباً [١] .

تشكّلت الهضبة الشرقيّة نتيجة لحركة التوائية، نتجت عنها هضبتان: الهضبة الشماليّة والهضبة الجنوبيّة، وبينهما ثنية مقعّرة، يجري فيها وادي حضرموت الكبير، الذي كان يشكّل مجرىً مائياً عظيماً خلال الأزمنة المطيرة، يتصل وادي حضرموت بوادٍ ضيق وعميق، هو وادي المسيلة، ويصبُّ في البحر العربي [٢] .

تتّسم صخور الهضبة الشرقيّة بالحداثة، إذا ماقيست بصخور المرتفعات الغربيّة فالصخور الرسوبية تغطي الصخور الأساسية القديمة، والتي تكوّنت بفعل الأرساب التي تمت عبر العصور المختلفة [٣] ، أمّا مياهها فتأتيها من الأمطار التي تجلبها الرياح الشماليّة الشرقيّة التي تسقط في الشرق (كوريا موريا) وتنتهي لتصل إلى خليج (ظفار) حيث جبال قارة [٤] ، لهذا نجد أن الهضبتين الشماليّة والجنوبيّة تقومان بتزويد العديد من الأودية بالمياه، وأهمها وادي حضرموت الذي يتغذى من

---

* جاءت تسمية السوط (س و ط م) في نقش (Glaser 1000) كاسم للهضبة الجنوبية لحضرموت.

[١]) Brice : op.- cit . p 253

[٢]) بلفقية: المرجع السابق، ص١٢.

[٣]) بلفقيه: المرجع السابق، ص ٩.

[٤]) - Brice : op.- cit , p. 253 .

الروافد الجنوبيّة والشماليّة، كما أن هناك العديد من الأودية الغزيرة المياه تستمد مياهها من الهضبة الجنوبية لحضرموت، فمنها مايتجه جنوب الصحراء، كواديي (عماقين) و (جردان)... وغيرهما، ومنها ما يتجه نحو البحر كوادِيي (حجر) و (ميفعه)... وغيرهما. ويمثل هذا الاقليم، أهم أقاليم الهضبة الشرقيّة، من حيث كثرة الأودية وخصوبة التربة، والكثافة السكانية الكبيرة، لذا نجده قد لعب دوراً كبيراً في الأحداث السياسيّة لليمن القديم، وقد أطلق عليه في النّقوش اسم (م ش ر ق ن)[1]، أي (المشرق).

(٣) الحوض الانكساريّ:

يمتد الحوض الانكساريّ بين الهضبة الشّرقيّة والمرتفعات الغربيّة،ثمّ يأخذ هذا الحوض في الانخفاض من الغرب إلى الشّرق حتّى يصل ارتفاعه غرباً إلى حوالي ثلاثة آلاف وخمسماية (٣٥٠٠) قدم فوق مستوى سطح البحر. ويشمل ذلك المنخفض (رملة السبعتين) التي تسمّى في النقوش (صيهد)، وهي عبارة عن سهول رمليّة تنتشر فيها الكثبان الرّمليّة، والقباب الملحيّة، أما أراضيها فتنحدر بصورة عامة من الجنوب إلى الشّمال، تستقبل (رملة السبعتين) العديد من الوديان المنحدرة من المرتفعات الغربيّة، والهضبة الجنوبيّة لتصب في الصّحراء مكوّنة دالات مروحيّة صالحة للزراعة وعلى أطراف تلك الأودية قامت مراكز وعواصم الحضارة اليمنيّة، منذ مطلع الألف الأول ق . م، أمّا أهمّ الأودية التي تسيل باتجاه رملة السبعتين، فهي، وادي (أذنه) مركز دولة سبأ، ووادي (بيحان) مركز الدولة القتبانيّة ووادي (المعشار) حيث قامت (شبوة) عاصمة حضرموت، ووادي الجوف

---

[1]) راجع نقش (ينبق)، بافقية وروبان: نقوش جديدة من ينبق، جملة ريدان، العدد٢، الوفان، ١٩٧٩، ص ٢٥-٢٧. أنظر أيضا - بيستون أ . ف . ل، وريكمانز جاك، الغول محمود، مولر والتر، "المعجم السبأي" (بالانجليزية والفرنسية والعربية)، منشورات جامعة صنعاء، دار نشريات بيترز لوفان الجديدة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢، ص ١٣٤.

مركز الدولة المعينيّة، ووادي (مرخه) حيث قامت مملكة أوسان ووادي (نجران) الذي أنشئت عليه مدينة (نجران) التّاريخيّة الهامة.

ويبدو جليّاً إن على هذا الاقليم، تركّز الثقل السياسي لليمن القديم طيلة الألف الأول ق . م، وبلغت الحضارة اليمنيّة أوج ازدهارها بفضل التّحكّم بالطريق التجاري البريّ (طريق البخور) الذي يمر حول رملة السبعتين في اتجاه الشمال، ليصل إلى شواطئ البحر المتوسط.

(٤) المناخ:

بالرغم من وقوع اليمن القديم ضمن نطاق المناطق المداريّة الحارّة بوجه عام إلاّ أنّ بعض المناطق تُستَثْنى من تلك القاعدة بحكم:

(أ) **الموقع الجغرافيّ:** حيث تتخد درجة القاريّة بعامل القرب والبعد عن المسطّحات المائيّة (البحار). ومن خلال وقوع اليمن القديم على مشارف البحار، فأصبح يتعرض إلى رياح دافئة مما يوفر الظروف لسقوط الأمطار في الصيف وبعض الفصول الأخرى[١].

(ب) **الموقع الفلكيّ أو العرضيّ:** اليمن القديم يقع ضمن الاقليم المداري –لنصف الكرة الشمالي– وأن لهذا الموقع أثره البالغ في مناخ البلاد.

(ج) **الارتفاع:** بحكم تباين التضاريس نرى أن الحرارة هي الأخرى تتباين بحيث يقلّ معدّل حرارة بعض المناطق المرتفعة بخمس عشرة درجة (١٥°) عن معدل حرارة السّهول السّاحليّة. إن أثر التضاريس يبدو كبيراً في المناطق التي ترتفع عن مستوى البحر بأكثر من ثلاثة آلاف وسبعماية متر ٣٧٠٠م[٢].

---

[١] الأشعب، المرجع السابق ص ٣٥.

[٢] المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

(د) نوع التضاريس: يؤثر نوع التضاريس وشكلها على المناخ فالسّهول الجبلية الضيّقة والواسعة والقيعان والسفوح الشديدة الانحدار والانكسارات والأودية يختلف تأثرها بطبيعة سير الحرارة وإتجاه الريح وكمية تساقط الأمطار[1] .

(هـ) توزيع مناطق الضغط: يؤثر كل من نطاقي الواطئ الاستوائي إلى الجنوب والضغط العالي دون المداريّ حوالي دائرة العرض (٣٠°) شمالاً، كما أن تزحزح هذين النطاقين شمالاً وجنوباً يفسّر خضوع مناخ اليمن إلى الظروف المداريّة وأخرى تابعة لاقليم البحر المتوسط.

يزداد تأثير كل من نطاقي الضغط هذين، مع إتجاه حركة الرياح والكتل الهوائية[2]

إنّ هذه العوامل مجتمعة كانت وراء التباين الواضح في مقدار الأمطار ونسبة الرطوبة وإتجاه الريح ودرجات الحرارة، ومن الملاحظ أن هناك تبايناً في المناخ حتى داخل كل إقليم من الأقاليم التضاريسيّة السابقة الذكر.

هذا بالإضافة إلى انفراد اليمن -عن بقية أنحاء شبه الجزيرة العربيّة- بغزارة الأمطار التي تهطل صيفاً، لذا فالأمطار بشكل عام تهطل بغزارة على الهضبة الوسطى، وتقلّ كلّما اتّجهنا شرقاً نحو الرّبع الخالي.

وقد كانت المراكز الحضاريّة المناخيّة للصّحراء مزدهرة وخصبة في عهد الحضارة، وإبّان ازدهارها.. أمّا اليوم فهيّ مناطق قاحلة تفتقد لأبسط الشروط الجاذبة للسكان. فالسؤال الذي يُطرح في الأوساط العلميّة هو: هل تغيّر مناخ المنطقة بشكل عام عمّا كان عليه في عهد الحضارة؟

إن الافتراضات التي صدرت عن العلماء حول مناخ شبه الجزيرة كثيرةٌ، فمنهم من يرى أن المناخ لم يتغير خلال العصور التّاريخيّة[3]، وأنّ النّاس الذين

---

[1]) المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

[2]) المرجع نفسه، ص ٣٦ – ٣٧ .

[3]) يوسف محمد عبدالله: أوراق، جـ١، ص ٨٢، عن، سيتون لويد: آثار بلاد الرافدين، ترجمة: سامي سعيد الأحمد، منشورات وزارة الإعلام والثقافة، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠م.

عاشوا في الأزمان الخالية كانوا يعيشون ظروفاً تختلف قليلاً عن زماننا الحاضر، إلّا أنّ هذا الرأي آثار كثيراً من التساؤلات عن الأماكن القديمة التي تكاد تنعدم فيها الموارد المائية الكافية، بل هي جافة إلى حدٍّ ما.

وهناك من اعتمد على ماجاء في الكتب الكلاسيكية[1]، وعوّل على التقسيمات التي وضعها الجغرافيون الكلاسيكيون لشبه الجزيرة العربيّة، عندما قسموا شبه الجزيرة إلى ثلاثة أقسام:

(أ) البتراء (الصخرية).

(ب) الصحراوية.

(ج) السعيدة.

الأولى وتشمل الأطراف الشماليّة الغربيّة من الصحراء التي تتعلق بشكل عام بدولة الأردن اليوم، والثانية يقصد بها المناطق الداخليّة الصحراويّة بين البتراء ومنطقة ما بين النهرين، التي تقع بشكل واسع في حماة السورية، والثالثة (العربية السعيدة) اليمن القديم وكان يضم في نظرهم كل جنوب شبه الجزيرة العربية (أرض اللبان المر)[2].

على هذا الأساس لم يعتبر أصحاب الرأي الثاني اليمن القديم منطقة قاحلة؛ بل أرضاً تغمرها الخصوبة بصورة استثنائيّة. عمّا هي عليه الحال في بقيّة أنحاء شبه الجزيرة العربيّة.

وقد تحدث الكلاسيكيون بإسهاب عن تلك الخصوبة، فيقول: (ثيوفراستوس Theophrastus): إنه سمع بأن اللبان يزرع على جبال شامخة تغطيها الغابات

---

[1]) لمعرفة المزيد عما قاله الكلايسكيون عن اليمن راجع الفصل الثالث من الكتاب.

- Brice : op. - cit . p. 246 .

[2]) -Groom, Nigel St. J :" Frankincense and Myrrh ", A study of the Arabian (1981), Incense Trad (Arab Background Series). London and New york , pp . 214-215 .

ومعرّضة للثلوج، تتدفق فيها الأنهار نحو السّهول. وتحدّث (ايراتوستينس Eratosthenes) عن الانهار التي تتدفّق نحو البحيرات، وعن البلاد الخصبة بما فيها من حيوانات داجنة وافرة. وكان (اجاثرسيدس Agatharchides) يرى أنّ البلاد خصبة جداً مع وفرة الفاكهة، وأنّ (مأرب) تقع على مرتفع تغطيه الأشجار، وقال (ديودروس Diodorus): إنّ غابات كثيفة تغطّي الجزء الدّاخليّ من البلاد كلها. وفي منطقة (ماريبا) والمقصود (مأرب). وقد أشار (بليني Pliny) إلى أنّها تنتج اللبان، وفيها غابات طبيعيّة تمتد منحدرة إلى الأراضي المستوية[1].

هذه المقولات المختلفة الصّادرة عن الكتّاب الكلاسيكيين مقتبسة -إلى حد ما- من بعضهم بعضاً، وسواء أكانت تلك المقولات تنطبق على التغيّر المناخيّ أم لا، فإنّ الدّلائل على وجود أعداد كبيرة من السكان في المناطق التي تعتبر اليوم جافة، يعزز الرأي -الذي يدعمه العلم- بوجود تغيّر مناخيّ بطئ في اليمن القديم أكثر مما كان يفترض، كما أنّ الحيوانات المتوحّشة التي ذكرتها بعض النقوش تؤكد هذه الحقيقة، أنظر نقش (Ja 949).

أمّا التّصحر الذي تشهده تلك المراكز اليوم، فهو ناتج عن الزّحف الصّحراويّ، وتحرّك الكثبان الرّمليّة -حتّى يومنا هذا- كما أنّ تلك الرّمال قد سدّت كثيراً من الطّرق الّتي كانت تستخدم في الماضي، كطريق وادي (سرّ)، أحد الروافد الشماليّة لوادي حضرموت، وغيرها من الطّرق البرّيّة، فالزحف الصّحراويّ البطئ غير الملحوظ ، يشكّل خطورة كبيرة على المواقع الشماليّة المتاخمة للصحراء طالما أن المناطق -التي ماتزال خصبة في هذه المواقع- مهدّدة بهذا الزّحف الذي قد يصيّرها قاحلة في يوم ما.

---

[1] Ibid . p.216



الفصل الثاني

عصور قبل التاريخ في اليمن

أولاً: العصور الحجريّة.

ثانياً: فرضيات حول عصور قبل التاريخ في اليمن.

ثالثاً: نماذج من مواقع أثريّه تعود للعصور الحجريّة.

رابعاً: الفنون الصخريّة.

أولاً: العصور الحجريّة:

لقد سعى الإنسان منذ أن وجد على الأرض إلى درء عوارض الطبيعة عن نفسه، فنزل الكهوف واكتشف النّار، نار البرق والحرائق الطبيعيّة، ثم صنّعها، وابتكر صناعة بعض الأدوات الحجريّة والخشبيّة والعظميّة البسيطة، واصطاد الحيوانات، ومنذ ذلك الحين شعر ببعض الرّوابط التي تربطه بمَنْ حوله فانتظم في أسر أو فيما يشبه الأسر، ومرت عليه دهورٌ طويلة قبل أن يهتدي إلى الزراعة، التي انتقل بفضلها من مرحلة الاستهلاك (جمع القوت) إلى مرحلة الانتاج (إنتاج القوت).

ولمعرفة تلك الأطوار قسّم العلماء تاريخ النشاط البشري إلى عصور قبل التّاريخ، وعصور تاريخيّة. واعتبر ابتداع الكتابة كوسيلة للتدوين حداً فاصلا بين العصور التاريخيّة وعصور قبل التّاريخ؛ إلا أن أزمنة تلك المراحل تختلف من منطقة إلى أخرى حسب التطورات التّاريخيّة الهامة التي شهدتها.

فمثلاً تقدّر بداية العصور التّاريخية في العراق مع بداية اختراع الكتابة، أي منذ أواسط الألف الرابع قبل الميلاد، وفي مصر منذ أواخر الألف الرابع قبل الميلاد. أمّا في اليونان فبداية العصور التاريخيّة تعود الى القرن السابع قبل الميلاد، وفي أوربا الشّماليّة تعود إلى القرن الأوّل الميلادي[1].

كما قُسّمت عصور قبل التّاريخ بدورها إلى عصور وأدوار وأطوار ثانوية ليسهل للباحث متابعة تطور حياة الإنسان، ولم يأت ذلك التقسيم جزافاً، بل بعد دراسة دقيقة للمعطيات الأثرية التي خلّفها الإنسان القديم كالأدوات المصنوعة من الحجارة، والخشب، والعظام، والرسومات، والمخربشات التي نقشها في سقوف، وجدران الكهوف التي عاش فيها في العصور الحجريّة القديمة. وكذلك عظامه

---

[1]) عامر سليمان، وأحمد مالك الفتيان: "محاضرات في التاريخ القديم"، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد ١٩٧٨م، ص ١٤.

وعظام الحيوانات التي اصطادها، وبقايا النّباتات، كما أنّ المعلومات الجيولوجية الخاصّة بأحوال المناخ والبيئة التي عاش فيها الانسان القديم هي الأخرى تمثل مصدراً هاماً من مصادر تاريخ الإنسان وتطوّره.

ويبدو من خلال المعطيات الأثريّة لعصور قبل التّاريخ أنّ الانسان القديم استخدم في مراحلها المختلفة أشكالاً متعددة من الأدوات التي تمّيز كلّ مرحلة بالتحديد، ومن ثمّ تصبح هذه الأدوات ومميزاتها وخصائصها قاعدة لتحديد مراحل تاريخ النشاط البشريّ، واستناداً إلى ذلك تمكّن العلماء منذ القرن التّاسع عشر من تقسيم العصور الحجريّة بصورة عامة إلى ثلاثة عصور أساسية: العصر الحجريّ القديم، والعصر الحجريّ الوسيط، والعصر الحجريّ الحديث.

وقبل التّطرق لخصائص كلّ عصر، لابدّ من الإشارة إلى أنّ الحديث سيكون عن تاريخ الإنسان بصورة عامة، بغض النظر عن المنطقة التي عاش فيها. فدراسة الإنسان في مراحلة الحضاريّة الأولى ليست لها حدود جغرافيّة، فالحديث عن إنسان العصر الحجريّ القديم في اليمن ينطبق على إنسان العصر الحجريّ القديم في جميع الأقاليم من حيث نمط الحياة وأسلوب المعيشة.

- العصر الحجري القديم:

يبدأ من ظهور الإنسان على وجه الأرض، ولم يتفق العلماء على تحديده، فقد قدّر بعض العلماء بدايته بمليوني سنة تقريبا، بينما قدّره آخرون بمليون سنة. امتاز هذا العصر باستخدام الأدوات الحجريّة غير المصنّعة ثم المصنّعة، وهذا ما انعكس على حياة الأنسان التي امتازت بالبساطة آنذاك، فقد كان يعتمد بشكل مباشر على جمع النّبات، وصيد الحيوانات الكبيرة. وكان ينتقل من مكان إلى آخر بحثاً عن الغذاء، وتجنباً للكوارث الطبيعيّة.

وقد قسّم العلماء هذا العصرإلى عدة أطوار، مستندين إلى خصائص ومميزات الأدوات الحجرية التي استخدمها إنسان ذلك العصر وإلى طريقة معيشته.

- **العصر الحجريّ الوسيط:**

وضع العلماء فاصلاً بين العصر الحجريّ القديم والعصر الحجريّ الوسيط حيث انتقل الإنسان من حياة الإعتماد على جمع القوت إلى حياة منتجة، ينتج قوته بنفسه. فامتازت أدوات هذا العصر بدقّتها وصغر حجمها وتعدّد أشكالها، وبذلك تنوّع اقتصاده، واصبح متهيئاً للانتقال إلى مرحلة جديدة أكثر تطوراً واستقراراً.

- **العصر الحجريّ الحديث:**

يمثل هذا العصر منعطفاً تاريخيّاً كبيراً في حياة الإنسان القديم، حيث اكتشف أسرار الطبيعية وسخرها لخدمته ، فاهتدى إلى الزّراعة وتدجين الحيوان بدلاً من الصّيد والجمع والالتقاط مما انعكس على اسلوب حياته، فبعد أن ضمن قوته بفضل تطور أدواته؛ اتّجه لتطوير عقيدتهّ الدينيّة، كما أدخل على حياته أنواعاً جديدة من الحرف: كصناعة الفخار، والحياكة، وصناعة الآلات الخاصة بالزراعة... الخ. ولما استقر حول الأرض التي يقوم بزراعتها، تجمّعت الأسر في بقعة ثابته، فنشأت القرى، ومعها بذور الحياة الاجتماعيّة والمجتمع والعائلة، وساعد هذا الانقلاب على التكاثر فكثرت المستوطنات البشريّة ممّا مهّد السّبيل لازدهار الحضارة بشكل أكثر نضجاً وتطوراً.

ثانياً: فرضيات حول عصور قبل التاريخ في اليمن:

يبدو جليا ممّا ذكرناه آنفاً أنّ الانسان القديم -ومنذ عصور قبل التاريخ- تركزت إقامته في المناطق الجاذبة للسكان حيث تتوافر المقوّمات الطبيعية، مثل: المياه، والارض الخصبة، والمناخ المناسب. فالشرق الأدنى يمثّل -بحق- مولداً للحضارة البشريّة، هذا لايعني عدم ظهورها في بقاع أخرى من العالم، بل ظهرت أيضا في أقاليم توافرت لها نفس المقوّمات لكن في فترات لاحقة.

فعندما نلقي نظرة فاحصة على الخريطة الجغرافية لشبه الجزيرة العربية . لاينبغي أن نتصور حدوداً طبيعيّة لها، ولاحدوداً إقليميّة فاصلة في تلك العهود الموغلة في القدم، اذ كانت الجماعات البشرية تنتقل من مكان إلى آخر للرّعي والصّيد، وبحثاً عن موارد للعيش، فانتشر الانسان في تلك البقاع على نطاق واسع.

إنّ معلوماتنا عن اليمن قديماً -في عصور قبل التاريخ- ضئيلة للغاية، بسبب حداثة هذا العلم الذي يكتنفه الغموض وبسبب قلّة التنقيبات الأثريّة، فما كشف من آثار عصور قبل التاريخ -حتى الآن- شحيح وناقص، ومليء بالثغرات وقد لا يتيسّر مطلقاً سدّ هذه الثّغرات ما لم يتّم العثور على نتائج أثريّة جديدة. ونتيجة لهذا القصور برزت منذ الثلاثينات من هذا القرن عدة فرضيات وآراء تخمينيّة حول الاستيطان البشريّ في اليمن قديما، وما اعتمل فيه من نشاط حضاري .. فتضاربت الآراء، وتشعبت وجهات النظر بين العلماء، وهنا نستعرض شيئاً من تلك الفرضيات التي ذهب اليها بعض المستشرقين، فأولى المعلومات عن عصر قبل التاريخ في اليمن القديم، هي: تلك التي قدّمتها الباحثة (كاتن تومبسون Caton Thompson) التي قامت بعمل حفائر في (حريضة) بوادي (عمد) أحد الفروع الجنوبيّة لوادي حضرموت، كان ذلك في عام ١٩٣٧م، ومن أهم استنتاجاتها:

(أ) أنّ انفصال جنوب غرب بلاد العرب عن أفريقيا الشرقية حدث في حقبة زمن البلايستوسين، أي قبل مليون سنة على أقل تقدير.

(ب) اعتقادها أنّ الأدوات المصنوعة من حجر (الظران او الصوان) التي عثر عليها في حضرموت تشبه كثيراً تلك الأدوات المصنوعة من (الظران) التي عثر عليها في أفريقيا.

(ج) أنّ الثقافة المركزيّة كانت في أفريقيا، ومنها تفرّعت ثقافات متعددة ليس في أفريقيا فحسب، بل وفي آسيا أيضا. والدليل الذي استندت إليه لتزكي استنتاجها، هو: عدم وجود أدوات حجريّة من العصر الحجريّ القديم الأسفل

(الباليوليثي) في اليمن، والتي كانت منتشرة في تلك الأيام على طول أفريقيا من الشمال إلى الجنوب[1] .

الفرضية الثّانية للعالم (فان بيك Van Beek) أحد أعضاء البعثة الأمريكيّة التي زارت اليمن ١٩٥٠-١٩٥٢م لدراسة الانسان، وقامت بالتنقيبات في (بيحان) و (مأرب) و (ظفار) (عُمان)، وكان "فان بيك" قد زار حضرموت عام ١٩٦١م، وهو يذهب إلى أن المنطقة قد ظلّت تعيش بقية العصر الحجريّ حتّى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، عندما جاءت إلى المنطقة جماعات متحضّرة، وبفضل هؤلاء القوم تأسست في جنوب شبه الجزيرة العربية حضارة بلغت مستوىً رفيعاً في فنّ العمّارة، والزراعة، والتّعدين، والكتابة، ويعتقد أنّهم أتوا من الأطراف الشماليّة لبلاد الهلال الخصيب[2] .

إنّ تطوّر تلك الحضارة في نظر (فان بيك) يرجع لتأثيرات ثقافات الهلال الخصيب، وقد استند في استنتاجاته على بعض الملتقطات الأثرية: كالفخار، ونمادج أثريّة أخرى أرجعها لبلاد وادي الرافدين، وسوريا، وفلسطين، في فترات زمنيّة مختلفة بل اعتبر أقدم فخار عثر عليه في (تمنع) هجر بن حميد حالياً، يرجع إلى الشّمال خاصة إلى سوريا، وبلاد الرافدين التي تعود إلى النصف الثاني من عصر البرونز (١٥٠٠ق.م)، كما تطرّق للعمارة اليمنيّة القديمة، وتحدّث عن نماذج من الحجر المستخدم (القطع الحجريّة المهنّدمة)، فاعتبر هذا النموذج من الفن مستعاراً من الأشوريّن في حدود القرن السابع ق . م[3] .

---

[1] Caton Thompson : "Climate Irrigation and Early Mon in the Hadramaut " (Geographical Journal 93 , pp .18-19 , 29-35 , Januray 1939 .

[2] -Van Beek G.W: " South Arabian History and Archaeology " extrait par (The Bible and The Ancient neer East ed : by G. Ernest wright , London 1961, p.229-248

[3] Ibid (

أما البعثة السوفيتيّة فتتفق في استنتاجاتها مع الرأي القائل: بأنّ الحضارة اليمنيّة منقولة، وليست محليّة في أصولها بل تنتمي لجماعات قدمت من الشمال من بلاد ما بين النهرين، وكانت هذه الهجرة قد تمّت في مرحلة متأخرة من العصر الحجريّ الحديث، وفي رأيها بأنّ الأقوام القادمة من الشمال هم الذين نقلوا الزراعة والأدوات المعدنية وخاصة البرونزيّة، فالمهاجرون -في اعتقادها- أعطوا اليمنيّين بنات أفكارهم الحضارية ، ودفعوا بهم إلى التّحضر السّريع[1] .

إضافة إلى هذه الفرضيات يجدر بنا أنّ نورد هنا رأياَ اتّسم بالموضوعيّة هو رأي (لانكستر هاردنج Lankestez Harding) مبعوث الحكومة البريطانيّة الذي زار عدداً من مواقع الآثار في عدن وضواحيها ١٩٦٠م، وأصدر كتاباَ بعنوان "الآثار في عدن ومحمياتها" أجاب فيه (هاردنج) على تلك الفرضيات بقوله: أنّ الحضارة اليمنيّة قديمة جداً ولا يمكن أن تكون مستوردة، ففي رأيه لا يمكن لأيّ حضارة أن تظهر إلى حيزالوجود فجأة وبدون مقدمات، ويشير إلى أنّه من غير المحتمل أن تكون هذه المنطقة قد استوطنت على حين غره من قبل القادمين من الشمال، ويعلل أسباب الزيادة السكانيّة السريعة، بالنّشاط الاقتصادي المطّرد الذي شهدته المنطقة في الألف الثاني ق.م، ولكنه يرى أنّ هناك فجوة زمنيّة واقعة بين العصرالحجري الحديث (أيّ حوالي ٥٠٠٠ ق.م) والقرن الثامن أو التاسع ق.م، بسبب عدم العثور على أيّة دلائل أثريّة تعود لتلك المرحلة.[2]

ظلّت تلك الآراء المتعارضة سائدة فترة طويلة من الزّمن، واضعة المهتمين بدراسة الحضارة اليمنيّة في حالة من الاضطراب، لا يستطيعون معها التّمييز بين

---

[1]) بطرس افان جريزنيفتش: "الحضارة اليمنية في الاستشراق"، مجلة دراسات يمنيّة، العدد٢٢، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء ١٩٨٨م، ص ١١٦-١٢٣.

[2]) -Harding G. Lankester: "Archaeology in the Aden Protectrates", London , 1964, p.4

الغث والسّمين، حتّى جاءت البعثة الإيطالية برئاسة (اليكسندرو دي ميجريه Alcssandro de Maigret) عام ١٩٨٤م، وكشفت البعثة عن معطيات مثيرة وجديدة، غيّرت كثيراً من المفاهيم الخاطئة، ووضعت حداً للآراء السّابقة ، فسدّت الفجوة المربكة التي أشار اليها (هاردنج)، اذ قامت البعثة بالتنقيب عن الآثار في موقع بوادي (يلا)* في (خولان الطيّال) (أنظر خريطة رقم ٢) وبيّنت بعض التواريخ بواسطة (كربون ١٤)، بعد أن أجرت تحاليل لعينات مجمّعة من الموقع الأثري إلى: أن العصر البرونزي يعود لمنتصف الألف الثاني ق.م. فاكتشاف مدينة في اليمن تعود لعصر البرونز، يعتبر دليلا َقاطعاَ لايقبل الشك، إذ لم يتمّ الكشف عن موجودات أثرية فحسب، بل تمّ اكتشاف مدينة متكاملة بنظمها الاقتصاديّة وبملامحها الثقافيّة والطقوسية[١].

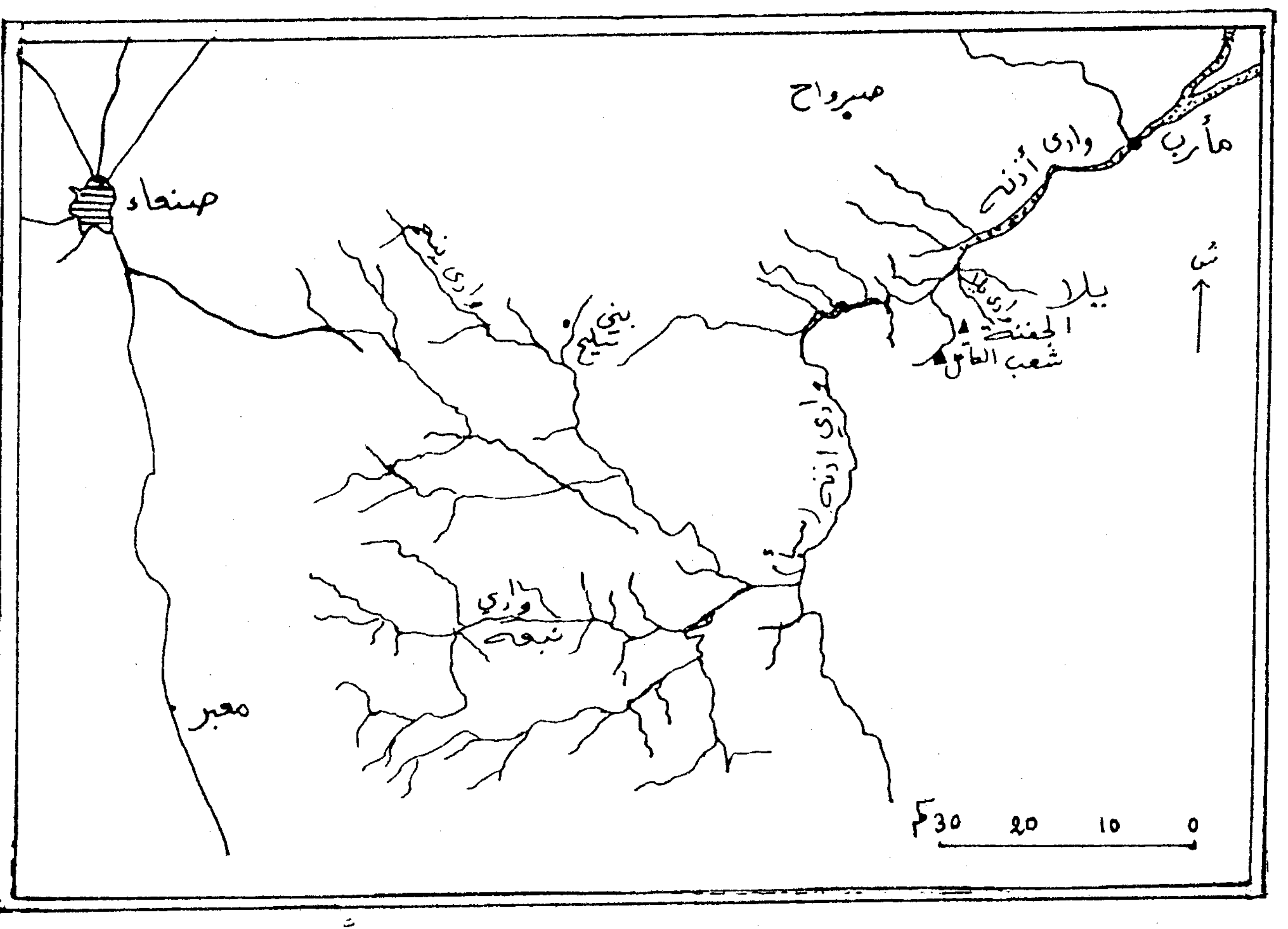
إنّ هذا الإنجاز فاق كل التّوقعات، وبدأت معالم تاريخ الثقافة التي قامت في اليمن القديم واضحة بمراحلها التّاريخية المتسلّسلة.

---

*) وادي يلا : يقع على بعد (٣٠ كم) جنوب غرب مأرب .

١) الكسندر دي ميجريه: المجموعة المعمارية الأثرية السبأيّة في وادي يلا (خولان الطيّال)، تعريب، عثمان الخليفة، اسميو -روما ١٩٨٨م.

أيضاً انظر-A.de Maigret: "A Bronze Age. A. de Maigret For Southern Arabia "East and west", 34, 1984. and ch. Robin, les fouilles Italennes de Yala nouvelles donnees sur la chronologie de I'Arabie du sud Pre-islanique, paris, 1989.



(خريطة رقم 2) وادي "يلا" خولان الطيّال

ثالثاً: نماذج من مواقع أثرية تعود لعصر قبل التاريخ:

تزخر اليمن بالعديد من المواقع الأثريّة الّتي يعود تاريخها لأكثر الحقب قدماً، منذ العصر الحجريّ القديم الأسفل. ومن أبرز تلك المواقع (جبل تلع)* الذي يعتبر نموذجاً حيّاً لآثار العصر الحجريّ القديم الأسفل، في عام ١٩٦٥م عثر (بريان دو Brian Doe) (أحد مديري متحف عدن في فترة الاحتلال البريطاني) على فؤوس يدوية ترجع للثقافة الأشوليّة[١]. بتلك الأداة الحجريّة البدائية استطاع الانسان في اليمن القديم أن يصطاد فريسته وأن يسلخ جلدها، ومع الزمن اكتسب خبرة ساعدته على تحسين أدواته فأصبحت أكثر دقة ومتانة في مراحل لاحقة.

ومن أهم آثار عصور قبل التاريخ، ما تمّ اكتشافها في وادي حضرموت، أحد الأقاليم الجغرافية الذي شهد نشاطاً بشرياً منذ أقدم العصور الحجريّة، خاصة وأنّ العوامل المناخيّة، والبيئية، قد ساعدت على وجود مثل ذلك النشاط المبكّر، إذ مارس الانسان في وادي حضرموت الصيد وجمع الثمار مستخدماً الأدوات الحجريّة، أدوات قبل الثقافة (الآشوليّة)، ثم طوّر تلك الأدوات بشكل أكثر دقّة ومتانة، وبما يتلاءم ومقتضيات حاجته المعيشية خلال أطوار حياته اللاحقة، ومن أهم المناطق الأثريّة التي تعود إلى قبل التاريخ (حريضة): الواقعة على وادي (عمد) أحد الروافد الجنوبيّة لوادي حضرموت، حيث عثرت البعثة البريطانية بقيادة (كاتن تومبسون Caton Thompson) عام ١٩٣٧م على أدوات حجريّة ترجع للعصر الحجري الحديث[٢]، عبارة عن رؤوس سهام، وبعض الأسلحة النصليّة.

---

*) جبل تلع : يقع على بعد ٤٠ ميلا شمال عدن، يطلّ على وادي تبن من جهة الغرب عند موقع كان يعرف "بسد العرائس".

١) - Brian Doe: "Southern Arabia", London, 1971, p.134.

٢) -Thompson Caton: "The Tombe and Moon Temple of Hurayda (Hadramaut)", Research Commitee of the Society Antiguaries of London XIII Oxford, 1944, p.23.

وفي شتاء عام ٦١-١٩٦٢م، أجرت بعثة (شمسونيان) الأمريكية برئاسة (فان بيك) مسحاً أثريّاً في وادي حضرموت امتداداً لجهودها المبذولة في كل من وادي (بيحان) و(مأرب)، و(ظفار)، وكان هدفها الأساسي من هذا المسح الحصول على سلّسلة ثقافيّة متواصلة لتاريخ النشاط البشري في اليمن منذ أقدم العصور وقد تلخصت نتائجها في هذا العمل فيما هو آت:

١. استمرار العصر الحجريّ بوادي حضرموت إلى وقت متأخر من الألف الثاني ق.م متخلفاً عن التطورات التي حدثت في منطقة الهلال الخصيب.
٢. لا توجد حلقة تربط بين ذلك العصر، وعصر قيام المدن الذي يرجع تاريخه -غالباً- إلى الألف الثاني ق.م، أو بعد ذلك بقليل.
٣. أن ذلك الانقطاع يدلنا على حدوث هجرة من الشمال، قضت على السكان الأصليين، وحلّت محلهم.
٤. إن اولئك المهاجرين، ربما جاؤوا بتقاليد جديدة هي من نتاج الحياة المتمدّنة، كانوا قد اصطحبوها من موطنهم الأول، كصناعة الخزف والمعادن، واستخدام وسائل الري المتطورة في الزراعة وربما الإلمام بالكتابة.
٥. من خلال نتائج الدراسات الأولية للفخار يبدو أنّ حضرموت شاركت في الاتجاهات الحضاريّة العامّة، التي سادت جنوب الجزيرة العربيّة، مع احتفاظها بملامحها المحليّة، والاقليميّة، مما جعلها متميّزة في بعض النواحي[1].

على هذا الأساس بلّور (فان بيك) نظريتة التي أشرنا اليها سابقاً، والتي لم تعد مجديّة بعد الاكتشافات الأثرية الحديثة.

---

(1) -Van Beck G. W., cole G. W., Jamme. A.: "An Archaeologycal Reconnaissance in (Hadramaut) South Arabia". a Preliminary Report. Smithsonian Institution Report. 1963. 1964, p. 543.

أمّا البعثة اليمنيّة -السوفيتيّة، فقد قامت بأعمال تنقيب في وادي حضرموت لأكثر من موسم (٨٣ - ١٩٨٧م)، وكان من أهدافها:

أ. اكتشاف ودراسة المواقع الأثرية التي تعود إلى العصور الحجريّة.

ب. توضيح المراحل التاريخيّة الرئيسة للعصرالحجريّ القديم (الباليوليثي) وكيفيّة تطوره المتواصل.

ج. إبراز حلقات التواصل بين المراحل الزمنيّة لما قبل الكتابة وصولاً إلى المراحل الأولى في الحضارة اليمنية ، بذلك غطّت البعثة العديد من مناطق حضرموت، وكشفت عن (٥٠) موقعاً أثرياً تعود الى عصور قبل التاريخ تبيّن منها: انها مغارات سكنية متنوعة غنية بالأدوات الحجريّة وتمثّل كافة المراحل الزمنيّة لتلك العصور[١].

وعلى وادي (الغبر) الرافد الأيسر لوادي (دوعن)، عثرت البعثة على ثلاث مغارات تعود إلى العصر الحجريّ القديم، تقع قريباً من بعضها بعضاً[٢] وهنا نتناول ماجرى من تنقيبات في واحدة من تلك المغارات -هي (مغارة الغزة)- وما عثر عليه فيها من آثار. تم التنقيب في المغارة الى عمق (١٤,٥) متراً، في المتر الثالث عشر من هذا العمق تقريباً، عثر على اثنتي عشرة طبقة حضاريّة مختلفة، جميعها تحتوي على بقايا أثريّة، تتمثّل بأدوات حجريّة مصنّعة، ومخلّفات أخرى، أهمها:

- مواقد للنار.
- أحجار لتصنيع الأدوات: كالمطارق والنواة التي تستخرج منها الحجرية.
- أدوات حجريّة للاستعمال المباشر: كالمقاطع والسكاكين والمقاشط.

---

[١] أمير خانوف خزري: "العصر الحجريّ في حضرموت"، نتائج أعمال البعثة اليمنيّة-السوفياتية لعام ١٩٨٥م، المركز اليمني للأبحاث والآثار والمتاحف، عدن، ص ٢٨-٢٩.

[٢] غريا زنيفسكي: "تاريخ حضرموت وحضارتها"، قضايا دراستها والبحوث الأخيرة، الفصل السادس من كتاب "الجديد حول الشرق القديم" ترجمة، جابر ابي جابر، دارالتقدم، موسكو ٩٨٨م ص ٢٢٣.

• نفايات النشاط الانتاجي: عظام لحيوانات صغيرة وضخمة، تمثل بقايا تلك الحيوانات التي كان يصطادها إنسان تلك المغارة[1].

تنتمي كل القطع الحجريّة إلى العصر الحجريّ القديم (الباليوليثي).

بعد ذلك نجد الأدوات تتطوّر، فأخذ حجمها يصغر، وازداد تنوعها أي أن وظائفها صارت أكثر تخصصاً، فهناك أدوات تعود إلى العصر الحجريّ القديم قبل الثقافة (الأشوليّة)، عبارة عن قواطع، وأدوات ذوات نهايات حادة تعود إلى المرحلة (الموسيتريّة)، أما المقاشط الحادة فتعود إلى مرحلة متأخرة من العصر الحجريّ القديم الاعلى، كما نجد أدوات أخرى تعود إلى العصرالحجريّ الحديث (النيوليّثي)، عبارة عن سهام لها أسنة حادة[2].

ومن أعمال البعثة اليمنية -السوفيتيّة، دراسة الطبقة الحضاريّة والترسّبات، لموقع أثري يسمى (الصّفا) على بعد ثلاثة كيلو مترات جنوب منطقة (المشهد) الحاليّة، الواقعة علىالضفة اليمنى من وادي (دوعن)، تمكّنت البعثة خلالها من تحديد الفترات الزمنيّة لآثار ذلك الموقع واتّضح بأنها تعود إلى العصر الحجريّ القديم؛ وبالذات العصر الأشوليّ، حيث عثر على أدوات حجرية مصنّوعة من حجر الصّوان مثل: المعاول اليدويّة، والسّكاكين، والرّماح...[3]

أمّا في منطقة (صافر) الواقعة على بعد (٨٠) كم شمال شرق (مأرب) فقد عثر على مجموعة من الأدوات الظّرانيّة، عبارة عن أسلحة ورؤوس سهام يعود تاريخها للعصر الحجريّ الحديث. في هذا العصر وصل اسلوب صقل الحجر إلى مستوى عالٍ من المهارة وتطورت خلاله القدرات الإبداعيّة للإنسان في مجال

---

[1]) أمير خانوف خزري: العصر الحجريّ....، ص ٣١.

[2]) أمير خانوف: المرجع نفسه، ص ٣٢.

[3]) أمير خانوف خزري: "الأبحاث الباليوليتية في وادي دوعن"، نتائج أعمال البعثة اليمنية – السوفيتية لعام ١٩٨٦، المركز اليمني للأبحاث... عدن، ص١٥.

تجهيز الأدوات، كما نالت صناعة المعاول والسهام ذات الأشكال المختلفة انتشاراً واسعاً في كلّ مكان، وتمّ في هذا العصر -كذلك- اكتشاف تقنيّة تجهيز المصنوعات الفخاريّة، التي كان لها دور كبير في تطور ثقافة العصر الحجريّ الحديث، وظهرت أوانٍ فخاريّة متنوّعة، تم الكشف عن نماذج منها في مناطق متفرّقة من اليمن، وفي (شبوه) عثرت البعثة الفرنسية عام ١٩٨٤م على أدوات حجرية تعود للعصر (الأشولي)، وعلى كثير من قطع الصوان[1].

رابعاً: الفنون الصخريّة:

تُعد آثار الفنون الصخريّة، شاهداً حيّاً على تطوّر وعي الانسان وتطور نمط حياته، ونتاج سلسلة من التّجارب والخبرات، الرّوحيّة المتمثّله في الفنون. والتصورات الدّينيّة.

إن البدايات الأولى للفنّ ظهرت منذ أواخر الثّقافة (الموستيريّة) أي العصر الحجريّ القديم الأوسط[2]، ولم يأت العصر الحجري الحديث إلا وقد تطورت تقنية صناعة الأدوات تطوراً كبيراً مصاحباً لتطور الفنون الصخريّة، التي رسمها الإنسان البدائي على جدران الكهوف وعلى الصخور التي يعيش حولها، والتي امتازت بدقة التصوير، فقد رسم أنواعاً مختلفة من الحيوانات وبالذات تلك التي كانت تشكّل أكثر نفعاً، وأشد التصاقاً بحياته.

لقد ظلت الفنون الصخريّة في اليمن مجهولة لفترة طويلة، ولم تكن موضع اهتمام الباحثين عن آثار مرحلة الحضارة الرّاقية، وربما يرجع ذلك لعدم عثور هؤلاء على أي نوع من تلك الرسومات، حتى جاءت البعثة الأثرية الفرنسية عامي ٧٥-٧٦م، عندما اكتشف مرة أحد أعضائها (بيل هرمنز R.D.Bayle de Hermens) لأول مرّة بعض الرسومات الصخرية في (شبوة).

---

[1]) Maria - louis Inizan, "Premieres elements de pre - histoir dans le region de Shabwa", Raydan, Tome 5 Aden , 1988, p.71 - 78 .

[2]) أسامه عبدالرحمن النور، "مجتمعات الإشتراكية الطبيعية"، اورينتال للنشر والطباعة والتوزيع، مدريد ١٩٨٣م، ص ٢٤٠.

أمّا الانجاز الهام فكان للبعثة اليمنيّة -الفرنسيّة، التي قامت بمسوحات أثريّة في اليمن في عام ١٩٨٨م، مسحت خلالها أكثر من إقليم منها: إقليم (صعدة) في موقع (المسلحقات)، و (الخزائن)، و (الخمرات) وكشفت تلك المسوحات عن نماذج من الفن الصخريّ نحتت في لوحات فنيّة ، تمثّل صوراً لحيوانات مختلفة من وعول، وكلاب، وبقر وحشي، ومن صور آدميّة، وثعابين وجمال فتلك الرّسومات نفّذت عن طريق الحفر الغائر، ومازالت ظاهرة على الصخور وفي مرحلة متطوّرة نجد رسوماً ملوّنة؛ لوّنت بحجر الحسن، وهو حجر احمر اللون*، كما عثر على رموز لم يعرف معناها بعد[١] . أمّا الأشكال الآدمية فتحمل في الغالب أسلحة أو عقوداً[٢]، وفي اقليمي (صنعاء) و (رداع) كشفت البعثة عن نتائج ايجابيّة لمثل تلك الرسومات ولعلنا ندرك من اكتشاف هذه الفنون الصخرية ما كان قد طرأ على الحياة البشريّة من تحوّل جذريّ آنذاك فهي تمثّل وثيقة حيّة للنشاط البشري المتفاعل مع الطبيعة خلال العصور الحجريّة.

ويمكن أن نستنتج من خلال تلك الأشكال أن رسامي تلك العهود بلغوا قدراً عالياً من المهارة الفنيّة؛ فتفاصيل أجسام الحيوانات، تشير إلى معرفتهم بالتّركيب التّشريحيّ لتلك الحيوانات. ولاشك أن دراسة تلك الفنون هامة للغايّة لما لها من صلة وثيقة بدراسة التّصورات الدّينيّة البدائية.

---

* حجر الحسن: يستخدم كمادة تجميل، تستخدمه النساء حتى وقتنا الراهن في بعض المناطق الريفية.

[١] Michel A . Gercia . Madiha Rachad : " mission de releve d'art rupestre au Yemen " . 1989 (rapport 1989) .

[٢] R.de Bay le des Hermens et M. Rachad :" note Pre-islamique sur l'art rupestre de la R. A.Y . mission de 1988 .dans . l'anthropologie (Paris) . Tome 94 (1990) pp .171-174

الفصل الثالث

مصادر دراسة تاريخ اليمن القديم

أولاً: النّقـوش.

ثانياً: الآثـــار.

ثالثاً: المصادر الدّينيّة.

رابعاً: المصادر الكلاسيكيّة.

خامساً: الأدبيات العربيّـــة.



الفصل الثالث

مصادر دراسة تاريخ اليمن القديم

إن كلّ ما دوّن ويدوّن عن تاريخ اليمن القديم وحضارته مستمد -في الأساس- من جملة من المصادر الأساسيّة والثّانويّة.

فالمصادر الأساسيّة هي التي يكون عليها الاعتماد بالدرجة الأولى، لأنها عادة كُتبت أثناء أو بعد وقوع الحدث التّاريخيّ مباشرة، فهي تمثّل وجهة نظر صانع الحدث ذاته، وتتمثّل في النقوش والآثار.

أما المصادر الثّانويّة فيكتبها عادة مَنْ ليس له علاقة مباشرة بالحدث، وقد يتّم تدوينها بعد مضيّ وقت -لا بأس به- من وقوعه، بحيث يمكن أن يشوبها شيء من الخطأ أو المبالغة في السّرد أو التحليل.

وتتكوّن المصادر بشكل عام من :

أولاً: النقوش.

أ. النصوص العربيّة القديمة.

ب. الكتابات الأشوريّة.

ج. الكتابات المصرية القديمة.

ثانياً: الآثار.

ثالثاً: المصادر الدينيّة.

رابعاً: المصادر الكلاسيكيّة.

أولاً: النقوش:

(١) النصوص العربيّة القديمة

وتشمل النصوص التي عثر عليها في شبه الجزيرة العربيّة أو خارجها، وقد كتبت إمّا بخطّوط المسند [illegible] الخط الآرامي –ولاسيّما الخطّ النّبطيّ وفروعه– أو بالخط العربي الخالص.

وأهم تلك النّصوص: النقوش اليمنية [illegible] والتي تسمّى بالمسند، والنقوش الصفويّة*، والثموديّة**، واللحيانية*** [illegible] خط مشتق من خطّ المسند، ثم النقوش النّبطيّة، والآراميّة والفينيقـ[illegible] جميعها عثر عليها في شمال شبه الجزيرة العربية (بلاد الشام [illegible])[1] . وتعتبر النّقوش اليمنيّة أبرز تلك الكتابات.

– النّقوش اليمنيَة القديمة

هيّ الكتابة التّي دوّن بها قدماء اليمنيـ[illegible] ووقائعهم الهامة، وسميّت بخط المسند، أو الخطّ الجنوبيّ العربيّ [illegible] اللغة الساميّة، ويتكون من

---

* الكتابات الصفويّة: وجدت بين [illegible] وبين قلعة الزرقاء إلى الشمال الشرقيّ من (عُمان) و[illegible] في من دمشق، أطلق عليها الكتابات الصفوية نسبة جبال الصفا [illegible] في (الحره).

** الكتابات الثموديّة: تعددت مناطق [illegible] الحجاز وشمال نجد وغيره تنسب للثموديين، الذين استوطنوا الحجاز [illegible]

*** الخط اللحيانيّ: وجد في منطقة [illegible] تنسب الى شعب أو قبيلة تعرف باسم لحيان.

[1] اسرائيل ولفنسون: "تاريخ اللغات السامية". دار القلم [illegible] –لبنان ١٩٨٠م أنظر أيضاً، عبدالعزيز صالح: "تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة". مكتبة الانجلو – مصرية، القاهرة ١٩٨٨ ص٩.

تسعة وعشرين حرفاً أبجدياً، وقد عثر –حتى الآن– على ما يزيد عن عشرة الآف نصّ نقشيّ، وجدت محفورة على الصخور، والحجارة، والطين المحروق، وجذوع الاشجار، أو مصبوبة على شكل نتواءات على صفائح من البرونز.

لقد ظلّت تلك اللغة الّتي دونت بذلك الخط سائدة بمختلف لهجاتها حتّى القرن الثّالث الميلادي، بعدها أصبحت خليطاً من اللغة العربيّة واليمنيّة القديمة، وبعض المفردات الحبشية والمهرية، حتى جاء الاسلام فطغت لغة القرآن وأصبحت اللغة الأم.

بذل علماء الساميات* جهوداً كبيرة في فكّ رموز الكتابة وترجمتها، وساعدهم في ذلك معرفتهم باللغات السّاميّة، والمصطلحات اللغويّة المحليّة، وفي الفترة ما بين (١٨٧٠–١٨٨٠م) تمكّن العالم الألماني (جزنيوس Gesenius) وتلميذه (اميل روديجر A.Rodiger)، من معرفة أبجديّة حروف المسند، علماً أنّ الحسن الهمدانيّ، المؤرخ اليمني الشهير، قد كتب عن تلك اللغة وتحدّث عن ابجديتها منذ القرن العاشر الميلادي[١].

أغلب النّصوص النقشيّة –والتّي تمّت دراستها ونشرها– شملت في محتواها مواضيع متنوّعة[٢] أهمّها:–

– نصوص تعنى بتنظيم الحياة العامة:

---

* علماء الساميات: العلماء المختصون بدراسة اللغات الساميّة بشكل عام وهي: اللغة الأكديّة، والأموريّة، والأشوريّة، والكنعانيّة، والآراميّة، والعبرانيّة، واللغة اليمنية القديمة، والجعزيّة (الحبشيّة القديمة)، واللغة العربيّة.

[١] الحسن بن أحمد الهمداني: "الاكليل"، الجزء الثامن، (في محافد اليمن ومساندها وقصورها ومراثي حمير والقبوريات) تحقيق، محمد بن علي الأكوع، القاهرة ، ١٩٧٩، ص١٨٦–١٨٧.

[٢] روبان، كريستيان: " آثار اليمن وتطور دراستها"، الفصل الثالث من كتاب "مختارات من النقوش اليمنيّة القديمة، محمد عبدالقادر بافقيه وآخرون المنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٨٥، ص ٩٩ – ١٠٠.

وهي المرسومات التي يصدرها الملك، أو القبيلة؛ أو المعبد وهي تعالج قضايا مختلفة تتعلّق بحياة المجتمع مثل: أنظمة الرّيّ، وتوزيع الآراضي، ودخول المعبد، واستخدام بركة جماعيّة وغيرها من التنظيمات المختلفة المتعلقة بحياة القبيلة... الخ.

أ- نصوص دينيّة:

وهي الأكبر عدداً، والأكثر أهميّة، فهي تلك النّصوص النقشيّة الخاصة بالهبات، والقرابين التي تقدم إلى الآلهه، وتحتوي بعض النصوص على اعترافات علنيّة بالأخطاء التي أرتكبها الشخص، وبعضها الآخر يشمل نقوشاً لاحتفالات تذكاريّة، تخص ما كانوا يقومون به من الطقوس الدّينيّة مثل: الصيد الشعائري، أو تنصيب عاهل جديد فهذا النّوع من النقوش وجد في المعابد، والأماكن المقدسّة.

وكانت هذه النصوص تحفر مباشرة على لوحات برونزيّة، أو تماثيل تقدَّم إلى الآلهة، وتلحق بهذه الفئة من النصوص النقشيّة، نقوش تكتب بمناسبة بناء أو ترميمِ المعابد، ومنها النصب الجنائزيّة، وشواهد القبور. وقد تم العثور مؤخراً على نصوص شعريّة ذات طبيعة دينيّة أحد تلك النّصوص كان بمثابة أنشودة موجهة إلى إلهة الشمس[١].

ب- نصوص متعلّقة بالممتلكات:

مثل هذه النصوص تكتب بمناسبة إقامة منشأة بناء، أو بمناسبة ترميمها أو توسيعها، وتسجّل تلك النقوش على جدران تلك المنشآت، سواء كانت دينيّة أم مدنيّة، وتخلّد أحياناً أسماء المهندسين المعمارييّن الذين أسهموا في بنائها، وفي الوقت نفسه

---

[١]) يوسف محمد عبدالله: "نقش القصيدة الحميريّة أو ترنيمة الشمس" (صورة من الأدب الديني في اليمن القديم)، مجلة ريدان، حوليّة الآثار والنقوش اليمنيّة، العدد الخامس، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٨م، ص٨١ – ١٠٠.

تحدّد حقوق الأشخاص فيها. واغلبها يتعلق بممتلكات القبائل. وقد تكون هذه المنشآت عبارة عن مساكن وملحقاتها، أو استحقاقات دفاعيّة، أو آبار وسدود وقنوات، أو أعمال زراعيّة.

ج- نصوص تذكاريّة:

يسجّل هذا النّوع من النصوص أحداثاً تاريخيّة، كذكر حملة عسكريّة أو تسجيل انتصار حربيّ، كما انّها تمجّد الملوك والشخصيات الهامّة في الدولة، لعمل عظيم قاموا به. وخير مثال على ذلك: نقش النصر الذي خطّه المكرب- السبأي (كرب إل وتر) -نقش (Glaser 1000)- بعد الانتصارات التي حققها على دولة (أوسان)، كما نجد أعداداً أخرى من تلك النصوص التذكاريّة تعود إلى عهد الدولة الحميريّة (القرنان الرابع والخامس الميلاديين).

(٢) الكتابات الآشوريّة:

تقدم الكتابات الآشوريّة معلومات عن العلاقات القائمة بين دول العراق القديمة وملوك الدولة السبأيّة فقد ذكر نص للملك الآشوريّ "سرجون الثاني" في عام ٧١٤ ق.م، انه تلقى من الملك "أتي أمر" هدايا من الذهب والأحجار الكريمة والأعشاب والخيول ثمّ ذكر نصّاً أخر لولده الملك "سنحاريب" في عام ٦٨٥ ق.م: أنّه حين احتفل بوضع حجر أساس (بيت أكيتو) -قد يكون هذا معبداً أو حصناً أو قصراً- استقبل مندوباً، من الحاكم السّبأي (كريبى ايلو) حمل إليه هدايا ثمينة، وطيوباً وضع جزءاً منها في أساس المبنى ويرى كثير من المؤرخين أنّ اسم اللكين محرّف من (يثع أمر) و (كرب إل وتر) الملكين السبأيّين[1]، وعلى هذا الأساس وضع بعض العلماء التسلسل الزمني لتاريخ ملوك سبأ (كرونولوجيا)* ملوك سبأ.

---

(1) - Van Beek: South Arabian... P. 229-235.

* كرونولوجيا Chronology: علم يعني التسلسل الزّمني لتاريخ الدول والملوك.

فإذا صحّ ذلك فإن هذا التّوافق الزمني يشير إلى أن سبأ والامبراطوريّة الآشوريّة الحديثّة كانتا متعاصرتين.

(٣) الكتابات المصريّة القديمة:

تعد هذه الكتابات من أقدم المصادر التي تتحدّث عن تجارة البخور، وذلك في سياق ذكرها للرحلات البحريّة التي كانت تجوب البحر الأحمر، قاصدة بلاد (بونت Punt). وهذه الكتابات وجدت على جدران المعبد المصريّ الكبير (بدير البحريّ) بالقرب من (طيبة)، وهي عبارة عن مجموعة من الرسومات الجصيّة الجدرانيّة الملوّنة البارزة، التي تحكي ذكرى رحلة الأسطول المصريّ الذي أرسلته الملكة (حتشبسوت) إلى (أرض الإله)، أو أرض (بونت Punt). وكان هذا الأسطول محملاً بالبخور والمر، وأنواع من شجر الطيب والعاج[١].(حتشبسوت) لّم تكن - بالطبع- أول ملكة مصريّة أرسلت حملة للحصول على الكنوز من أرض (بونت Punt) بل يتضح من نصوص أخرى أنّ البخور كان يستعمل في مصر قبل ذلك بعدة قرون، وكان يجلب براً إلى مصر العليا، في فترة حكم الأسرة الخامسة في حوالي (٣٧٢١ - ٣٥٠٣ ق.م)، عندما أرسل الملك (ساحورع) حملة إلى أرض (بونت) وبتكرار إرسال تلك الأساطيل وتواتر رحلاتها، أصبحت حملات الملكة (حتشبسوت) والفراعنة الذين ينتمون إلى الأسرة الثامنة عشرة (١٥٨٧-١٣٢٠ ق.م) لفترة من الزمن حملات موسميّة[٢] ونقطة الخلاف التي أثارها الباحثون هي بلاد (بونت)، هذه المنطقة ليس لها أي تحديد جغرافيّ حتّى الآن، فمن العلماء من يرى أنها جزء من أثيوبيا أو الصومال، ويرى بعض العلماء أن المقصود بها بلاد

---

١) - Groom . N : Frankincense ... p .22-29 .

٢) Ibid., p.22، أنظر أيضا، سير و.م فلندرزيتري: "الحياة الأجتماعية في مصر القديمة"، ترجمة حسن محمد جوهر، عبدالمنعم عبد الحليم، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥، ص ٢٧٨ - ٢٧٩.

العرب، وفريق أخر يرى أنّها تشمل المنطقة المحيطة بمضيق باب المندب من شبه الجزيرة العربيّة، والقارة الأفريقية، حيث الطقس الملائم لنمو أشجار البخور، وأنواع أخرى من الصمغيات[1]. فاذا صحّ الرأي الأخير، يتأكد لنا -بفضل هذه الكتابات- أن العلاقة بين اليمن القديم ووادي النيل هي علاقة قديمة جداً.

ثانياً: الآثار:

الآثار: هيّ المخلّفات الماديّة، النّاطقة بتاريخ أهلها، فهي التي من خلالها نستطيع أن نعرف مدى الرّقيّ والتّقدم الذي عاشه الأقدمون. فاليمن يزخر بالعديد من المواقع الأثرية التي تعود إلى عصور ما قبل التّاريخ، وإلى عصور تاريخيّة لاحقة. فعلّى الرّغم من الأعمال التنقيبيّة التي شهدتها المنطقة اليمنيّة، الا أنّ هناك أقاليم واسعة، مازالت تنتظر معاول المنقّبين؛ للكشف عن مكوّناتها الأثريّة.

وتنقسم الآثار إلى قسمين رئيسين:

أ- **الآثار الثابتة**: وتتمثّل في المنشآت العماريّة كالأسوار وبقايا المنازل والقصور والحصون والمعابد، والمقابر والسدود والمسلات... وغيرها، ومازال العديد من تلك المنشآت بارزاً للعيان في عواصم الممالك اليمنيّة القديمة، وفي المدن التاريخيّة الهامة.

ب- **الآثار المنقولة**: المقصود بهذا النوع من الآثار: القطع الأثريّة التي يستطيع المرء نقلها من مكان إلى آخر، وتتمثل في الأدوات الحجريّة والتماثيل المنحوتة ، وسائر أنواع المصاغات وأدوات الزينة والمسكوكات التي كانت تتداول في المجتمع، والأسلحة، والفخار... وغيرها.

---

[1]) أحمد فخري: "رحلة أثرية إلى اليمن" ترجمة، هنري رياض، يوسف عبدالله، وزارة الأعلام والثقافة، صنعاء ١٩٨٦، ص ١٦٠-١٦٢.

ومن خلال دراسة تلك الآثار واستنطاق النقوش نستطيع أن نكّون صورة واضحة الملامح للمجتمع اليمنيّ القديم، فتلك المعطيات تمثل شاهداً قوياً على منجزات قدماء اليمنيّن وسجلاً مفيداً لعاداتهم ومعتقداتهم.

ثالثاً: المصادر الدينيّة:

(أ) التوراة والتلمود.

(ب) المصادر المسيحيّة.

(ج) القرآن الكريم وكتب التفسير والحديث.

(أ) التّوراة والتلمود:

التّوراة (كتاب العهد القديم): كتاب اليهود الدّينيّ، وهو عبارة عن مجموعة من الأسفار كتبت ما بين منتصف القرن الثامن والقرن الثاني قبل الميلاد، وكان قد دوّن معظمها في فلسطين، وجزؤها الأخير في العراق، وفي مجموعها إشارات إلى العرب، فبعضها يذكر ملوكهم وقبائلهم حيث جاء ذكر لدولتين من دول جنوب الجزيرة هما: (شبأ) والمقصود (سبأ)، وهزارماقيت، أي (حضرموت). وتروي التوراة أنّ هاتين الدّولتين يتّصلان بمملكة النبيّ سليمان، ومن ثمّ تتحدث عن الرحلة التي قامت بها ملكة سبأ إلى الملك سليمان بن داؤود –حوالي القرن العاشر ق . م.– واصفة لنا ما رافق الملكة من حاشية غنيّة التجهيز، وجمال تحمل الطيوب، وكميات كبيرة من الذهب والأحجار الكريمة[1]. وحتّى الآن لم يعثر على أيّ نقش يمنيّ قديم يذكر تلك الزيارة، لكن هذا لايعني عدم صحتها، فالرواية تؤكد –بما لايدع مجالاً للشك– على وجود تواصل تجاريّ بين جنوب وشمال شبه الجزيرة العربيّة.

---

[1]) التوراة: سفر التكوين، الاصحاح العاشر، سفر الملوك الثالث الاصحاح العاشر، الآيات (١–١٣)، أخبار الأيام الأول، الاصحاح الأول، الآيات (٩،٢٠)، سفر أيوب، الاصحاح الأول، أية (١٥).

أمّا التلمود (Talmud) ومعناه: التعليم، فهو يكمّل أحكام التوراة، وكان قد دوّن فيما بين أواسط القرن الثالث واوائل القرن السادس الميلاديين.

والتلمود في حقيقته تلمودان: فلسطينيّ وبابليّ، وفي كليهما إشارات إلى العرب[1].

وهناك من الباحثين اليهود من ذكر معلومات عن العرب، ولعل أبرزهم: (جوزيفوس فلافيوس Josephus Flavius ٣٧ - ١٠٠ م) إذ تحدّث بالتفصيل عن الأنباط والعرب بشكل عام[2].

(ب) المصادر المسيحيّة:

كتب المسيحيون كثيراً عن جغرافيّة البلاد العربيّة، وتاريخ العرب وأحوالهم السياسيّة والاجتماعيّة، ومن أشهر الكتّاب الذين أسهموا في هذا المجال:

(١) (اويسبيوس القيصري Eusebius of Caesarea ٢٦٥-٣٤٠م) والذي ألّف عدة كتب عن تاريخ العرب العام، وفلسفة اليونان وديانتهم، وطبغرافيّة فلسطين.

(٢) المؤرخ اليوناني (زوسيموس Zosimus ٤٠٠-٤٤٣م) الذي أشار في كتاباته إلى العرب وعلاقتهم بامبراطوريّة الروم والبيزنطيّين.

(٣) (شمعون الارشامي) مؤلف (رسائل الشهداء الحميريين) التي تغطي أحداث القرن السادس الميلادي، وتستعرض ما قام به الملك الحميريّ "ذونواس" من اضطهاد وتعذيب وقتل للنصارى في نجران.

(٤) (بروكوبيوس Procopius) البيزنطيّ، المتوفّي عام ٥٦٥م، مؤلف كتاب (تاريخ الحروب) وفيه يحدثنا عن الحروب التي نشبت بين الغساسنة والمناذرة، وحملة الأحباش على اليمن[3].

---

[1] جواد علي: "المفصّل" في تاريخ العرب قبل الإسلام"، جـ ١، دار العلم للملايين، بيروت مكتبة النهضة، بغداد ١٩٧٦، ص٥٤-٥٥.

[2] المرجع نفسه، ص٦١-٣٦.

[3] لمعرفة المزيد عن أخبار اليمن في المصادر السريانيّة، راجع: الصلوي إبراهيم: "قصة أصحاب الأخدود "رسالة ماجستير غير منشورة"، الجامعة اللبنانيّة، بيروت (١٩٧٩).

(ج) القرآن الكريم وكتب التفسير والحديث:

القرآن الكريم: مصدر تاريخي هام، بل هو أقدم المصادر العربية المدونة لتاريخ العرب في الجاهلية، اذ يحدثنا عن مظاهر حياة العرب السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية.

ذكر القرآن بعض أخبار العرب البائدة مثل: عاد وثمود (سورة الفجر، الآية٦ ومابعدها، وسورة الحاقة الآيات ٤-٨) وأصحاب الفيل، حملة أبرهة على مكة في (سورة الفيل، آية٥) وسيل العرم (سورة سبأ الآية ١٦٠)، وأصحاب الأخدود (اضطهاد نصارى نجران وقتلهم بأمر ملك حمير (ذونواس) (سورة البروج الآيات ٤-٧).

وقد وردت في القرآن آيات تشير إلى الجنتين بجانب سد مأرب والتي [illegible] النخيل والأعناب والزروع [illegible] تقول (سورة سبأ آية رقم ١٥، وسورة البقرة الآيات [illegible]).

كما أشير في القرآن الكريم أيضا إلى النشاط التجاري لقريش ورحلاتهم في (سورة قريش الآيات ١-٢، وسورة النحل الآية [illegible]، وسورة الإسراء آية ٦٦، وسورة الشورى الآيات ٣٢-٣٣).

كما تحدثت آيات أخرى عن [illegible] الجاهلية وعبادة الأصنام وعبادة [illegible] المجوسية واليهودية والنصرانية [illegible] والحنيفية وغيرها من المظاهر العقائدية (سورة النمل الآية ٤٤، سورة فصلت الآية ٣٧).

أما كتب التفسير فتعتبر ثروة تاريخية قيمة توضح وتفسر ما هو غامض ومجمل في القرآن وتتحدث عن الأحداث ومظاهر الحياة المختلفة. وأشهر كتب التفسير: تفسير الطبري المسمى "جامع البيان في تفسير القرآن"، وتفسير (ابن كثير الدمشقي) المسمى "تفسير القرآن الكريم" وتفسير (البيضاوي) المسمى "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، وتفسير (الرازي) المسمى "مفاتيح الغيب"... وغيرها.

وإلى جانب كتب التفسير تأتي كتب الحديث وشروحها مكمّلة لها، فهي تحدثنا عن جوانب عديدة: عن أحوال العرب في فترة قبل الإسلام حتى مجيئه، ومن أشهر كتب الحديث: (الجامع الصحيح البخاريّ)، وشروحه و (صحيح مسلم) وشروحه، و (سنن أبي داؤود)، و (سنن الترمذي).

رابعاً: المصادر الكلاسيكيّة:

تعتبر الكتابات الكلاسيكيّة[1] من أفضل المصادر المدوّنة القديمّة، ولعل أفضل من كتب عن اليمن القديم عدد من المؤرخين نذكر منهم:-

١. (أخيلوس Aescylus ٥٢٥ - ٤٥٦ ق.م): ويعتبر أقدم من ذكر العرب من اليونانيين، اذ اعتمد عليه أغلب المؤرخين الكلاسيكيّن الذين أتوا بعده.
٢. (هيرودوتس Herodotus) عاش في القرن الخامس ق.م: سمّي بأبي التّاريخ، عاش في فترة الاحتلال الفارسي لمصر، زار مصر وتتبع أخبار الشرق، وتحدّث عن الحروب التي نشبت بين الفرس والمصريين في القرن السادس ق.م، ورسم خريطة لبلاد العرب، كما ذكر اللبان والمرّ، فكتب يقول: "إنّ بلاد العرب هي الموطن الوحيد لإنتاج (اللبان) و(المرّ)، و (خيار شنبر)، و(القرفة) و (الدار صيني) و (اللاّدن)، والحصول على هذه الأشياء يتطلّب مصاعب كبيرة، فالثعابين الطائرة تهاجم مَنْ يقترب من أشجار البخور، وهذه الثعابين صغيرة الحجم متعددة الألوان، تقوم بحراسة أشجار البخور، والطّريقة الوحيدة لإبعادها حرق صمغ (الميعة) الذي يجلبه التّجار إلى اليونان، فتهرب في دخانه، وعندما يذهب العرب لجمع (خيار شنبر) يغطون وجوههم عدا عيونهم بجلود الثيران...".

---

[1] Groom .N :Frankincense ... pp . 80-88 . أنظر أيضا، جواد علي: المفصّل، جـ ١، ص ٥٦-٦١. عن الكتابة الكلاسيكية.

٣. (ثيوفراستوس Theophrastus ٣٧١-٢٨٧ ق.م): من خلال كتابه عن النبات، طرّق إلى البقاع العربيّة التّي تنتج اللبان والمرّ والصمغيات بشكل عام، فتحدث عن اليمن القديم، وما يصدّره من تلك المواد، كما تحدّث عن السّبأيّين بانّهم رجال حرب وزراعة وتجارة، وذكر الممالك اليمنيّة، سبأ وقتبان وحضرموت.

٤. (ايراتوسثنس Eratosthenes ٢٧٦-١٩٤ ق.م): قسّم بلاد العرب إلى: عربيّة سعيدة، وهي الجزء الجنوبيّ منها وعربيّة قفراء وهي الجزء الشّماليّ، وقال: "انّ (العربيّة السعيدة) خصبة التربة ترويها عدة أنهر أمّا (العربيّة القفراء) فأرضها رمليّة لا وجود للمياه فيها، ولا آبار. ويسكن القسم الشّماليّ من (العربيّة السعيدة) شعب معين وسبأ وقتبان وحضرموت، وحدد مواقع تلك الممالك وذكر عواصمها.

٥. (ديودورس الصقلي Diodoruo Siculus، المتوفّي سنة ٤٠ ق.م): استفاد ممن سبقوه في وصف روائح بلاد العرب وثراء السّبأيّين، له كتاب في التّاريخ العام يسمى (المكتبة التّاريخيّة).

٦. (سترابو Strabon, Strabn ٦٤ ق.م-١٩م): مؤلف كتاب (الجغرافيا) والمكون من سبعة عشر جزءاً، أفرد فصلاً من الجزء السادس عشر، تحدّث فيه عن المدن العربيّة والقبائل العربيّة، ووصف أحوالها الاجتماعيّة والاقتصاديّة، وخير ما أفادتنا به كتاباته معلومات عن الحملة الرّومانيّة على اليمن، وهذه المعلومات هي مصدرنا الوحيد لهذا الحدث التّاريخي الهام وكان (سترابو) هو الصديق الحميم لقائد تلك الحملة (اليوس جالوس).

٧. (جالوس بلينوس الثاني Galus Plinius Secundus، المتوفي عام ٧٩ م): يسمى كتابه (التّاريخ الطبيعيّ Naturalis Historia)، وهو يحوي ٣٧ قسماً ومن أظهر ممّا قال فيه عن العرب: "العرب أغنى أمم العالم، نظراً لتدفق الثروة -من روما وبارثيا (فارس)- إليهم، وتكديسها بين أيديهم، فهم يبيعون ما يحصلون

عليه من البحر، ومن غاباتهم، ولايشترون شيئاً مقابل ذلك "ويضيف" إنّ المعينيين يملكون أرضاً خصبة يكثر فيها النخيل والأشجار، وكان لهم قطعان من الماشية. وانّ السبأيّين كانوا أعظم القبائل ثروة بما تنتجه غاباتهم الغنيّة من أشجار البخور، وما يملكون من أرض مزروعة وما ينتجون من العسل وشمع العسل.."

٨. (كلوديوس بطليموس Claudius Ptolemaes، ت ١٤٠م): يعرف بالقلوذي، له كتاب في الجغرافيا عرف بـ (جغرافية بطليموس)، جمع فيه ما شاهده، وما سمعه، وما عرفه العلماء اليونانيون عن أقطار الأرض، فضمّنه وصفاً لأرض العرب، وأحوالهم التجاريّة والاجتماعيّة. وكان هذا الكتاب مصدراً هاماً للمؤرخ اليمنيّ(الحسن الهمداني)، إذ اعتمد عليه في مقدمته لكتاب "صفة جزيرة العرب".

٩. كتاب الطواف حول البحر الارتيري (بروبليوس)، القرن الثالث الميلادي تقريباً: "Periplus of the Erythraean Sea" مؤلفة بحّار أو رحالة يوناني مجهول، لهذا الكتاب الفضل في الكشف عن جانب هامّ وحيويّ من تاريخ اليمن القديم، لم تذكره النقوش، ولا المصادر الأدبيّة الأخرى، هو النّشاط البحريّ. لقد ذكر مؤلف هذا الكتاب أنّ العرب الجنوبيين لايسيطرون فقط على طرق القوافل البريّة التي تربط بلادهم باسواق الشام، ولكنهم أيضاً يسيطرون على زمام التجارة البحريّة بين موانئهم وسواحل شرق افريقيا والهند. ولهم مراكب كثيرة يسافرون عليها إلى سواحل شرق افريقيا حتى (ربطة) على ساحل (موزنبيق)، وموانئهم مليئة بأصحاب السفن والملاّحين العرب، وهم مشغولون بشؤون التجارة، كما وجدهم يحكمون (ارتيريا) و (الصومال) وساحل (كينيا) و (ربطة)، وحتى عهده كان ساحل أفريقيا يسمّى بالساحل الاوساني[1].

---

[1] - Schoff Wilfred . H: The Periplus of the Erythraean Sea . (Trans and Commentary). Longmans . Green . New York 1912 .

ويعتبر ما كتبه الكلاسيكيّون -رغم ماتحمله معلوماتهم من مبالغة، وتعارض في الغالب- مفيداً في كثير من الأحيان، كونها تعطي صورة عامة لليمن القديم، في فترة ما بين أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، وحتى القرن الثالث الميلاديّ، حيث أحتوت تقاريرهم على معلومات جغرافيّة قيّمة، حددوا فيها مواضع الممالك اليمنيّة الرئيسيّة؛ وبعض المدن الهامة، وتتبعوا بشكل جزئيّ التبدلات السّياسية للفترة السالفة الذكر، وعزوا الثراء إلى الزراعة، وتجارة المرّ والبخور، وكان البخور في نظرهم عماد التجارة، فوصفوا أشجاره وطريقة استخراجه، وتحدثوا عن أسعاره في الأسواق العالميّة. كما شملت كتاباتهم معلومات عن التنظيمات الحكوميّة والاجتماعيّة، والعادات في المنطقة، كما قدّموا معلومات هامة عن التسلسل التّاريخيّ (الكرونولوجيا) من خلال ذكرهم لأسماء العديد من ملوك اليمن القديم.

خامساً: الأدبيات العربيّة:

نقصد بها كلّ الكتابات الّتي دوّنت في العهد الاسلاميّ، وتتكون من:

(أ) الشّعر الجاهليّ.

(ب) وثائق الإخباريين.

(ج) الكتب العربيّة الإسلاميّة.

(أ) الشّعر الجاهليّ:

يعدّ من المصادر الهامّة، التي تتحدّث عن أوضاع العرب الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثّقافيّة، وعن أيامهم ووقائعهم، وعاداتهم، وعقائدهم ومعابدهم، إلا أنّ الكثير من تلك القصائد تحتاج إلى دراسة متأنّية للتأكد من صحتها، خاصّة وأنّ تدوين الشّعر الجاهليّ تم في العصور اللاحقة للإسلام، ولاريب أنّ هذا الشعر كان

قد تعرّض لشئ من التغيير والانتحال عند تدوينه آنذاك على يد بعض الرّواة كـ (حمّادة الرّاوية)* و (خلف الأحمر)**.

(ب) وثائق الإخباريين:

ما تركه لنا الإخباريون من معلومات لا يمكن الاعتماد عليها اعتماداً كلياً؛ لأنّ روايات هؤلاء الإخباريّين تتّسم بالارتباك والتناقض، وبضحالة المادة العلميّة، ناهيك أنّ الطابع الأسطوريّ يغلب عليها. وفي العهد الاسلاميّ -وبعد أن استقرت أركان الدولة الإسلاميّة- أخذ الرّواة والإخباريّون يعنون بجميع أخبار العرب في الجاهليّة والإسلام، وأخبار من اتّصل بهم من الأقوام. ويعدّ (عبيد بن شرية الجرهمى) و (وهب بن منبّه) في طليعة من اشتغل برواية الأخبار لعصر ما قبل الإسلام.

- عبيد بن شريه الجرهمي (ت ٦٧ هـ = ٦٨٦ م): من أهل صنعاء، كان قاضياً حافظاً للأخبار، برز في بلاط (معاوية بن أبي سفيان) كقاص لأخبار العرب وأيامهم، وأخبار العجم وملوكها، وتنسب إليه كتب كثيرة منها: (كتاب الملوك وأخبار الماضيّين)، طبع في ذيل (كتاب التيجان في ملوك حمير). ويغلب على أخبار (عبيد) طابع السّمر، والقصص الشعبية (الفولكلور) المتأثرة بالاسرائيليّات.
- وهب بن منبه (ت ١١٤هـ وقيل ١١٠ أو ١٢٠ هـ): من أهل ذمار باليمن، وهو من الأبناء -أي من سلالة الأسر الفارسيّة- كان يهوديّ العقيدة، تحدّث عن أخبار اليمن والأقوام البائدة، وعن نصارى نجران وتعذيبهم وقتلهم على يد (ذي نواس). وأهم مؤلفاته "كتاب الملوك المتوّجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم".

---

* حمّادة الرّواية (ت ٧٧٢ هـ): ولد في الكوفة وتوفي ببغداد أشتهر بسعة علمه، وحفظه الشعر الجاهلي والإسلامي، والفضل له في جمع المعلقات.

** خلف الأحمر (أبو مُحرز) (ت ٧٩٦ هـ): من أهل البصرة، من رواة الشعر ونقاده، بلغ من مهارته في الشعر أن يشبه شعره بشعر القدامى، فينحلهم قصائد من نظمه.

(ج) الكتب العربيّة الإسلاميّة:

لم يعط العرب المسلمون اهتماماً كبيراً لدراسة تاريخ وحضارة اليمن القديم. فكلّ ما جاء في مؤلفاتهم عبارة عن مقتطفات من تاريخ اليمن، هذا إذا استثنينا مؤرخنا اليمنيّ الحسن الهمدانيّ الذي أنكبّ على دراسة أحوال اليمن التّاريخيّة والحضاريّة والجغرافيّة وخصص جلّ جهوده لذلك.

١. **الكلبيّ**: محمد بن السّائب (ت ٧٦٣ م) وابنه هشام بن محمد الكلبيّ (ت ٨١٩ م):

هما من علماء الكوفة، كان الأب عالماً بالأنساب، ثم خلفه ابنه هشام الذي سار على نهج والده، غير أنّه تفوّق عليه، وصار في طليعة الباحثين في الدراسات التّاريخيّة، برجوعه إلى الأصول واعتماده على المراجع التّاريخيّة، فنهج في كتابته نهجاً قريباً من المنهج التّأريخيّ السليم. وتعود إليه أغلب معارفنا عن فترة الجاهليّة. له عدة مؤلفات لم يُعرف منها سوى ثلاثة أعمال هي: كتاب (النسب الكبير) أو (الجمهرة في النسب)، وكتاب (نسب فحول الخيل في الجاهليّة والإسلام)، و (كتاب الأصنام).

٢. **اليعقوبيّ**: أحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٩٢ هـ = ٨٩٧ م):

تحدّث عن ملوك اليمن، وملوك الشّام، وملوك الحيرة من اليمن، وتحدث عن كندة، وولد إسماعيل بن إبراهيم، ومعلومات عن أديان العرب وأصنامهم، وأسواقهم الموسميّة، وحكامهم العرب وشعرائهم، وذلك في كتابه الموسوم بـ (تاريخ اليعقوبيّ).

٣. **الطبريّ**: أبو جعفر، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ = ٩٢٣م)

في كتابه (تاريخ الرسل والملوك)، وفي تفسيره (جامع البيان في تفسير القرآن) معلومات تاريخية وسياسيّة واجتماعيّة ودينيّة واقتصاديّة عن العرب قبل الإسلام.

٤. **المسعوديّ**: عليّ بن الحسن (ت : ٣٤٥ هـ = ٩٥٦ م):

في كتابه (تاريخ المسعوديّ) تحدّث عن ثقافة قدماء العرب وتاريخهم، كما تحدّث عن رحلاته إلى الهند وسيلان والصين وزنجبار له عدة مؤلفات أخرى نشرت

جميعها، أهمها: كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر)، نشر عام (١٨٦١-١٨٧٧م)، وفيه تحدث عن الخلق، وقصص الأنبياء، وأقوام العرب البائدة، وتحدّث عن ديانات العرب، وعن بيوت العبادة.

٥. **الهمدانيّ**: الحسن بن أحمد يعقوب، الملقب بـ (لسان اليمن) أو (ابن الحائك)[1]:

ولد بصنعاء سنة (٢٨٠هـ = ٨٩٢) م، وتوفي بمنطقة (ريدة)، شمال (صنعاء) سنة (٣٦٠هـ = ٩٧٠) م تقريباً، عاش الهمدانيّ في عصر كانت الحالة الأدبيّة والعلميّة في العالم العربيّ تشهد تطوراً وعطاءً خصباً لم يشهد له مثيل من ذي قبل، وعلى رغم أنّ اليمن -في عصره- كانت تمثل ولاية من ولايات الدّولة العباسيّة، وبعيدة عن عاصمة الدولة المركزيّة بـ (بغداد) فإننا نلمس بصماته بارزة في الحركة الثقافيّة والعلميّة لتلك الدولة، كما نجده يحتلّ مكانة بين أدباء وعلماء وشعراء ذلك العصر، الذي كان من أبرزهم: (الطبريّ)، و (المسعوديّ)، و (المتنبيّ)... الخ.

إلاّ أنّ أهمّ مميزات الهمدانيّ، ولعه الشديد بدراسة اليمن تاريخياً وحضارياً وجغرافياً في فترة إتّجهت الكتابات العربيّة الإسلاميّة لدراسة الفقه، والشريعة، وتاريخ الدولة العباسية.

أمّا على الساحة السياسيّة الدّاخليّة فنجد الهمدانيّ قد عاش في ظروف سياسيّة قاسيّة، خاصة وأنّ اليمن آنذاك كان مسرحاً للفتن والتّطاحن، فترة بلغ الصّراع العدناني -القحطانيّ أوجه إن تلك الأوضاع المترديّة- التّي كان يعيشها اليمن على جميع المستويات - كانت محركاً ودافعاً رئيسياً لتعمّق الهمدانيّ لدراسة تاريخ وحضارة اليمن ونستشف من خلال كتاباته وطنيّة صادقة، تعكسها مواقفه السياسيّة، فقد استخدم الآثار والنقوش كقرائن ماديّة لاتقبل الشّكّ، تبرهن على تمدّن اليمن منذ القدم.

لقد أقلقت كتابات الهمدانيّ سلطات عصره وخاصة (الأئمة) ومناصريهم فزجّ به في السجن أكثر من مرة، بتهمة التّحريض ضدّ آل البيت كما أتّهم بسبب

---

[1] - Al- Garoo Asmahan : " Les antiquites du Yemen dans L'ouvres d'al . Hamdani ", (these) Paris , 1986 .

الرسول ، وكانت هذه التّهم ملفّقة للتخلّص منه لقد كان للهمدانيّ مـن تلـك الدراسـات هدفٌ سامٍ الغرض منه إعادة وحدة اليمن وصورته الحضاريّة.

أمّا مؤلفاته فتعتبر -دون جدل- مصدراً هاماً من مصـادر دراسـة التّـاريخ اليمنيّ، والدور الحضاريّ الذي لعبه اليمن فقد تطرّق للغة اليمنية القديمّة (النقـوش)، والآثار، ولعادات وتقاليد اليمنييّن، وخير ما تركه لنا مـن ثـروة علميّـة قيّمـة، توثيقـه لأسماء عدد كبير من الشّعراء من مختلف العصور، منهـم مَـنْ عـاش قبـل الإسـلام، ومنهم من عاش بعده، كما وثّق لنا العديد مـن المنـاطق والقبـائل التـي لـولاه لطوتهـا صفحة النّسيان إنّ دراسة الهمدانيّ لم تقتصـر علـى اليمـن فحسـب بـل تطرّقـت إلـى الفكر العربيّ الإسلامي، والصراعات السياسيّة السائدة آنذاك، فقد تناول شتى العلوم، فـي مجـال التّـاريخ، والجغرافيـا، والآثـار، والأنسـاب، والفلـك، والطّـب، والتّعديـن، والأدب، والفلسفة ولم تصلنا سـوى نـزر يسـير مـن مؤلفاتـه، أمّـا البقيـة فقـد وصلنـا علمها من خـلال مـا ذكـره لنـا الهمدانـيّ نفسـه فـي طـيّ مؤلفاتـه التـي عـثر عليهـا، وبعضها وصلنا معرفتها بواسطة (صاعد الاندلسيّ ت ٤٦٤ هـ) فـي كتابـه (طبقـات الأمم)، فهو أول من ترجم للهمدانيّ من علمـاء الأندلـس. ففـي تلـك الفـترة كـانت قـد وصلـت إلـى الأندلـس أغلـب مؤلفـات الهمدانـــيّ بفضـــل الخليفـــة (المنتصـــر باللـــه) عام٣٥٠هـ الذي كان شغوفاً بالعلوم، وبتجميع المؤلفات العلميّة من كل بلد، كما أفادتنا ترجمة (عليّ بن يوسف القفطي) في كتابه (أبناء الرواة في أنباه النّحاة).

مؤلفات الهمدانيّ المطبوعة والمنشورة:

(١) **الاكليل**: عشـرة أجـزاء لـم يبـق منهـا سـوى الأجـزاء الأوّل، والثّـاني، والثّـامن، والعاشر.

- الجزء الأول: في المبتدأ وأصول أنساب العرب والعجم، ونسب ولد حمير.
- الجزء الثاني: في نسب ولد الهميسع بن حمير، وقد طبع الجزءان باختصار قام به (محمد بن نشوان الحميريّ).
- الجزء الثّامن: في محـافد اليمـن، ومسـاندها، ودفائنهـا، وقصورهـا ومراثـي حمير، والقبوريات (في آثار اليمن).

- الجزء العاشر: في معارف همدان، وأنسابها، وعيون أخبارها.

(٢)**صفة جزيرة العرب** : من الكتب القيّمة للهمدانيّ التي تبحث في جغرافيّة جزيرة العرب، وأسماء بلادها، وأوديتها، ومن يسكنها.

(٣)**كتاب الجوهرتين العتيقتين:** من أجود مؤلفات الهمدانيّ، وأكثرها نفعاً، فهو يتعلّق بالذهب والفضّة من حيث تعدينها، وصياغتها، وكلّ ما يتصل بها.

(٤)**الدامغة:** قصيدة للهمدانيّ، قرابة ٦٠٠ بيت رد فيها على قصيدة للشاعر (الكميت بن زيد الأسديّ)، في تفضيله عدنان على قحطان.

(٥)**المقالة العاشرة من سرائر الحكمة:** وهي متعلّقة بالنّجوم، ويظهر انّها كاملة في موضوعها وأنّ المقالات التسع الأخرى من الكتاب تتعلق بموضوعات أخرى في الفلسفة لم نعثر عليها بعد.

مؤلفات الهمدانيّ المفقودة :

- **كتاب الإبل:** يتحدث عن الحيوان.
- **كتاب أخبار الأوفياء:** يبحث في أخبار بني شهاب وأيّامهم.
- **كتاب الأيام:** يبحث في أشعار قضاعة، وأخبار خولان.
- **كتاب الحرث والحيلة:** عن الأرض.
- **ديوان الهمدانيّ.**
- **زيج الهمدانيّ:** جداول توضح أطوال وعروض المواضيع الجغرافيّة.
- **سرائر الحكمة:** تسع مقالات، في الفلسفة والفيزياء.
- **كتاب السّير والأخبار.**
- **كتاب الطّالع والمطارح:** في النجوم.
- **كتاب القوي في الطب.**
- **كتاب المسالك والممالك.**
- **مفاخر اليمن ووقائعها.**
- **كتاب اليعسوب:** في الرّميّ بالسّهام والنّصال، وفقه الصيد حلاله وحرامه.
- **الأجزاء الستّة المفقودة من الاكليل.**

- **الجزء الثّالث:** يبحث في فضائل اليمن ومناقب قحطان.
- **الجزء الرّابع:** في السيرة القديمة لحمير، من عهد يعرب بن قحطان إلى عهد أبي كرب اسعد "أسعد الكامل".
- **الجزء الخامس:** في سيرة حمير الوسطى، من عهد أبي كرب إلى عهد ذي نواس.
- **الجزء السّادس:** في سيرة حمير، من عهد ذي نواس إلى عهد الإسلام.
- **الجزء السابع:** في ذكر السيرة القديمة، والأخبار الباطلة، والمستحيلة.
- **الجزء التّاسع:** في كلام حمير، وتجاربهم المرويّة بلسانهم.

هكذا –ومن خلال تلك المؤلفات المتعدّدة والمتنوّعة– يتّضح جليّاً أنّ الحسن الهمدانيّ، بذل جهداً عظيماً في دراسة اليمن وتاريخه، وحضارته، بمختلف جوانبها وأنّ دلّ هذا على شيء فإنّما يدلّ على مدى الوعي والحسّ الوطنيّ لديه.

(٦)نشوان بن سعيد الحميريّ:

عاش في القرن الثّاني عشر الميلاديّ، وحذا حذو الهمدانيّ في الحديث عن عظمة اليمن وحضارته، تحدّث عن ملوك حمير وانتصاراتهم أهم مؤلفاته (القصيدة الحميريّة) وشمس العلوم، ودواء كلام العرب من الكلوم.

الفصل الرابع

البحث عن النّقوش واكتشاف الآثار في اليمن

أولاً: تاريخ الاهتمام بآثار وحضارة اليمن القديم.

ثانياً: البحث عن النّقوش.

ثالثاً: التنقيبات الآثريّة.



أولاً: تاريخ الاهتمام بآثار وحضارة اليمن القديم:

يعتبر "الحسن الهمداني" -كما أشرنا آنفاً- من أوائل العلماء العرب المهتمين بالحضارة اليمنيّة وازدهارها، منذ أن شرع يكتب مؤلفاته في القرن العاشر الميلاديّ، فتحدّث بإسهاب عن الآثار، باعتبارها وثائق تاريخيّة حيّة، ومستندات ماديّة لما تبقى من أمجاد ذلك الماضي العريق. وكتب لنا بعضاً من النصوص النقشية.[1]

أمّا اهتمام الغرب بالنّاحية الأثريّة والحضاريّة لليمن، فقد كانت مع بداية عصر النّهضة الأوربيّة -أي منذ حوالي القرن الخامس عشر الميلادي- عندما ظهر ميل شديد للدراسات الدينيّة (الإنجيليّة)، فاتجهت أنظارهم صوب اليمن؛ للتّحقّق من الرّوايات التي ذكرتها الكتب المقدّسة عن ملكة سبأ، وزيارتها للملك سليّمان[2].

إن أوّل رحلة أوربية نظّمت لزيارة اليمن كانت عام ١٧٦٢م،[3] موّلها ملك الدّنمارك، ضمت خمسة من العلماء، من الدّنمارك، السويد، والمانيا، في ٢٩ديسمبر من العام نفسه وصلت البعثة إلى ميناء (اللحية) ثم غادرت (اللحية) في ٢٢ فبراير ١٩٦٣م، ووصلت (بيت الفقيه) ومن (بيت الفقيه) قامت برحلات فرعية أهمها إلى (غليفقه)، و (الحديدة)، و (زبيد) ورحلة باتجاه (العدين)، (جبلة) و(تعز) (صنعاء)، وفي (صنعاء) التقت بالامام المهدي عباس -آنذاك- ثم غادرت (صنعاء) إلى (بيت الفقيه)، و (المخا)، وفي٢٣ أغسطس ١٩٦٣م غادرت البعثة اليمن في طريقها إلى

---

[1]) الهمدانيّ،"الاكليل"، جـ ٨، أنظر ايضاً .AL- Garow Asmahan, op.- cit, pp.341- 378

[2]) بافقيه، محمد عبدالقادر، والفريد بيستون وكريستيان روبان ومحمود الغول: "مختارات من النقوش اليمنية القديمة"، المنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٥م، ص١٠٦-١٠٧. أنظر أيضاً: ثوركلد هانس: "من كوبنهاجن إلى صنعاء"، ترجمة: محمد أحمد الرعوي، (إصدارات مركز الدراسات والبحوث - صنعاء) دار العودة -بيروت ١٩٨٣م.

[3]) - Pirenne. J: "a' la de'couverte de L'arabie, cinq sie'cles de science et d'aventure", Paris, 1958, pp. 113-126 .

الهند. لقد كانت تلك البعثة منحوسة الطالع، خاصة بعد أن قضت الملاريا على جميع أعضائها، ولم يبق منها سوى الجغرافي الدّانمركي (كاريستن نيبور C. Niebuhr)؛ الذي سجّل نتائج رحلته في مجلدين الأول بعنوان (وصف بلاد العرب Beschreibung Von Arabien)[1] في القسم الأوّل أورد معلومات عامة عن عرب الجزيرة العربيّة، عن حياتهم الدينيّة والاجتماعيّة، كما تحدّث في قسم آخر عن جوانب من تاريخ اليمن وجغرافيته والحياة السياسيّة والاجتماعيّة فيه، في الأقسام الأخرى من الكتاب قدم معلومات عن البلدان المحيطة باليمن، كـ (الحجاز) و(لاحساء) و (نجد)، و (عمان)، و (الامارات) المستقلة في الخليج وأفرد قسماً تحدث فيه عن حضرموت[2].

المجلد الثاني: بعنوان "وصف رحلة إلى بلاد العرب والبلدان المجاورة" (Reisebeschreibung nach Arabien und den umliegenden Landern).

وهو عبارة عن سجّل لوقائع رحلته، منذ إقلاعه من ميناء (كوبنهاجن) وحتى عودته[3].

وبالرغم من أن (نيبور) لم يستنسخ أيّ نقشٍ يمنيٍّ قديمٍ، فقد ذكر أنّه سمع أنّ هناك نقوشاً لا يستطيع اليهود ولا المسلمون قراءتها، وذكر أنّ هناك آثاراً لسد وقصر في (مأرب).

إنّ أهميّة مؤلفات (نيبور) تكمن في أنه لفت نظر علماء الغرب للنّقوش اليمنيّة، وقدّم ملاحظات قيّمة عن شبه جزيرة العرب وقبائلها بشكل عام، فتضمّنت

---

[1]) Niebuhr Carsten: "Beschreibung Von Arabien". Aus eigenen Beobachtungen und im Lande Selbst gesammelt Nachrichten. Kopenhagen. 1772 . Nachdruck 1969.

[2]) الصايدي، احمد قائد: "المادة التاريخيّة في كتابات " نيبور" عن اليمن"، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠، ص٦٣.

[3]) المرجع نفسه، ص٦٤.

هذه الملاحظات حديثاً إضافياً عن شؤون العرب الاجتماعيّـة والسّياسيّة نـاهيك عمّـا أبرزته الخرائط الجغرافيّة المفصّلة المبثوثـه فـي كتبـه، مـن مواقـع وأمـاكن لـم تكـن معروفة البتة لدى علماء الغرب من قبل وهذا ممّا يسّر -فيما بعد- مهمـة البحـث، وسبل الدراسة لجمهرة علماء الغرب الذين أتوا عقب هذا الرّجل.

ثانياً: البحث عن النقوش:

في عام ١٨١٠م وصل العالم الالماني (و.ي. ستزن. U.E)Seetzen إلـى اليمن، ليبحث عن النّقوش التّي ذكرها (نيبور) فوجد بعضـها فـي ظفـار* (العاصـمـة الحميرية) وضواحيها، كمـا زار (مـأرب)، وأرسـل رسـالة لأحـد أصـدقائـه تضمّنـت صوراً لبعض النّقوش التي عثر عليها، والتي يصعب قراءتها وبفضـل هـذه الرسـالة عرفت أوروبا -ولأول مرّة- ماهيّة الكتابة اليمنيّة القديمة. ثم عقد العزم أن يتّجه براً إلى شبه الجزيرة العربيّة والخليج، فسلك طريقاً داخليّة وفجأة ضبط ومعـه مجموعـة مـن الحشـرات التـي كـان يسـتخدمها فـي أبحاثـه الخاصـة بعلـم (التّـاريخ الطّبيعـيّ) فصودرت وألقي القبض عليه، بحجة أنّه يستخدم الحيوانات الميّتة للسّحر، وبعد ذلـك قُتل مسموماً في سجن (بتعز) عام ١٨١١م[1].

في مطلع القرن التاسع عشر أخذ الاهتمـام بالآثـار القديمـة يـتزايد -خاصـة بعـد أن عرفـت آثـار مصـر، وشـمال أفريقيـا، والشـام والحبشـة- فـزادت شـجون الأوروبين تجاه الجزيرة العربيّة التي سبق وأن أشار اليها كل من (ستزن Seetzen) و (نيبور Niebuhr)، إلاّ أنّ البداية الحقيقيّـة لعلـم النقـوش اليمنيّـة كـان عـام ١٨٣٤م، باكتشاف نقش حصن الغراب (بير عليّ) حالياً. فبأسم البحريّة الهنديّة أو شركة الهند

---

* ظفار: هي ظفار منكث، تقع على بعد ١٥كم جنوب شرق مدينة يريم. وآثارها الباقيـة مـازالت تشهد على حضارة سادت ثم بادت.

[1] Pirenne, J: a La decouverte de L'arabie ... p. 149-167

بريطانية كُلّف الكابتن (ولستد R Wellested) وزميله (هينز S.B. Haines)، وضابطٌ آخر في عام ١٨٣٥م باكتشاف شواطئ جنوب شبه جزيرة العرب. وكانت لـ (ولستد Wellested) اهتماماته الأثرية الخاصة، فلفت نظره اطلال ونقوش حصن الغراب، الحصن الذي كان يحمي ميناءً من اكبر موانئ حضرموت القديمة وهو ميناء (قنا) وقام بنسخ نقش مؤلف من عشرة أسطر. وبالاستعانة بهذا النص ونصوص أخرى وجدت في نفس الفترة، جرت أوّل محاولة لفك رموز نقوش المسند -كما أشرنا لذلك سابقاً- إلى جانب ذلك أشار (ولستد) إلى أطلال مدينة (نقب الهجر)، وسجّل ملاحظاته عن خصوبة وادي حضرموت.[١]

وشابهه في هذه الجهود العالم الألمانيّ (أدولف فون وريد Adolph Von Wrede) الذي سار عام ١٨٤٣م من ميناء المكلا متّجهاً إلى وادي حضرموت، زار خلالها فروعه الجنوبية كوادي (دوعن)، (وعمد)، ووصل حتى قبر النبي (هود) وقد ساهم (فون وريد) مساهمة كبيرة في إثراء المعلومات الجغرافيّة لهضبة حضرموت، ويعد أوّل من زار الموقع الأثري (المبنا) الواقع إلى الشمال من ميناء (قنا) بير علي حاليا[٢] ومن ثمّ نحا نحوه علماءٌ آخرون.

أمّا أوّل النّقوش التّي نشرت بالحروف الأصليّة (المسند)؛ فهي تلك التّي جاء بها الصّيدلانيّ الفرنسيّ (توماس جوزيف أرنو Thomas Joseph Arnoud) الذي بلغ (مأرب) و (صرواح)، وكان ذلك عام ١٨٤٣م، حيث تمكّن من جمع العديد من النّقوش، بلغ مجموع مانسخ منها: ستة وخمسين نقشاً، نشرت جميعها عام ١٨٤٥م. ويعتبر (أرنو) أوّل من وصف سد (مأرب) ومعبد (المقة) الذي يطلق ليه (محرم بلقيس)[٣] . وأهميّة رحلته العلميّة تكمن في إقبال العلماء المستشرقين على فكّ

---

١) Ibid , pp .266 - 269

٢) Ibid , p . 307

٣) Ibid , pp 274 - 290

رموز خط المسند الذي أطلق عليه -في البداية- اسم "الكتابة الحميريّة". أمّا الخطوة التي تلتها فقد تمثّلت بترجمة كل النقوش المكتشفة، والتعليق عليها، ثم نشرها في: (مدوّنة النقوش الساميّة* Corpus Inscriptionum Semiticarum) ١٨٨٩-١٩٣٢م بتمويل من الأكاديمية الفرنسيّة.

وأبرز مَنْ أشتهر بالبحث عن النقوش المستشرق (جوزف هاليفي Joseph Hale'vy)، الذي وصل إلى (نجران)، ثمّ (صنعاء) عام ١٨٦٩-١٨٧٠م، فزار (الجوف) و(مأرب) مصطحباً معه مرشداً يمنياً يهوديَّ الدِّيانة، يدعى (حاييم حبشوش) ونسخا معاً (٦٨٦) نقشاً[١]. كما كتب حبشوش حكايّة هذه الرحلة باللّهجة العربيّة ليهود اليمن وهي وثيقة تتحدث عن أحوال اليمن، وعن لهجة أهل (صنعاء) في القرن التاسع عشر[٢].

ومن أكبر المساهمات -في هذا المجال- ما قام به النمساوي (ادوارد جلازر Edward Glaser) أستاذ اللغة العربيّة بجامعة (فيّنا)، الذي قام بعدة رحلات إلى اليمن -أثناء الوجود التركي فيها- وذلك خلال الأعوام: ١٨٨٢-١٨٨٤م، حيث زار (شبام كوكبان) و (عمران) ببلاد همدان، والمنطقة الواقعة في الهضبة الغربية منها (أرض حمير) (ظفار) و (يريم) ثم (رداع) وفي الأعوام ٨٥-١٨٨٦، و ١٨٨٧م، و ١٨٩٢، ١٨٩٤م، -من فترة الوجود التركيّ ذاتها- قام بزيارة أخرى لليمن قاصداً هذه المرة (إب). وخلال هذه الرحلات، حصل على نتائج باهرة وتمكن من تزويد

---

*) تختصر مدونة النقوش الساميّة بالرمز (كوبوس) أو (CIH) أمّا الأجزاء المخصصة للنقوش اليمنيّة في الكوربوس وهي ثلاثة: الجزء الأول والثاني والثالث.

[١]) هاليفي جوزيف: "تقرير عن بعثة أثرية الى اليمن"، ترجمة: منير عربش، مراجعة: علي حمد زيد، نشر في كتاب رؤية اليمن بين حبشوش وهاليفي، إصدار مركز الدراسات والبحوث اليمني، دار الفكر المعاصر، بيروت ١٩٩٢م ص ١٣٩-١٨٠.

[٢]) حبشوش حييم يحيا: "رؤيا اليمن (١٣١١هـ -١٨٩٣م) "ترجمة وتحقيق، ساميه نعيم صغير، في كتاب" رؤية اليمن بين حبشوش وهاليفي، المرجع السابق ص ٢٧-١٣٧.

الدراسات اليمنيّة بباكورة الخرائط الجغرافيّة الدقيقة، التي حدد فيها أسماء المواقع الآثرية، وسجّل جملة من الملاحظات الجغرافيّة والاثنوغرافية، ونسخ ما يقارب من (٢٠٠٠) نصّ نقشيّ[1] ؛ بطريقة الأستنساخ، (وهي طريقة يتم بها الضغط على ورق خاصّ). وبفضل هذا العدد الهائل من النقوش تمكّن العلماء المهتّمون باللغات الساميّة، من التعمّق في معرفة خصائص اللغة اليمنيّة القديمة، ومقارنتها بغيرها من اللغات السّامية. عندما أصدرت الأكاديمية الفرنسيّة مدوّنة جديدة للنقوش السامية باسم: Repretoire d'Epigraphie Semitique [*] منذ عام١٩٢٨-١٩٥٠م.

وعلى ضوء النتائج الباهرة التي توصل إليها (جلازر)، قررت أكاديمية العلوم بـ "فينا"، إرسال بعثة الى اليمن، بإشراف كل من: (د.هـ مولر D.H.Muller)، (ك: لندبرج C. Landberg)، فتمكنت هذه البعثة من الوصول إلى بعض المناطق في حضرموت بصعوبة بالغة وأهم انجازاتها: هو كتابة بعض النّقوش، من أبرزها: نقش (نقب الهجر)، ونقش (المبنا)، ونقش (حصن الغراب).

ومن الرّحالة العرب الذين زاروا اليمن في مطلع القرن العشرين: الرّحالة اللبناني (أمين الرّيحانيّ)؛ الذي ألّف كتاباً بعنوان (ملوك العرب) عام ١٩٢٥م، والصحافيّ (نزيه مؤيّد العظم)؛ الذي زار اليمن أكثر من مرة، وكتب (رحلة في بلاد العربيّة السعيدة) نشر عام ١٩٣٨م.

---

[1]) Glaser, E:"Von Hodeida nach San a", Vom 24 April bis, Mai 1885, dans Petermanns Mitteilungen, 32, 1886 pp.1-10, 33-48..

[*]) يختصر اسم المدونة إلى (ربرتوار أو RES) وقد شملت الأجزاء الثلاثة الأخيرة (الخامس- والسابع) هذه المدّونة، دراسة وتعليق على النصوص اليمنية القديمة، ويرجع الفضل في شرح تلك النصوص والتعليق عليها للسيد (جونزاك ريكمنز Ryckmans Ganzague) القائم على تدريس النقوش الساميّة في جامعة (لوفان) آنذاك. وكان صدور المجلدات المذكورة على النحو التالي: الجزء الخامس في عام ١٩٢٩م، الجزء السادس في عام ١٩٣٩م، الجزء السابع في عام ١٩٥٠ م.

وفي حوالي عام ١٩٣٤ ومع قيام مرحلة جديدة من الانتشار البريطـاني فـي جنوب اليمن، قام الضابط السّياسي (انجرامس W.H. Ingrams) بوضـع تقريـر عـن الحالـة السّياسـيّة والاجتماعيّـة والاقتصاديّـة لحضرمـوت، وقــام وزوجتــه (درويـن أنجرامـس) بجولـة واسـعة فـي البـلاد أعقبتهـا فـي السـنوات التاليـة بعــد أن اصبـح المستشار السّياسيّ لسلاطين حضرموت، قام خلالها بعدة رحلات منها رحلـة تعقّب خلالها طريق البخور القديم، حيث انطلق من بير علي (قنـا) قديمـاً فـي إتجـاه شـبوة (عاصمة مملكة حضرموت). واكتشف (عقبة فتورة) التي تربط (شبوة) الواقعة على وادي عرمه، بـ (الجول) هضبة حضرمـوت، وسـجّل النّقـش الـذي نحـت علـى تلـك العقبة والذي سمي باسمه (انجرامس Ingrams I . 1)[١].

توقفت الرحلات العلميّة إلـى اليمـن فـي فـترة مـا بيـن الحربيـن العـالميّتين، حينها كانت قد توافرت لدى الباحثين بضعة آلاف من نصوص اللغة اليمنيّة القديمة، إلأ أنّ القسم الأكبر منها كان يحتوي على أسماء أشخاص وقبائل، ونصـوص دينيّـة، ومنهـا عرفـت أسـماء عواصـم الممـالك، لكـن المعرفـة بـالفن، والعمـارة، وجوانـب حضاريّـة أخـرى ظلـت مجهولـة، ففـي ذلـك التـاريخ لـم يشـهد موقـع أعمـالاً حفريّـة وتنقيبيّة، سوى ما عثر عليه من قطع أثرية، ظفر باقتناء بعضها أولئك العلماء الذيـن زاروا اليمن، فأحتفظوا بها كملكيـات خاصـة بهم، وبعضهـا الآخـر جلبتـه المتـاحف العالميّة بوسائل شتّى.

ثالثاً: التنقيبات الأثريّة:

لم تكن النّقوش المكتشفة -حتى تلـك الفـترة- كافيـة لرسـم صـورة واضحـة المعالم لتاريخ وحضارة اليمن، فبرز العديد من الاستفسـارات عـن جوانـب مختلفـة،

---

[١]) محمد عبدالقادر بافقيـه: "المستشـرقون وآثـار اليمـن"، (قصـة المستشـرق السـويدي "الكونـت كارلودي لندبرج" من خـلال مراسـلاته مـع اليمنييـن ١٨٩٥- ١٩١١م) المجلـد الثـاني، مركـز الدراسات والبحوث اليمني -صنعاء، ١٩٨٨، ص ٩٦٨.

اكتنفها الغموض، كما أنّ المعلومات المتوافرة ظلّت مبتسرة، وبحاجة إلى ما يدعمها ويؤكدها وكان السبيل الوحيد لسدّ تلك الثغرات هو القيام بالتّنقيبات الأثريّة وإجراء المزيد من الاكتشافات .

لقد بدأت أعمال التنقيب الأثري في اليمن عامي ١٩٣١-١٩٣٢، بمبادرة من العالمين الألمانيّين: (فان وايزمن وكارل راتجن H. Von Wissmann, and, Carl Rathjens)، اللذين نفّذا موسماً قصيراً من التنقيبات في منطقة (الحقة) وهي موقع صغير يبعد مسافة (٢٣كم) إلى الشمال من صنعاء، ومع أنهما لم يكونا على علم تام باصول التنقيب المنهجي، إلا أنهما كشفا -من خلال عملهما هذا عن معبد مع ساحته المربّعة المكشوفة، يعود تاريخه إلى القرن الثالث ق.م، وعثرا -بالتّالي- على رأس أسد من البرونز، ومجموعة من اللقايا (هي عبارة عن أوانٍ حجريّة أو برونزية)، وغيرها من مواد أثرية صغيرة. وكانت نتائج أبحاث هذين الرّجلين قد نشرت عام ١٩٣٤م، في ثلاثة أجزاء [1].

وتوالت زيارات (فان وايزمن H. Von Wissmann) ففي عام ١٩٣١م زار حضرموت برفقة الرحالة الدبلوماسي الهولندي (فان درميولن Van Dermeulen) تعرفا على العديد من المواقع الأثرية الهامة في وادي حضرموت، وعاد بعدها إلى حضرموت مرتين الأولى عام ١٩٣٩م، والثّانية والأخيرة عام ١٩٥٨م. وكانت كتاباته الجغرافيّة -التاريخيّة من أفضل ما كتب عن جغرافية وتاريخ اليمن القديم، وأهم أعماله كتاب مشترك مع العالمة الألمانية (ماريا هوفنز M. Hofner) عالمة الكتابات القديمة* بعنوان: (الجغرافية التاريخية للعربيّة الجنوبيّة قبل الإسلام «Beitrage Zur Vorislamischen Sudarabiens historischen Geographie des)

---

[1] Rathjens.C.and H.Von Wissmann:, "Vorislomische Altertumer",(Hamburg, 1932 .

* من أبرز العلماء الالمان، لها عدد من المؤلفات في قواعد لغة النقوش....

يعد هذا الكتاب أول دراسة موسّعة للجغرافيّة التّاريخيّة لليمن القديم، ناقشا فيه وضع التضاريس، وتاريخ كل منطقة من الجوف غرباً إلى حدود وادي (المسيلة) شرقاً، ووصفا المخلّفات القائمة لكلّ الأماكن الرئيسية المعروفة، مستندين إلى كافة المصادر العربيّة والكلاسيكيّة، وأعمال الرحلة، والكتابات النقشيّة. وفيه أوردا تلخيصاً للنتائج التي توصلت إليها التنّقيبات الأثريّة إلى ما قبل عام ١٩٥١ م. وأهمّ ما في هذا الكتاب: المراجع والخرائط الأثريّة الكاملة.

وفي عام ١٩٣٨م عمل الكولونيل (هاملتون A. Hamilton) ضابطاً سياسيّاً في محميّة عدن الغربيّة، وقام خلال وجوده بتنفيذ حفريّات اختباريّة في (شبوة)، بالقرب من الباب الشماليّ للمدينة مستفيداً من المعلومات السابقة[1].

إنّ المسألة الجوهريّة التي فتحت آفاق الاستكشافات والتنقيب في اليمن تتمثل في الاهتمام الواسع للبريطانيين بالمنطقة حينما أخذ نشاطهم يمتد ليشمل المحميّات الجنوبيّة.

وفي عام ١٩٣٦-١٩٣٧م قام العالم (جون فلبي H.St . J . Philby) أو(عبدالله فلبي) بعدة رحلات زار فيها أراضي الجزيرة، وأهمها رحلته المشهورة التي بدأها من جدّة، ماراً بعسير، فنجران حتّى بلغ (شبوة) و(تريم)، كما أنّه يعتبر أوّل من اهتدى إلى نقوش (العقلة) بالقرب من شبوة، من مؤلفاته (The Background of Islam) ترجم تحت اسم "سناد الإسلام" صدر عام ١٩٤٧م.

وقد شكّلت دراسة (هاملتون) و (جون فلبي) لشبوة معلومات أساسيّة استفادت منها العالمة الفرنسية (جاكلين بيرن J. Pirenne).

وفي عام ١٩٣٦م زارت اليمن بعثة "فؤاد الأوّل" (القاهرة) وكان من بين أعضائها العالمان: الجغرافيّ "سليمان حزيّن" وعالم النقوش "خليل يحى نامي"، وكان حصيلة عمل البعثة (٨٩) نقشاً معظمها من منطقة (ناعط) شمال (صنعاء)، كما اما

---

[1] - Hamilton. B. A. B.: "Six Weeks in Shabwa ". dans, Geographical Journal. Vol (3. 1942. pp. 107-123.

بتنقيبات سطحيّة في قاعدة معبد الإله (تألب ريام) في عام ١٩٤٣م ونشرت نتائج أعمالها في كتاب (نقوش ساميّة قديمة من جنوب بلاد العرب وشرقها).

وفي عامي ١٩٣٧-١٩٣٨م شهد (وادي عمد) -وهو أحد الرّوافد الجنوبيّة لوادي حضرموت- أعمالاً تنقيبيّة، في منطقة (حريضة) "مذبم" القديمة، نفذتها بعثة أثرية بريطانية متمرّسة؛ بقيادة (كاتن تومبسون Caton Thompson) عالمة الآثار، وزميلتها الجيولوجية (أ. جاردنر A. Gardner)، والمؤرخة (فريا ستارك Freya Stark) صاحبة المؤلفات العديدة عن حضرموت، ولها فضل في العثور على النقش اليزنيّ(RES 5085) المتضمّن معلومات عن أعمال الري بأوديّة حضرموت.

ولقد أضافت تنقيبات "حريضة" لمداركنا الكثير من المعلومات، من خلال نتائجها القيّمة التي توصلت إليها، إذ كشفت البعثة عن آثار لقنوات ريّ، ومعبد للإله (سين)، وكوخ مبنيّ من اللبن قرب المعبد، وقبرين على صخور الوادي، ومجموعة من القطع الأثرية المتنوّعة التي يرجع تاريخها -كما ترى (كاتن تومبسون)- إلى القرن السّادس أو الرّابع قبل الميلاد.

وفي عامي ٤٤-١٩٤٥م، قام عالم الحشرات المصريّ "محمد توفيق" برحلة علميّة إلى (الجوف)، درس خلالها المخلّفات السطحيّة لآثار "معين" وتعتبر صوره ومخططاته أفضل عمل قدّم لنا عن معين، في عام ١٩٥١م نشر نتائج أعماله في كتاب "آثار معين في الجوف". فيما عهد إلى (خليل يحي نامي) بتقديم النّقوش، والتي نشرت في مجلد مستقل بعنوان "نقوش خربة براقش على ضوء مجموعة محمد توفيق".

في عام ١٩٤٧م جاء إلى اليمن باحث مصريّ آخر هو أحمد فخري، الذي زار عدداً من المواقع الأثرية من بينها: (صرواح)، (مأرب)، (براقش)، (خربة سعود)، (معين)، (الحزم)، (كمنا)، (السوداء)، و (البيضاء). ومن ثم قام برسم وتصوير ووضع مخططات للبنية الرئيسيّة، والعناصر المعماريّة، والمنحوتات، والمواد الأخرى الصغيرة، ونسخ وصوّر عدداً كبيراً من النّصوص فكانت نتائج تلك

الأعمال قيّمة للغاية، إلاّ أن أغلب تلك المواد -التي وصفها وصورها- تعرّضت للسّرقة بعد ذلك. أما نتائج تلك الرّحلة فنجدها في كتابيه: (رحلة أثريّة إلى اليمن) و (اليمن ماضيها وحاضرها).

في عامي ٥٠-١٩٥١م، جاءت إلى اليمن "البعثة الأمريكية لدراسة الانسان، والمكوّنة من ٣٠ عضواً، بقيادة (ويندل فيليبس Wendell Phillips) رافقة في إطارها العالم: (و.ف البرايت W.F. Albright)، والأب جام (A.Jamme) وآخرون. وصدرت عن تلك البعثة مقالات ودراسات هامة عمّا أجرته من أعمال تنقيبية شملت كلّ مناطق مملكة قتبان، إذ أنصب تنقيبها -أولاً- على الموقع الأثري الهّام في العاصمة القتبانيّة (تمنع) -هجر كحلان حالياً- حيث اقتصر التنقيب على البوّابة الجنوبيّة لمدينة (تمنع).

ثم جرى التنقيب في الموقع المعروف حالياً بـ (حيد بن عقيل)، وهو عبارة عن تل يقع إلى جوار منطقة (هجر كحلان) حيث كشفت البعثة على مقابر المدينة القديمة، كما تمكّنت من أن تجمع من هذا الموقع كميّة من الفخار، تكفي لدراسة نماذج من الصناعات الفخاريّة، ومعرفة التسلسل التّاريخيّ.[1] كما كشفت عن آثار نظم الرّي، ودرست الترسّبات الغرينيّة[2].

وفي عامي ٥١-١٩٥٢م انتقلت البعثة إلى مأرب؛ للقيام بحفريات في معبد (أوام) المعروف حالياً بـ (محرم بلقيس)، الا أنّ خلافاً نشب بين أعضاء البعثة والمشرفين على أعمال البعثة من اليمنيّين، فانسحبت البعثة قبل أن تكمل أعمالها من تصوير وتسجيل الآثار والنقوش الهامة التي أكتشفتها[3] .

---

[1]) - R. Lebaren Bowen F.B. Albright,: Archaeological Discoveries in South Arabia, Publications of the American Foundation for the study of man, II (Baltimore 1958).

[2]) R. Lebaron Bowen: "Irrigation in Ancient Gataban";(A.D. S. A)pp.43-88.

[3]) بافقيه: المستشرقون، جـ٢، ص ٩٧٩.



ونلاحظ إنّ مجمل تلك البعثات كانت غير منتظمة بسبب الظروف السّياسيّة السائدة في المنطقة آنذاك ، حتى قامت ثورة سبتمبر ، وأعلنت الجمهورية عام ١٩٦٢م في الشّطر الشّماليّ (سابقاً)، فبدأ الاهتمام بالآثار ، تحت إدارة "الهيئة العامة للآثار ودور الكتب"، جاءها إليها العديد من البعثات من المانيا وايطاليا وفرنسا، وقامت جامعة صنعاء بتأهيل الكوادر اليمنيّة في مجال الآثار. أمّا في الشطر الجنوبي (سابقاً) فإنّه بعد الاستقلال قام "المركز اليمنيّ للابحاث الثقافية والآثار والمتاحف"، بتوقيع بروتوكولات مع البعثة الفرنسيّة، كما تمّ التعاقد –في المجال عينه– مع البعثة الإيطاليّة، ومن ثم السوفياتية.

وعلى ضوء تلك المعطيات الأثريّة والنّقشيّة، تواصلت الجهود العلميّة وتعدد المشتغلون من العلماء والمتخصصين باللغويات، والعصور الحجريّة والآثار، والتّاريخ القديم. وخلال التّتلمذ على أيدي رواد تلك الدّراسات، ظهرت أسماء لامعة مافتئت تقدم بحوثها حتى الآن.

الفصل الخامس

نظريات حول

أولاً: التّسلسل التّاريخيّ لأدوار التّاريخ اليمني القديم.

علم (الكرونولوجيا Chronology)

ثانياً: الموطن الأوّل للسبأيّين.



الفصل الخامس

أولاً: التّسلسل التّاريخي لأدوار التّاريخ اليمني القديم علم (الكرونولوجيا Chronology):

في القرن التاسع عشر -وبالذات في الفترة ما بين (١٨٧٠-١٨٨٠م)- تمكن علماء اللغات الساميّة، من فكّ رموز اللغة اليمنيّة القديمة، وشرح النّصوص النقشيّة التي توافرت لديهم، فتم التّعرف على أسماء العديد من حكّام الممالك اليمنيّة القديمة، ومن ثم أخذوا ينظمون تلك الأسماء في قوائم حسب الأنساب، وليس إستناداً إلى علم الخطوط القديمة، لم تكن دراسة الخطوط القديمة ممكنة في ذلك الحين، بسبب عدم وجود الصّور الفوتوغرافيّة للنّقوش، فوضعت دراسات حول التّسلسل التّاريخي، إلاّ أنّ نقطة الخلاف بين العلماء ظلّت قائمة. فقد اعتمد بعض الباحثين - في تحديدهم للتّسلسل التّاريخيّ -على التّعاصر السبأيّ مع الأشوريّين، ولكن الصلة بين الممالك الثلاث: معين، وقتبان، وحضرموت- والتي يفهم من النّصوص النقشيّة أنّها متعاصرة مع بعضها بعضاً من جانب وتتزامن مع سبأ من جانب آخر -كانت موضوع خلاف حاد، دفع بهم للأنقسام إلى ثلاث مدارس:

١- المدرسة الألمانيّة:

يتزعمها (فرتز هومل F.Homel)، تعتمد على التّسلسل التّاريخيّ الطّويل، وقد ظهر ذلك من دراسته التي صدرت عام ١٨٩٣م، والتي استند فيها على النّصوص المعينيّة، واعتبرها أصلاً لغيرها من النصوص، وأرجع (هومل) تاريخ المعينيّين والقتبانيّين، وكذلك الحضرميين إلى القرن الثّالث عشر قبل الميلاد مستفيداً من النقش (RES 2775) وأمّا تاريخ السبأيّين فيرجعه إلى القرن الثامن ق.م[١]. ويجب الإشارة إلى أنّ هذا التّاريخ لم يعد معمولاً به.

---

[١]) هومل فرتز: "التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبيّة"، الفصل الثاني من كتاب "التاريخ العربي القديم" ديتلف نيلسن وآخرون، ترجمه واستكمله: فؤاد حسنين علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٩٣، ص ٦٢ - ٦٣.

وفي عام ١٨٦٩ تمكّن العالم الفرنسي (جوزيف هاليفي J.Halevy) من زيارة الجوف، ونقل أول أخبار علميّة عن آثار الجوف ونقوشه، معتمداً على نظريّة (هومل)[1] . ومنذ تلك الفترة بدأت (معين) تحظى باهتمام العلماء، وتحتل مكانة هامّة كدولة وحضارة.

أمّا العالم النّمساوي (جلازر Glaser): من علماء مطلع القرن العشرين -فإنه يرى أنّ قلّة عناية المؤرّخين العرب بدولة (معين) يعود إلى قدمها، فهي -في رأيه- أقدم الممالك اليمنيّة[2] ، ورسّخ العالم الانجليزي الرحالة (سان جون فلبي. St J Philpy)[3] . ذلك الاعتقاد في منتصف القرن الحالي، عندما نشر قوائم ملوك (معين)، وذهب إلى انّ أقدمهم يرجع إلى القرن الثّاني عشر ق.م. فأخذ كثير من العلماء برأي أصحاب التّسلسل التّاريخي الطويل.

ولهذا أعتبرت (معين) -استثناءً إلى اعتقاد هؤلاء- أقدم الممالك اليمنيّة وبقى هذا الإعتبار إلى فترة زمنية قريبة.

٢- المدرسة الفرنسية:

تزعمتها العالمة (جاكلين بيرن J. Pirenne) التي اعتمدت على التّسلسل التّاريخي القصير، ففي دراستها المنشورة عام ١٩٥٥م تحت عنوان: (الاغريق وسبأ)[4] ذهبت إلى أنّ الحضارة العربيّة الجنوبيّة تعود إلى القرن الخامس ق.م وان هذه الحضارة كانت نتيجة للتأثيرات القوية لليونان والفرس ولكي تدعّم

---

[1]) جوزيف هاليفي: مرجع سابق.

[2]) - Glaser E : Von Hodeida nach san'a..., pp .1-10 . 33-48 .

[3]) - Pirenne J: " Paleographie des inscriptions Sud-arabes contribution a' la chronologie et a' L'histoir de Arabie du Sud Antique " . Bruxelles (1956)

[4]) - Pirnne J : " La Grece et Saba " une nouvelle base pour la chronologie sud-arabe , dans me`moires pre`sentes par divers savants a l'academie des Inscriptions et Belles-Lettres , I.XV , 1955 , pp.89 - 196 .

وجهة نظرها افترضت بأن الكتابات التذكاريّة العربيّة -الجنوبيّة- التي تميّز عهد المكاربة- أُخذت من الكتابات الإغريقية البدائية في القرن الخامس ق . م، وأن أصول المواد الحضاريّة الثقافيّة العربيّة الجنوبيّة- وخاصة في مجال العمارة والنحت- ترجع إلى التأثيرات الإغريقيّة الفارسيّة. وأصرّت على أنّ أصول المجتمع واللغة العربيّة الجنوبيّة يجب أن تكون مشتقّة من المشكلة التّاريخيّة لأصل حضارتهم، ورفضت القول: بوجود تأثيرات لكلّ ثقافات الشّرق الأدنى القديم على جنوب شبه الجزيرة العربيّة قبل انبثاق الفترة اليونانيّة- الفارسيّة، ولقد أيدّ هذه النظرية بعض العلماء ورفضها بعضهم الآخر.

٣- المدرسة الأمريكية:

يتزعمها العالم (البرايت W. F. Albright)، ويتفق معه عالم النقوش (جام Jamme) و (فان بيك Van Beek) من أعضاء البعثة الأمريكيّة لدراسة الإنسان. فقد توصّل هؤلاء العلماء إلى نتيجة -بعد التنقيبات الّتي أجروها في كل من تمنع (هجر بن حميد)، ومأرب- مفادها أن أقدم أثر عثر عليه في (تمنع) عبارة عن خشبة متفحّمة تم فحصها بالإشعاع (كربون ١٤) يعود تأريخها إلى (٨٥٢ ق.م) تقريباً. وكانت البعثة الأمريكيّة قد رفضت ماذهبت إليه العالمة (بيرن Pirenne) بخصوص أبجديّة العربيّة الجنوبيّة، من أنها ترجع إلى تأثيرات الأبجديّة الإغريقيّة مع بداية القرن الخامس ق.م، وذلك استناداً إلى ما عثرت عليه البعثة من كتابة مثّل أقدم كتابة تذكاريّة كانت قد دوّنت على جرّة كبيرة هي من أنقاض معروفة الطبقات، عثر عليها أسفل الخشبة المتفحّمة المشار إليها آنفاً هنا، لذلك فإنها ترجع على أقل تقدير إلى القرن الثامن ق.م، أو القرن التاسع ق.م احتمالاً إن لم تكن قبل هذا[1].

---

[1] - Albright W. F: "The Chronology of ancient South Arabia ", in the light of the first campaign of excavation in Qataban, in (PASOR), 119, Baltimor , 1950, pp.5-15 .

وهناك معطيات أخرى تدعم هذه الرّؤية، كدراسة الفخار الذي اكتشفته البعثة عينها، وبقايا منشآت الري الّتي اكتشفها (باون Bawen) من خلال دراسته لتراكمات الطّمي على القاع، فأثبت (باون Bawen) بأن عمليّات الإرواء في وادي (بيحان) ترجع إلى منتصف الألف الثاني ق.م، بل ربمّا تسبق هذا التاريخ. وبيَّن أيضاً أنه كان هناك استيطان ثابت في الوادي في أواخر تلك الفترة [1] .

والمدرسة الأمريكيّة تقرّ فكرة معاصرة الأشوريّين للسبأيين؛ وفقاً لما جاء في النقوش الأشوريّة من ذكر لملوك سبأيين في القرن الثامن ق.م وبداية القرن السابع ق.م وهي إذ تعتبر هذا الأمر مطابقاً لنتائجها النقشيّة والأثريّة المكتشفة في كل من (تمنع) (هجر كحلان) ومأرب، (معبد أوام) أو (محرم بلقيس). وعلى هذا فهي ترفض رفضاً باتاً التسلسل التاريخي القصير (لجاكلين بيرن).

ومع تعدّد تلك النّظريات أصبح من الصّعب أن نحسم هذا الخلاف، في ظل غياب كثير من المعطيات الأثريّة والنقشيّة، إلاّ أننا اتبعنا في دراستنا هذه التّسلسل التّاريخي، الذي يكاد يكون متّفقاً عليه في تحديد بداية عهد ملوك سبأ بالقرن الثّامن ق.م. أمّا بالنّسبة للتّسلسل التّاريخيّ (لملوك سبأ وذي ريدان) فقد قدّم الباحثان: الفرنسيّ (كريستان روبان Ch. Robin) واليمنيّ، (محمّد عبدالقادر بافقيه) دراسة مستفيضة تحدّد التّسلسل التّاريخي لملوك تلك المرحلة.

---

[1]) - Bawen R. le Baron: Irrigation ... , p. 199 - 202 .

الجزء الثّاني

"العصر الأوّل من التّاريخ السّياسيّ لليمن القديم"

"حضارة صيهد"

الفصل الأول:-

أولاً:- مدخل إلى العصور التّاريخيّة.

ثانياً:- دولّة سبـــأ.

الفصل الثاني : دولة حضرموت.

الفصل الثالث : دولة قتبــان.

الفصل الرابع : دولة أوســـان.

الفصل الخامس : دولة معيــن.



الفصل الأول

أولاً:- مدخل إلى العصور التّاريخيّة.

ثانياً:- دولّة سبــــأ.



الفصــــل الأول

أولاً- مدخل إلى العصور التّاريخيّة:-

وفقاً للأحداث التّاريخية الهامّة التي أثّرت على مسار التّاريخ يمكننا أن نقسّم الإطار الزّمنيّ لتاريخ اليمن القديم إلى عصرين رئيسيين متداخلين يصعب على المرء أن يضع خطاً فاصلاً بينهما.

العصر الأوّل: حضارة صيهد[*] (رملة السبعتين اليوم).

ويبدأ من ضحى التّاريخ في مطلع الألف الأوّل ق.م وحتى أواخره، وقد امتد هذا العصر ([illegible]) ألف عام تقريبا.

أهم مميزات هذا العصر:

١- تمركز الحضارة في المنخفض الانكساري.

٢- ازدهار طريق اللبان، واحتكار اليمنيّين لذلك الطّريق التجاريّ. الذي يبدأ من الموانئ الجنوبيّة وحتى ميناء غزة.

٣- الهجرة السّبأية إلى القرن الأفريقيّ حيث أقاموا أسس حضارة جديدة هناك.

٤- شهدت المنطقة ازدهاراً حضارياً في جميع المجالات، وبذلك اكتسبت سمعة

---

[*] صيهد: اسم جاء في النقوش يقصد به (رملة السبعتين اليوم)، وهو عبارة منخفض إنكساري رملي واسع يمتد غربا من (مارب) على مسافة ([illegible] ميل) ويستمر في الإمتداد شرقا حتى وادي حضرموت، تصب في هذا المنخفض العديد من الأودية التاريخية الهامة، القادمة من المرتفعات الغربية، كوادي (أذنه) و (الجوف) و (بيحان) و (مرخة) و (عرمه) و (المعشار)...

عالميــة فكتــب عنهــا الكلاسـيكيون منـذ القـرن الخـامس ق.م، وتحدّثـوا عــن ثرائها العظيم[1].

٥- أثارت أخبار ذلك الثراء العظيم الذي كان ينعم به اليمن القديم غيرة وأطماع الدّول العظمى آنـذاك، فخطّـط الرّومـان لغـزو اليمـن والسيطرة علـى بـلاد اللبان، وعلى الطريق البريّ. ففي عـام ٢٤ ق.م تحرّكـت الحملـة الرومانيّـة إلى جنوب شبه الجزيرة العربيّة.

العصر الثاني: حضارة المرتفعات الغربيّة:

يمتّد هـذا العصـر بـدءاً مـن القـرن الأوّل الميـلاديّ وحتّـى القـرن السّــادس الميلاديّ، فظل قرابة (٥٠٠) خمسمائة عام. وينقســم هـذا العصـر إلـى عـدّة عصـور متتالية تتماشى والأحداث السّياسيّة التي شهدها اليمن القديم.

أهم مميّزات هذا العصر:-

١-ضعف مراكز الحضارة اليمنيّة فـي الشّـرق، أي: انتقـال الثقـل السّياسـيّ مـن أطـراف الأوديـة الشـرقيّة التـي تصـب فـي "رملـة السـبعتين" إلـى المرتفعـات الغربية حيث القيعان الفسيحة والأمطار الغزيـرة، إذ جـاء ذلـك نتيجـة حتميّـة لازدهار الطّريق البحريّ وضعف الطريق البريّ.

٢-بروز دولة بني ذي ريدان (حمير)، بعد أن ازدهرت الموانــئ بفضـل النشـاط الاقتصـاديّ الكبير.

٣-نشوب الصّراع السبأي الحميريّ.

٤-بروز سلطة الأقيال والأذواء بروزاً عظيماً بعد أن قلّت هيبة السلطة المركزيّة في مأرب.

٥-ظهور أطماع القبــائل البدويّـة المتنقّلـة عـبر الصحـراء فـي حواضـر الممـالك اليمنيّة ومحطاتها التجاريّــة، بعـد أن تضـرر أهـل الباديـة مـن نقـص المـوارد

---

[1]) أنظر الفصل الثالث، "المصادر الكلاسيكية".

لديهم، فاصبحوا ينقضّون على ثغور الدّويلات اليمنيّة.

٦-بروز دولة أكسوم في الحبشة، وكان قيامها نتيجة لاستيطان سبأي دام قروناً هناك.

٧-تطوّر اللقب الملكيّ بما يومئ إلى توسع الدّولة المركزيّة بقيادة حمير.

٨-ظهور الدّيانات التّوحيديّة: اليهوديّة والمسيحيّة، والتّخلّي عن الديانات الوثنيّة.

٩-الأطماع الأجنبية في اليمن، منها الحبشية أولاً، والفارسيّة ثانياً، فكانت تلك الأطماع قد خلصت إلى سيطرة الأحباش والفرس على اليمن حتى مجيء الإسلام.

العصر الأول "حضارة صيهد"

إذا ألقينا نظرة فاحصة على الخريطة التّاريخيّة لليمن القديم، نجد أنّ عواصم الممالك اليمنيّة قد قامت وازدهرت على منافذ الأودية الشرقيّة القادمة من المرتفعات الغربيّة المطلّة على الصحراء حول مفازة (صيهد) "رملة السبعتين" اليوم. وقد أطلق عالم النّقوش (بيستون Beeston) مصطلح " ثقافة صيهد" على الأدوار الأولى للحضارة اليمنيّة، وقد اتبعنا ما ذهب إليه. فقد نهضت (قرناو) العاصمة المعينيّة في (الجوف) وقامت (مأرب) العاصمة السبأيّة في وادي (أذنة)، كما قامت (تمنع) العاصمة القتبانيّة على وادي بيحان، وعند نهاية وادي (المعشار) الذي هو امتداد لوادي (العطف) و (عرمة) قامت (شبوة) عاصمة حضرموت (نظر خريطة رقم ٣).

وقد يتساءل المرء: لماذا لم تنشأ مراكز الحضارة في أدوارها الأولى على السهول الغربيّة من اليمن؟ تلك السّهول التي تنفذ إليها الأودية الأكثر غزارة بالمياه إذا ماقورنت بالأوديّة الشّرقية؟!

أقول -رداً على ذلك-: إنّ قيام العواصم على أطراف الأوديّة الشرقيّة لم يأت جزافاً ولم يكن صدفة، إنّما كان لغرض السيطرة على الطّريق التجاريّة العالميّة -طريق البخور- تلك الطّريق التي تبدأ من الموانئ الجنوبيّة مروراً

رملة السبعتين
(صيهد)
شبوة
حضرموت
وادي الجوف
خربة سعود
مأرب
ميفعة
قنا
ش
0 20 40 60

(خريطة رقم 3) المراكز الحضارية حول رملة السبعتين (صيهد)

بالعواصم اليمنيّة، ممتدّة شمالاً باتّجاه الشام حتّى تصل إلى ميناء (غزة) على ساحل البحر المتوسط، فكانت هذه الطّريق هي شريان الحياة الاقتصاديّة في تلك العصور.

وإذا ما نظرنا إلى تضاريس المنطقة ذاتها، وهي ترتقي في صعودها إلى الشمال؛ بدءاً من البحر الأحمر، نجدها على شكل حواجز وعرة تنحدر تدريجياً نحو الصحراء الداخلية الكبرى مخلّفة وراءها أرضاً صلبة منبسطة، صالحة لان تكون للقوافل طريقاً ممهّدة. وكان لهذه التضاريس شأن عظيم في جعل تلك المناطق مهيأة لتأسيس ماعهدناه من تلك المدن الحضاريّة في بقاعها الرائعة.

ثانياً: دولة سبأ

أولاً: أقدم ذكر لدولة سبأ:

لقد أصبح واضحاً -من دون أدنى شك- أن دولة سبأ هي الدّولة الأولى في اليمن القديم، حيث كانت قد حظيت بشهرة عالميّة لم تتوافر لغيرها من الدّول اليمنيّة، ويمكن إرجاع ذلك إلى العوامل التّالية:-

- ورد ذكر قبائل سبأ في التّوراة، التي اعتبرتهم من أحفاد سام، كما يتضح مما جاء في التّوراة أيضاً بأن أرض "شبا" -المقصود سبأ- كانت لها علاقة تجارية مع العبرانيّين كما جاء في (سفر حزقيال ٢٧/٢٤)[١]: "قنه وعدن تجار شبأ وكلمد وأشور هم تجارك"، كما ذكرت التوراة زيارة ملكة سبأ للملك سليمان، والتي أكدها القرآن الكريم في سورة (النمل)، وسورة (سبأ)، إلا أنّه لم يذكر اسماً محدداً لها، غير أن المفسّرين ذكروا أنّها تسمّى "بلقيس".
- خلّد ملوك أشور* في نقوشهم أسماء لملوك سبأيّين، فقد ذكر أنّه في عام ٧١٥ ق.م أرسل مكرب سبأ (يثع امر) هدايا للملك سرجون الثّاني ملك أشور، كما أنّ ذكر المكرب السّبأيّ (كرب إل) جاء في نقش للملك الأشوريّ (سنحاريب) والذي

---

[١]) التوراة، سفر التكوين الاصماح،١٠ الايات،٢٦ ، ٢٨ ، سفر حزقيال الاصحاح ٢٧ الآية ٢٤.

*) ارجع للفصل الثالث الكتابات الأشورية

يرجع تاريخه إلى عام ٦٨٥ ق.م.

ومن النّقوش الآشوريّة هذه يتبيّن لنا أنّ أقدم تنويه للسبأيّين يعود -تقريباً- إلى ما بين أواسط القرن الثّامن ق.م، وبداية القرن السّابع ق.م.[١] وهذا أمر لاجدال فيه.

- تحدّث الكلاسيكيّون كثيراً عن سبأ وثرائها، فقال (بليني Pliny): "بأنها أشهر من عرف من القبائل العربيّة". أمّا (سترابو Strabo) فقد أفرد للسبأيين فقرة مطوّلة، وصف فيها بلاد سبأ، وذكر أنهم شعب كبير التعداد وبلادهم شديدة الخصوبة وأنّه بفضل التّجارة صاروا أغنى القبائل، حيث كانوا يمتلكون كميّات من المقتنيات المصنوعة من الذّهب والفضة، ويقتنون الأرائك والآنية، كما أنّ منازلهم بادية الفخامة ، إذ كانوا يكسون أبوابها وجدرانها وسقوفها بالفسيفساء الذهبيّة والفضيّة والعاجيّة المطعمّة بالأحجار الكريمة![٢]

وكان الكيان السّياسيّ المتطوّر لدولة سبأ قد استمر إلى ما قبل الإسلام ومجيء الأحباش، وعلى الرّغم من دخولها في إطار الدّولة الحميريّة، إلا أنّ أسمها بقي أساساً لاسم الدّولة المركزيّة.

ثانياً: أرض سبأ:

تمركزت الدّولة السبأيّة في شمال الهضبة الغربية لليمن ، وضمّت كلّ المرتفعات والهضاب ، مثل أرض (أرحب)، و (قاع البون)** ، وامتدت شمالاً حتى (الجوف). ومن الصّعب رسم حدود سّياسيّة لدولة سبأ، ففي فترات قوتها توسّعت لتشمل مناطق واسعة ربما غطت اليمن كله، ولكن في فترة ضعفها لايبعد اتساعها أكثر من المناطق الشماليّة للهضبة الغربيّة، وبالامكان أن نحدد أرض سبأ بالاقاليم

---

[١]) Lundin A.G : " Gosudarstvo Mukarribov Sabā' " (Sabejskij e'ponimat Moskva), (Akademija Nauk SSSR Institut Vostoko-Vedenija) 1971 , pp . 98 -103 .

[٢]) Groom , op . - cit , p 80 - 88

**) قاع البون: من القيعان الواسعة للهضبة الغربية يمتد شمال صنعاء، يقول (الهمداني): أوسع قيعان نجد اليمن هو حقل جهران والرحبة "صفة جزيرة العرب"، تحقيق: محمد بن علي الاكوع، دار اليمامة والنشر، الرياض، ١٩٧٤م ص٢٤٣.

الجغرافيّة التي كانت تعبد الإله "المقه" (أنظر خريطة رقم ٤).

وقد أتخذت دولة سبأ كلاً من (مأرب) و(صراوح) و (صنعاء) عواصم لها في فترات زمنيّة متفاوتة.

ثالثاً: أشهر مكارب وملوك سبأ:

أضفي على سلطة أوائل حكام سبأ لقب "مكرب" وقد اختلف الباحثون كثيراً في تفسير الكلمة "مكرب" فمنهم من يرى أنّ المقصود "مُقرِّب" أي التّقرب إلى الإله، وأنّ الحكّام أطلقوا على أنفسهم هذا اللقب عندما كانوا يجمعون بين السّلطة الدينيّة والزمنيّة، أي بين الكهانة والملك. ومنهم من يرى أنّ لفظ "مكرب" أطلق على حكام سبأ بعد أنّ ضمّوا إلى دولتهم قبائل أخرى على شكل اتحاد قبلي، وهذا التفسير يتقارب مع ماجاء في المعجم السبأي فكلمة "مكرب" تعني رئيس مجموعة قبائل اتحادية[١]، ومهما يكن من أمر، فإن النّقوش القديمة قد أطلقت لقب مكرب على عدد كبير من الحكام الّذين يعتبر عهدهم أقدم عهود تاريخ سبأ، والدّليل على ذلك أنّ نقوشهم قد كتبت بالخط الحلزونيّ الذي أعتبره علماء الخطوط من أقدم الخطوط السبأيّة.

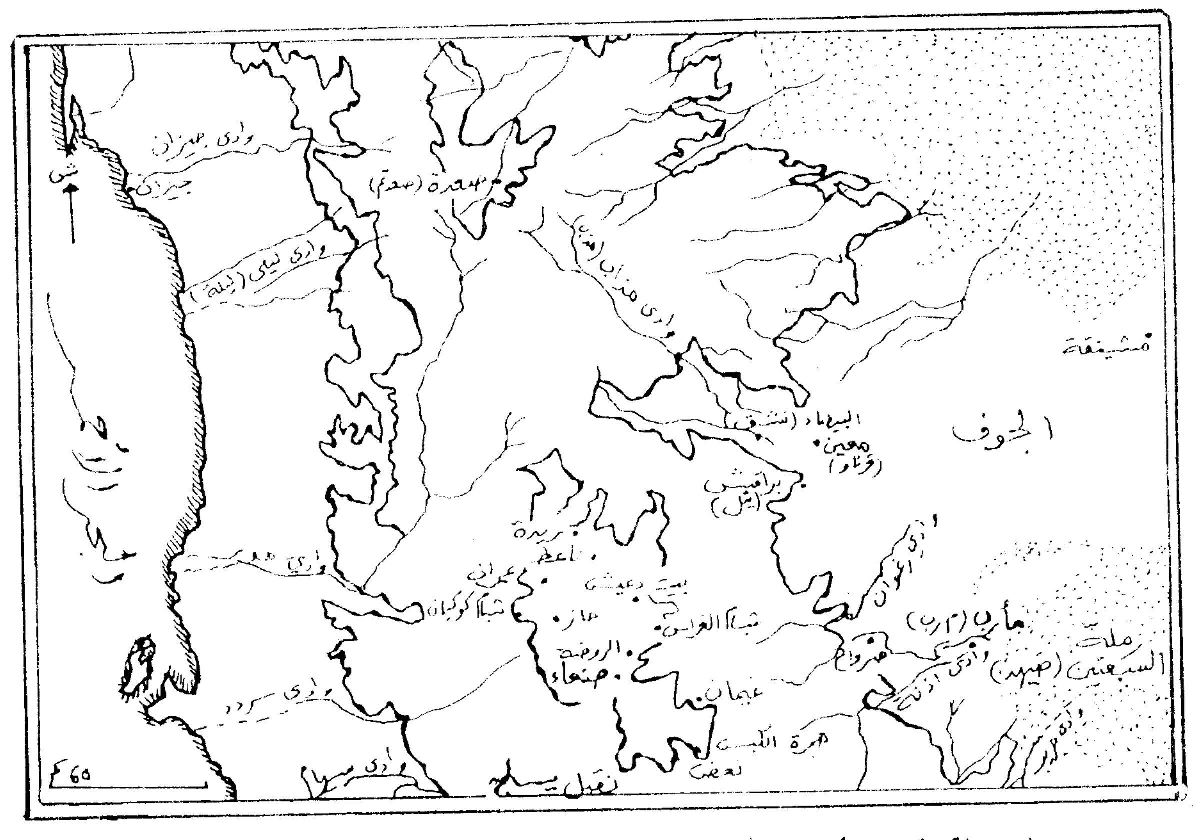
ويكاد يجمع الباحثون على أنّ أقدم النّقوش السبأيّة التي ورد فيها لفظ (مكرب) لا تتجاوز القرن الثّامن ق.م. وقد جعل (البرايت Albright) تاريخ أقدم مكرب سبأي حوالي (٨٠٠ ق.م)[٢]، وهو ماذهب إليه (فلبي Philby) مشيراً إلى إن اسم ذلك المكرب هو (سمة عليّ) من غير نعت أو لقب. وتجب الإشارة إلى أنّ هذا التّاريخ المحدّد لاينفي وجود السبأيّين في تلك الأراضي المجاورة منذ وقت أبعد من ذلك التاريخ بكثير، ذلك ما أثبتته المعطيات الأثريّة الحديثة.[٣]

---

[١]) المعجم السبأي: مادة: كرب، ص ٨٥.

[٢]) Albright , W . F : The Chronology..., pp 5-15

[٣]) - A. de Maigret , and ,ch. Robin : op. - .cit .



(خريطة رقم 4) أرض سبأ منذ مطلع الميلاد " عهد ملوك سبأ وذي ريدان "

ومن الصعب تتبع كلّ أسماء مكربي سبأ؛ الذين ذكرتهم لنا النّقوش، وذلك لشح المصادر النقشيّة والأثريّة الّتي تتحدّث عن إنجازاتهم؛ لهذا نكتفي بذكر أبرز مكربي سبأ، ممن حفظت لنا الآثار والنّقوش إنجازاتهم السّياسيّة، والحضاريّة.

أ- المكرب يدع إل ذرح بن سمة عليّ:

يأتي المكرب (يدع إل ذرح) بعد (سمة عليّ) الذي لا نعرف شيئاً عن حياته، سوى اسمه الذي جاء في نقش (Glaser 1147). أما عن (يدع إل)، فقد خلدته كثير من النّقوش منها: نقش (Glaser 484) -التي تتحدث عن الإنجازات التي قام بها، خاصة بناء المعابد، فهو الذي أقام جدار معبد (اوام)، الواقع جنوب شرق مأرب والمخصص لعبادة الإله (المقّه)، وبهذه المناسبة قدم القرابين للإله عثتر، كما سوّر معبد (المقّه) بصرواح، وإنشأ معبد (معرب) في قرية المساجد*، من أجل (المقه) ايضاً.

وتذكر النّقوش كذلك إنجازات أخرى للمكرب (يدع إل) كتحقيقه للتحالف والاتحاد بين قبائل شعبه، وماحقّقه من انتصار حربيّ أدى إلى توسيع رقعة الدولة، وبما أنّ هذه النجاحات كانت قد تمّت له بفضل الآلهه: (المقه) و (ذات حميم) و (عثتر) راح يعمل من أجلها على توسيع مساحات معابدها، وإحاطتها بالأسوار.

ب- المكرب سمة عليّ ينف بن ذمر عليّ:

يرّجع (البرايت) عهد هذا المكرب إلى القرن الخامس ق.م. أمّا (فلبي)[1] فيردّه إلى منتصف القرن السابع ق.م. والمكرب (سمة عليّ ينف) أقدم من ورد اسمه على سدّ مأرب لهذا يعدّ أوّل مكرب ساهم في تأسيس السدّ. إذ جاء اسمه في نقش (Glaser 514) أنّه ثقب الحجر، وفتح ثغره فيه لمرور المياه منها إلى سدّ (رحبم) "رحب"، لتسيل إلى منطقة "يسرن"، وقد ورد اسم (رحبم) في كتابة أخرى

(*) تقع قرية المساجد ببلاد مراد، على بعد ٢٧كم تقريبا، جنوب شرق مأرب.

(1) Philpy . H . St John : " the Background of L' Islam ", Alexandria . 1947 , p.32 .

من الكتابات الخاصة بهذا السّد. أمّا "يسرن" فهي المنطقة التي تسيل إليها المياه من فرع (رحب) وهي مسيل وادي (أذنه).

ج- **المكرب يثع أمر بيّن بن سمة عليّ ينف:**

أكمل المكرب (يثع) مابدأه والده فقام ببناء الجزء الجنوبيّ من السدّ، فوسّع بذلك رقعة أرض (مأرب) الزراعيّة وزاد في ثروة هذه المدينة التي أصبحت عاصمة سبأ، وكان سدّ (حبيض) من أهم الأعمال الهندسية التي قام بها (يثع أمر). ومن إنجازاته الأخرى: بناء سور وحصن، وقلعة (حرب) أي: حريب كما ورد في نقش (Philpy 77)، وقد ورد اسمه في نقوش أخرى مقروناً ببعض المنشآت العماريّة[1].

وفي عهده شهدت الدّولة السّبأيّة نشاطاً واسعاً على المستوى الخارجيّ، فقد تمّ الاتصال بين السّبأيّين وشعوب الشرق القديم، ومما يؤكد ذلك نقش ملك أشور (سرجون الثّاني - ٧١٥ ق.م) عندما ذكر اسم (أتي أمر) الذي قدّم لسرجون هديّة من الذّهب، والأحجار الكريمة، والأعشاب، والجمال. ويرى كثير من المؤرّخين أنّ المقصود هو المكرب السبأيّ (يثع أمر بيّن).

د- **المكرب كرب إل وتر بن ذمر علي:**

أحد مكاربة سبأ وأكثرهم شهرة، جاء ذكره في النص الآشوري باسم (كريبي إيلو) الذي خطه الملك الآشوري (سنحاريب) في حوالي عام ٦٨٥ ق.م، تحدّث فيه عن هدية كان قد أرسلها إليه هذا المكرب، ويتفق كثير من الباحثين على أنّه هو نفسه الملك السبأي (كرب إل وتر)، صاحب نقش النصر (RES 3945 = Glaser 1000) على هذا فأنّ حكمه يعود الى القرن السّابع ق.م.

يعدّ نقش النّصر الذي خطه المكرب (كرب ال وتر) من اطول وأهم النقوش السبأيّة على الإطلاق، ويتضح انّة كتب في فترة شهدت فيها المنطقة ازدهاراً حضارياً على جميع المستويات، فقد أنشئت حينها العديد من المعابد،

---

[1]) جواد علي: المفصّل ... جـ ٢، ص ٢١٧.

والسدود والقصور، وتوسّعت الأراضي الزراعيّة، وعمل السبأيّون على توطيد علاقاتهم بالعالم الخارجيّ، فجاءت سياسة التّوسعيّة تكملةً للسّياسات السّابقة، ورغبة في مزيد من الهيمنة والرفعة. وكان نقش النصر قد سجل على واجهة مبنية من كتل ضخمة من الحجر في معبد (المقه) بصرواح.

ويستهل (كرب إل) نقشه هذا بذكر ما أوجده لمدينته من منجزات، حققتها بفضل آلهتها فأشار إلى الأعمال الإنشائية الّتي أقامها ؛ كأعمال الري المختلفة لغرض توفير الرخاء لبلده ذاكراً أسماء السّدود والحواجز والقنوات، ثم تحدّث عن نشاطه العسكري وانتصاراته، فوصف غزواته التي شنها على مناطق شاسعة أمتدّت من المعافر (الحجرية اليوم) غرباً حتى (عرمة) و (ميفعة) شرقاً، ومن (ساحل) أبين جنوباً إلى أطراف (نجران) شمالاً.

ويذكر الانتصارات التي أحرزها بعد أن أخضع أغلب المناطق، ويتضح من هذا النقش أنّ الخصم الأساسيّ للمكرب السبأيّ هو دولة (أوسان) التي كانت قد شكّلت بتوسعها خطراً يهدّد ليس الدّولة السّبأيّة فحسب بل أيضاً جارتيها: قتبان وحضرموت لذلك نجد (كرب إل) يكسب تضامن الدولتين، وبفضل نقش النصر أصبح لدينا صورة واضحة للمساحة الجغرافيّة الّتي كانت تحتلّها مملكة (أوسان) وما وصلت إليه من ازدهار حضاريّ في عهد ملكها (مرتع).

وبعد الانتصار الكبير الّذي حققه (كرب إل) أعاد توزيع الأقاليم الّتي خضعت له، ولا سيّما قبيلة (فيشان)* كما تنازل عن بعض الأراضي لدولتي قتبان وحضرموت، ربما كان ذلك تعويضاً لهما عن اعتداء (أوسان) على أراضيها في الماضي.

وقد اتبع (كرب إل) في تلك المعارك القسوة، فأكثر من القتل والسّبي، واحرق المدن، وسلب مقتنياتها الثمينة ولإضعاف القوة الاقتصاديّة لخصمه فرض

---

* فيشان: قبيلة كبيرة جاء ذكرها في النقوش مع سبأ (Ja 558) (Ja 639)، كانت قد أتخذت من (شبام أقيان – كوكبان) مركزاً لها، أنظر الارياني: نقوش مسنديّة، ص ١٧٠-١٧١.

أنواعاً مختلفة من الغرامات، ثم فرض جزية وهي مبلغ يتكرر دفعه سنوياً، واستخدم السّكان كأجراء أو مستأجرين فيها، كما أزال أسوار المدن لاضعافها، وقام بإحلال السّبأيّين في بعض المدن والأراضي المهزومة.[1]

وأصبح هذا الرصيد من الغنائم مصدراً لنمو قوّة نفوذ سلطته، فجمع قبائل سبأ، وحدّد ميثاقها، وقارب بين آلهتها حيث جاء في النّقش "هذا ما ملكه (كرب إل بن ذمار عليّ) مكرب سبأ للمقّة وسبأ في عهد حكمه، وذلك يوم أخذ العهد على الناس ليكون لكلّ قوم منهم إله، وراع، وميثاق، والتزام (ايّ: معبود خاص بهم يعبدونه، وراع يحميهم، وحبل يعتصمون به ويؤيدونه)، وضحّى لعثتر بثلاث ذبائح وواحدة للآلهه (هوبس).. !"

إن هذه السّياسة التي أتخذها المكرب (كرب إل) في ضمّ الأراضي لدولته في القرن السابع ق.م، بمثابة المحاولة الأولى من نوعها في التاريخ القديم لشبه الجزيرة العربيّة لإرساء دعائم دولة مركزيّة موحدة.

وعلى الرّغم من شح مصادرنا عن مرحلة ما بعد غزوات (كرب إل) فإنه يبدو جليّا أنّ المنطقة شهدت نهضة حضاريّة عظيمة على المستويين: المحليّ والخارجيّ.

أما أسماء الملوك الذين جاؤوا بعد (كرب إل) فهم كثيرون وللأسف لم تقدّم لنا النّقوش تفصيلات كاملة عن أعمالهم، وماحدث من تطوّرات تاريخيّة في فترة حكمهم. وقد بذل علماء النّقوش جهوداً لتجميع تلك الأسماء وترتيبها معترفين بوجود فجوات في التسلسل الزّمنيّ الذي أقترحوه.

ومن ضمن الأسماء البارزة لملوك سبأ نذكر (سمة عليّ ذريح) "RES 3603"، ثم إبنه (إلي شرح)" (Glaser 485) (CIH 374) الذي أقام جدار معبد المقّه، ورمم أبراج هذا المعبد، وحفر الخنادق ووفى بجميع نذوره التي عاهد إله "المقّه"على الوفاء بها. ثم جاء بعد (إلي شرح) العديد من الملوك الذين لاتقل إنجازاتهم عمّن سبقوهم.

---

[1] بافقيه: تاريخ اليمن... ص ٦١.

أمّا ما يميّز مرحلة ملوك سبأ على المستوى السّياسيّ فهو الصراع القتباني- السبأيّ، فقد دخلت قتبان في اشتباك مع سبأ والحقت بها ضرراً كبيراً. وأمّا على المستوى الحضاريّ فقد برز العديد من الإنجازات التي أقامها ملوك سبأ: كبناء التحصينات حول العاصمة، إذ تمّ بناء سور جديدٍ لمدينة مأرب في القرن الثّاني ق.م؛ لحماية المدينة التي أخذت تنمو وتتوسع بسرعة، واستكمل بناء سور معبد الإله "المقّه" في مأرب، ونشطت حركة إصدار القوانين الخاصة بوضع المستوطنين في المدينة التّابعة لها.

رابعاً: آثار دولة سبأ:

أولاً- المدن السبأيّة:

(١) مأرب:

هي العاصمة السبأيّة، ورد اسمها هذا في النّقوش مكتوباً بخط المسند على نحو (م ر ي ب)، وكانت هي المدينة الوحيدة التي ارتبط اسمها بسبأ، كما هو واقع الحال في النقوش ذاتها، فكان غالباً ما يطلق عليها (مأرب سبأ) وتطلق النقوش ايضاً، على ملك سبأ اسم "ملك مأرب".

وتلكم اطلالها الباقية، وآثارها الماثلة في الضفة اليسرى من وادي (أذنة)، تدلّنا على ما كانت عليه المدينة قديماً من كبر وضخامة، إذ كانت مساحتها تزيد على الكيلومتر المربع، وكان يحيط بها سور دائريّ عرضه متر واحد تقريباً، وله ثمانية ابواب موزّعة بانتظام على كافة الجهات.

وكان لموقع (مأرب) الجغرافيّ -على مشارف الصّحراء- أهمّية استراتيجيّة عظمى، ممّا جعلها تتحكم بالطريق الرئيسية للتجارة، تلك الطريق التي كانت تعرف يومها "طريق اللبان" حيث غدت مأرب -حينها- مركزا تلتقي عنده المسالك المختلفة لهذه الطريق التي بفضلها ضمن السبأيّون مورداً اقتصاديّاً ضخماً من الضرائب.

وكان أيضاً لموقعها الطّبيعيّ على وادي (أذنة)، شأن عظيم، جعل السبأيين يستغلّون مياه هذا الوادي ايّما استغلال، فراحوا لذلك ينشئون سد مأرب الشّهير، فتوسعت رقعة أراضيهم الزراعيّة، فكانت لهم -عندئذ- من انتاجها الوفير ريع غزيرٌ، وخيرٌ كثيرٌ.

(أ) - تخطيط المدينة وتسويرها

كانت المدينة قد خططت على شكل مربع مستديرة أركانه (على هيئة نوبات)، ومن ثمّ حوّطت بأربعة حيطان، في منتصف كل منها باب، ونرى انّ باب مدخلها الغربيّ المسمّى بـ (باب المدينة)، ما برح قائماً حتّى يومنا هذا امّا بوّابات الجهتين الشماليّة والغربيّة فلم يعد شيء ظاهرٌ منها إلاّ أطلال من بقاياها. وأمّا سور المدينة القديم: إذا ما أقتفينا آثاره، فسنجدها ماثلة للعيان في مواضع كثيرة حول المدينة، خاصة في الجانب الغربيّ منها، اذ نرى جدران السور الحجريّة، وبوّابته القديمة قائمة، حتى انّ ارتفاعها يصل الى ٩٠ سم تقريباً وهناك على السور عينه تبرز عدداً من النقوش قام بنسخها مجموعه من علماء الآثار، من ابرزهم: (هاليفي) و(جلازر)، و(توماس أرنو) الذي زار موقع المدينة عام ١٨٣٦م، و كشف لنا حينها عن شيء من آثارها ونقوشها[1].

ومن بعد هؤلاء زارها من المهتمين -أيضا- بالآثار كل من: (أحمد فخري) عام ١٩٤٧ م، و(جام) في الأعوام (١٩٥٠ - ١٩٥٣)، و (كريستيان روبان) عام ١٩٧٥م، وقد سجّل لنا هذا الأخير شيئاً ممّا لاحظه على بقايا تلك الآثار والنقوش التي اندثر أغلبها، أو أنطمر.

وأذا ما عدنا لتفحّص البقية الباقية من تلك النّقوش ؛ نجد أن أغلبها قد أكل عليه الدهر وشرب حتى عفا عنه الزّمن تماماً وما ظل سليماً منها أخذ يتعرض باستمرار للتخريب عمداً[2] ، وللتدمير عنوة من أولئك الذين يقومون -حالياً- بنقل الكتل الحجريّة القديمة لبناء منازل حديثة لهم.

---

[1]) أحمد فخري: "رحلة أثرية إلى اليمن"، ترجمة: هنري رياض، د. يوسف محمد عبدالله، مراجعه عبدالحليم نورالدين، وزارة الثقافة والاعلام، (مشروع الكتاب ٢١ (٢)، الجمهورية العربية اليمنيّة، (١٩٨٨) ص١١٥.

[2]) Robin ch : " Résultats épigraphiques et archéologiques de deux brefs séjours au république Arabe du Yemen " , dans , Semitica XXVI , 1976 , pp. 180 - 182. .

(ب): (سلحين) الملكيّ:

ورد ذكر هذا القصر في كثير من النقوش منها ذلك النقش (اریاني ١٤) الذي يعود إلى عهد الملك السبأيّ (شعراوتر) القرن الثالث الميلادي تقريباً، وفيه ذكر هذا القصر مع ذكر قصر (غمدان) الشهير. ويحكي لنا هذا النقش: أنّه عند مجيء الحميريّين إلى (مأرب)، سرعان ماتحقّقت للقب الملكيّ صيغته التّوحيديّة المتمثلة بعبارة (ملك سبأ وذي ريدان)، التي تثبتت بصورتها النهائية حينما وصل الملكان: (ياسر يهنعم) وابنه (شمر يهرعش) اللذان سارا من القصر الملكي (ريدان) (بظفار) العاصمة الحميريّة، إلى (سلحين) (بمأرب) العاصمة السبأيّة لتسلّم مقاليد الحكم هناك.

وعلى الرّغم من أن اسم (سلحين) قد تكرر ذكره في نقوش شتّى، وفي فترات زمنية مختلفة، الاّ أنّ المهتمين من علماء الآثار لم يتمكنوا من تحديد موقع هذا القصر، وإنْ ذهب نفر منهم إلى القول بأن التّلّ الذي تتموضع عليه (قرية) مأرب حاليّاً، هو عينه موقع القصر الملكيّ (سلحين)[1]. أمّا (الحسن الهمدانيّ) فيذكر في كتابه (الاكليل) أنه كان في مأرب ثلاثة قصور، هي: سلحين، والهجر، والقشيب[2].

(ج) معبد الإله (المقة) بيت (أوام)*:

ورد في النّقوش أنّ معبد المقه، يقع على بعد أربعة كيلومترات إلى الجنوب من مأرب على الجانب الآخر من وادي (أذنه). وكان هذا المعبد واحداً من أهم المعابد السبأيّة القديمة التي شيّدت للإله (المقه) الذي هو (بعل أوام) أي:" سيّد أوام". وقد درج المسلمون يطلقون عليه (محرم بلقيس)، ويبدو أنّهم عمدوا إلى هذا

---

[1]) - Bafaqih . M : " L' unification du Yémen antique , La lutte entre Sabā' - Ḥimyar et le Ḥaḍramaut , du I er au III er siécle de l'ère chretiénne " , Paris 1990 , P. 81-90 .

[2]) الهمداني: الاكليل، جـ ٢، تحقيق الاكوع، ص ٣١٧.

*) أوام: مربعٌ تابعٌ لديار عشيرة (مرثد) السبأيّة التي انحدر منها كثيرٌ من ملوك سبأ.

تأثراً بما جاءت به الرّوايات عن الملكة السبأيّة التي عرفت لديهم باسم (بلقيس).

ومع مرور الدّهور أخذت الرّمال تغطي أجزاءً كبيرة من المعبد الذي تصفه البعثات الأثرية بأنه بيضاوي الشكل، يتموضع بين تلّين من الحجر الجيريّ، ومدخله الرّئيسيّ كائن في الجهة الشّماليّة الشرقيّة، تتقدمه ثمانيّة أعمدة من الجرانيت متراصّة في صف متناسق[١].

(د)- المقبرة (مقبرة مأرب):

وخلال عامي ١٩٥١-١٩٥٢م كانت تنقيبات البعثة الأمريكية في مأرب قد أسفرت عن اكتشاف عظيم -إضافة إلى ماكتشفته من آثار المعبد السالف الذّكر-. تمثّل هذا الاكتشاف بعثورها على مقبرة كبيرة في المنطقة ذاتها[٢]. وكان (هاليفي) قد سبق وأن أشار إلى هذه المقبرة[٣].

ويلاحظ المرء أنّ موقع هذه المقبرة، يحتّل الجانب الشرقيّ لحائط المعبد البيضاويّ. ومن خلال ما تمّ العثور عليه فيها من آثار برزت أهميتها التّاريخيّة من حيث إنها تحوي في طيّها قبوراً لشخصيات تاريخية ذات قدر جليل عند السبأيّين القدماء، وهي شخصيات تنتمي للسلالات المالكة في سبأ بصلات من القرابة والقربى، ناهيك عن أنّ المقبرة ذاتها تتكون -على الأقل- من حجرتين غائرتين تحت الأرض، كلاهما تضمان من الداليب ما يقارب (١٦٠)، جميعها داخل الحائط؛ مرصوفة في أربعة صفوف، كل منها فوق الآخر.

وكانت الآثار المكتشفة في هذا الموضع مطمورة تحت الرّمال الكثيفة المتراكمة، وممّا عثر عليه من هذه الآثار أيضاً:

أ- قطعة من البرونز مشكّلة تماماً على هيئة قدم لثور صغير.

ب- أربعة تشكيلات نحتيّة لرؤوس رجال مصنوعة من الرخام.

ج- تمثال صغير من الطّين الصلب، وغير ذلك من الملتقطات الهامّة.

---

١) بول جينيه: "ملاحظات على اثار جنوب الجزيرة"، دراسات يمنية، العدد ٢٧، صنعاء (١٩٨٧م)، ص ١٠٩، ١٣٨.

٢) - ALbright . F.B . et Lebaron Bowen --- op. cit . p. 287-295 .

٣) جوزيف هاليفي، مرجع سابق، ص ١٩٠.

(هـ) سد مأرب:

حظي سد (مأرب) بشهرة واسعة، خاصة وأنّ القرآن الكريم قد ألمح إليه الماحاً عند حديثه عن السبأيّين عندما جرف سيل العرم ديارهم، وذلك في قوله تعالى: "لقد كان لسبأ في مسكنهم آية: جنتان عن يمين وعن شمال كلوا من رزق ربكم، وأشكروا لهُ، بلدة طيّبة ورب غفور * فأعرضوا؛ فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين. ذواتي اكل خمطٍ وأثل وشيً من سدر قليل. ذلك جزيناهم بما كفروا، وهل نجازي الا الكفور * وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة، وقدرنا فيها السّير، سيروا فيها ليالي واياماً آمنين* فقالوا: ربنا باعد بين أسفارنا، وظلموا أنفسهم، فجعلناهم أحاديث، ومزّقناهم كلّ ممزّق إنّ في ذلك لآيات لكلّ صبّار شكور"[1].

بعد ذلك نجد أخبار سدّ مأرب تتصدر أحاديث الاخباريين، وكتب المؤرخين[2]، فامتزج وصفهم للسّدّ بالخيال والأساطير، وأبرز هذه الأخبار التي أوردها، أنّ اللّه عاقب أهل مأرب بأن أرسل إليهم فأراً كبيراً ذا أسنان ومخالب حديديّة، قرضت حيطان السدّ الحجريّة؛ حتّى تداعت، فابتلعت المياه، كل المباني وأهلكت الزرع.

إلا أن هناك من المؤرّخين من تميزت كتاباتهم بالدّقة العلميّة فالهمدانيّ – مثلاً– كان قبل ألف عام قد زار مأرب، وسجّل ما شاهده من آثارها، ومنها السّدّ الذي وصفه وصف شاهد عيان، قائلاً: "وأمّا مقاسم المياه من مذاخر السّدّ فيما بين الضّياع فقائمة كأن صانعها فرغ من عملها بالأمس ورأيت بناء أحد الصّدفين (الجانبين) وهو الذي يخرج منه الماء، قائماً بحالة على أوثق ما كان ولا يتغيّر إلاّ إلى ان يشاء الله عزّ وجلّ"[3].

---

[1]) سورة سبأ الآيات رقم ١٥-١٩.

[2]) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبوعبدالله: "معجم البلدان"، ط ٤، دار صادر، بيروت ١٩٧٧م، ص٣٨٣.

[3]) الهمداني: الإكليل، جـ ٨، ص ٩٥-١٠٨،١٨٦.

الغرض من بناء السّدّ:

شيِّد سدّ مأرب عند أضيق نقطة في وادي (أذنه)* بين مضيق الجبلين، البلق الشماليّ والبلق الأوسط.

ومن المعلوم أنّ وادي (أذنة) يستقبل عدداً من الأودية الغزيرة بالمياه القادمة من المرتفعات الغربيّة، وتقدّر مساحة المساقط المائية للوادي بنحو عشرة آلاف كيلومتر مربع، أمّا كميّة المياه المنحدرة من تلك المساقط فهي متفاوتة وغير ثابتة، وقد قدّرت إجمالاً بمتوسط (٢٠٠ مليون) متر مكعب، كما تختلف قوة اندفاع السّيول المتدفقة إلى الوادي بين الفترة والأخرى.[١]

لقد كانت تلك المياه الغزيرة تتفرق في الوادي، وتضيع في التربة دونما فائدة، ففكّر السبأيّون منذ مطلع الألف الأول قبل الميلاد تقريباً في إيجاد حل لتلك المشكلة، واهتدوا إلى ذلك الإبداع العظيم، الا وهو بناء سدّ مأرب الشهير مستهدفين من بنائه عدة أغراض، منها:-

(١) التقليل من إندفاع السيول إلى الوادي، تلك السيول التي كان جريانها -أحياناً- يؤدي إلى انجراف التربة وتدمير القرى، خاصة في مواسم الأمطار الغزيرة.

(٢) رفع منسوب المياه عدة أمتار حتى تصل إلى المدرجات الزراعيّة المرتفعة على جانبي الوادي.

(٣) التّحكم في توزيع المياه حسب الحاجة ، بواسطة مصرفين** كبيرين على جانبي السد. فالغرض إذن من بناء السّدّ ، ليس حجز المياه في (بحيرة) صناعية، ولكن كسر حدة السّيل والتّحكم في مياهه.

وصف السّدّ:

تفيد المعطيات الأثرية والنقشيّة لبقايا آثار منشآت السّدّ ، انّ المنشآت التي

---

*) أذنة: وادٍ ذكر في النقوش اليمنيّة القديمة (أ ذ ن ت)، يعد من الأودية الهامة والغزيرة بالمياه.

[١]) يوسف عبدالله: أوراق، جـ ١، ص٨٤-٨٥، ٨٩.

**) المصرفان: يطلق عليهما أيضا الصدفان أو الهويسان.

قام عليها نظام الرّي في منطقة سدّ مأرب تتألف من[1] :-

(١) سدّ مأرب: أو جدار السّدّ الذي يحجز الوادي، وهو عبارة عن جسر من التراب، غطيت واجهته بالحجارة لمواجهة تيار الماء.

(٢) المصرفان الكبيران اللذان يقعان عن يمين ويسار السدّ. والتي تتدفق عبرهما المياه.

(٣) القناتان الرئيسيتان اللتان تربطان المصرفين بالجنتين.

(٤) مقاسم المياه في الجنتين: وهي عبارة عن سدود تحويليّة صغيرة تقوم بتقسيم المياه التي تصلها من القناتين الرئيسيتين.

(٥) شبكة الرّي المؤلفة من القنوات الفرعيّة والتي تسقي الضياع والحقول.

(٦) حقول الجنتين بأشكالها المستطيلة والمربعة والتي تكوّن في مجملها اراضي الجنتين في وادي سبأ* (وادي أذنة).

ويبدو من خلال تلك الدراسات الأثريّة، أنّ سدّ مأرب كان يمتد نحو (٨٦٠) متراً عبر الوادي ما بين المصرفين، أمّا ارتفاعه فيبلغ (١٦) متراً قريباً، وقدّر سمكه بحواليّ (٢٠) متراً[2].

لقد كان سدّ مأرب قائماً على قاعدة ثابتة الأساس بنيت بالحجارة الضخمة، تمتد ما بين بوابتي المصرفين وعبر الوادي على امتداد الحاجز كله. وكان جدار السّدّ يعلّى تدريجياً وفقاً للظروف المستجدة كترسبات الطمي المتراكم خلف السد في باطن (بحيرة) السد. وقد أشار (الحسن الهمدانيّ)، إلى تلك القاعدة الصخريّة الثابتة حيث قال: "إنّما وقع الكسر في العرم وقد بقي من العرم شيء مما يصالى الجنة اليسرى، يكون عرض أسفله خمسة عشر ذراعاً. ويضيف: "وكان العرم مسنداً إلى

---

[1]) يوسف عبدالله: أوراق، جـ ١، ص٩٠ عن -A- Fakhry :" An Archaeological Journey , and , Jurgen Sehmidt : Archaeological Bericht . and , Brunner : Uli Archaeologische Berichte ans dem yemen II . S . Swiss Final Report
وانظر النقوش التالية: (Ja 671 , CIH 540 , CIH 541).

* يسمى حاليا وادي عبيده.

[2]) يوسف عبدالله، أوراق جـ ١، ص ٩٥ عن: -A- Fakhry : An Archaeological Journey - p. 36

حائط (واثر) ما بين عضاد بالمذاخر بمعازب من الصخر عظام ملحمة الأساس بالقطر"..[1]

أمّا المصرفان فهما عبارة عن مخرجين كبيرين نحتا في الصخر ثم استكملا بناءً على صخور جبلي البلق بحيث يكونا قناتي توصيل كبيرتين شق أسفلها من الصخر وشيّد أعلاهما بواجهات سميكة من الحجارة الكبيرة، مربعة الأضلاع، قصّت بعناية فائقة وثبت بعضها فوق بعض بتلاحم وترابط. وتمكن وظيفة هاتين القناتين في تصريف المياه المتدفقة من السد عبر حوضين صغيرين[2].

وآثار المصرفين (الصدفين) لاتزال قائمة، ومن خلال مشاهدته لآثار سد مأرب –قبل الف عام– يقول الهمدانيّ: "ورأيت بناء أحد الصدفين باقياً وهو الذي يخرج منه الماء قائماً بحالة على أوثق ما كان ولا يتغير إلى ان يشاء الله عز وجل".[3]

أمّا المقاسم فهي عبارة عن سدود تحويليّة صغيرة وظيفتها تقسيم المياه التي تصلها من القناة الرئيسيّة عبر فتحات أعدت لهذا الغرض . وقد شاهد (الهمدانيّ) آثار تلك المقاسم حيث قال: "وأمّا مقاسم الماء من مذاخر السد بين الضياع فقائمة كأن صانعها فرغ من عملها بالأمس...[4].

بواسطة تلك المقاسم تنتقل المياه إلى شبكة معقدة من القنوات الفرعيّة، ومن هذه القنوات الفرعيّة تسقى الحقول والضياع على أن الحقول قد تسقى بعضها بعضا عن طريق مناسخ مثبّتة في (أعرامها) وتلك القنوات في معظمها ترابيّة ليسهل تحويلها وإغلاقها عند الحاجة. كما أنّ سعة كل قناة قد صمّمت لتنقل أقصى كميّة من مياه الوادي الواصلة اليها، أي انها تتسع كميات من المياه الفائضة التي قد تتدفق عبر القنوات أو السّدود الموصلة إليها في حالة مجيء سيول جارفة فتوزع المياه بسهولة ويسر.

---

[1]) الهمداني الاكليل، جـ ٨، ت: الاكوع، ص ٩٦-٩٧، ٩٩.

[2]) يوسف عبدالله: أوراق.. ، جـ ١، ٩٥-٩٦.

[3]) الهمداني: الاكليل، جـ ٨، ت: الاكوع، ص ٩٦.

[4]) المصدر نفسه.

أمّا عن مساحة (بحيرة) السّدّ قديماً فقد قدّرت بحوالي (٨) كيلومترات مربعة، وسعتها الإجمالية بلغت حوالي (٥٥) مليون متر مكعب، وتقدّر طاقة القناتين الرئيسيتين معاً بحوالي (٦٠) متراً مكعباً في الثانية، أمّا المساحة التي كان السّدّ يرويها قديماً فقد حددت بحوالي (١٠،٠٠٠) هكتار[١].

متى بنيّ السّدّ؟

أثبتت الدراسات العلميّة الحديثة أنّ أساس سدّ (مأرب) يعود تاريخه إلى مطلع الألف الأول قبل الميلاد[٢]. ومنذ رحلة الصيدلاني الفرنسي (توماس ارنو) عام ١٨٤٣م، كشفت لنا النقوش التي سجّلت على جدار السّدّ عن أسماء عدد من المكاربة السبأيّين الذين ساهموا في تأسيس ذلك الصرح العظيم، فقد ذكر أحد النقوش بان المكرب (سمه علي ينف) حفر في الناحية اليمنى من جبل (البلق) وبنى سداً يسمّى (رحب) رحاب، لتسهيل عملية السقي، وفي نقش آخر نجد أن المكرب (يثع أمر بين بن سمه على ينف) واصل ما بدأه والده فحفر فتحة أخرى في (البلق) لكي يسهل السقي أيضاً. لم يتفق العلماء على وضع تسلسل تاريخي خاص بمكاربة سبأ، لهذا فأننا نجهل عهدهما بشكل دقيق، ولكن أغلب الظن أن عهديهما قد يبعدان عن منتصف الألف الأول قبل الميلاد.

انهيار السّدّ:

تعرّض سدّ مأرب للانهيار أكثر من مرة نتيجة للسيول الجارفة، وتراكم الإرساب خلف السّدّ، مما سبب ضغطاً شديداً عليه فلم يتحمل مقاومة تلك العوامل الطبيعيّة، أضيف إليها عوامل بشريّة تمثّلت في إهمال الدّولة لمنشأت الري بشكل عام، أمّا نتيجة لضعف دب في أوساطها أو لانشغالها بالمشاكل السياسيّة الداخلية، كما إن إنتقال الثقل السياسي من أطراف الأودية الشرقيّة إلى المرتفعات الغربية ، بسبب تحوّل الطريق التجاري من البر إلى البحر، كل تلك العوامل كانت بمثابة

---

[١]) يوسف عبدالله: أوراق، جـ ١، ٩٦. عن: Brunner: Archalogische Berichte II. S. 122

[٢]) المرجع نفسه، ص ٧٨. عن ... Brunner: Archaologische

النذير الخطير لإنهيار سدّ مأرب، وفي كل مرة كان ملوك سبأ يقومون بإعادة ترميمه وتلافي ما يصيبه من صدوع.

وأول إشارة عن ترميم السدّ جاءت في نقش (Ja 671)، الذي يعود لمنتصف القرن الرابع الميلادي، يذكر النقش إن الملكين (ثأران يهنعم وابنه ملكي كرب يهأمن) قاما بإعادة بناء الهويس الشمالي. كما ترك لنا الملك (شرحبيل يعفر) نقشاً (CIH 540) تحدث فيه عن ترميمه لسدّ مأرب عام (٤٤٩م) وانه قام باصلاح تصدع آخر حدث في العام التالي (٤٥٠م). وقد شمل النقش معلومات تفصيليّة عن عملية الترميم، وسجّل عدد الرجال الذين ساهموا في ذلك العمل حيث كان عددهم (٢٠٠٠٠) رجل من كل أنحاء اليمن، وذكر كميات الطعام و المشروبات التي استهلكوها خلال فترة العمل.*

أما (أبرهه) فقد سجّل هو الآخر نقشاً (CIH 541)، قلّد ما جاء في نقش (شرحبيل) من حيث تفاصيل العمل، وعدد العمال و المأكولات.. كان ذلك في عام (٥٤٢م).

ظل سدّ مأرب يؤدي أغراضه حتى نهاية عهد أبرهه عام (٥٧١م)، أي بعد إنشائه بأكثر من أحد عشر قرناً، ثم انهار نهائياً عام ٥٧٥م، وقد جاء ذكر ذلك الانهيار النهائي للسد في القرآن الكريم (سورة سبأ آية ١٥): "فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم** وبدلناهم بجنيهم جنتين: ذوات اكلٍ خمطٍ، وأثل وشيء من سدر قليل".

وبسبب الانهيار الأخير تفرق شمل قبائل سبأ، فهاجروا الى أنحاء متفرقة من شبه الجزيرة العربية. فقالوا" تفرقوا أيدي سبأ[1].

---

*) زار كريستان روبان مأرب عام ١٩٧٥م وتحدث عن ما شاهده من آثار سد مأرب، وأشار الى ان نقش شرحبيل (CIH 540) قد تهدم. أنظر. Robin. ch : Résuitats - pp . 167-187.

**) العرم: أو (العريم) هو السد، جاء في النقوش اليمنيّة القديمة (ع ر م ن) والجمع (أعرام).

[1]) أنظر مجمع الأمثال للميدانيّ، أحمد بن محمد (ت ١١٢٤ هـ).

٢- صرواح

تعتبر صرواح* المدينة السبأيّة الثانية بعد مأرب، ويرى بعض الباحثين بأنها العاصمة الأولى للدولة السبأيّة.

تقع صرواح على وادي صرواح بين صنعاء ومأرب، على بعد ٤٠ كم جنوب غربي مأرب تقريباً[١].

عندما زار (نزيه مؤيد العظم) صرواح، وصفها بانها خربة، بُني على أنقاضها قرية تتألف من عدد من البيوت، فشاهد فيها بقايا القصور القديمة، والأعمدة الحجريّة المنقوشة بالمسند، وأشار الى أنّ القسم الأعظم من المباني القديمة مدفونة تحت الانقاض، عدا أربعة أو خمسة قصور لا تزال ظاهرة على وجه الأرض[٢].

أمّا (أحمد فخري) فذكر أنّ خرائب (صرواح) تتمثل اليوم في ثلاثة مواقع أثريّة هي: (الخريبة)، (القصر)، و (البنا)، وهي على امتداد خطّ واحد في وسط الوادي الواسع، وتشغل (الخريبة) منطقة القلب في الجزء الأوسط من هذا الخطّ الطّوليّ، وتقع (البنا) وبقايا خزان للمياه وسدّ على بعد (٩٠٠) متر تقريباً، شمال (الخريبة)، أمّا قرية (القصر) فتقع على بعد (٨٠٠) متر جنوب (الخريبة)، وقد كشف (أحمد فخري) عن بقايا معبد الإله (المقّه)، فقال: "إنّ الأجزاء الكبيرة من المعبد مازالت محفوظة، فالجزء العلويّ من المعبد مزيّن بأفريز جميل من رؤوس الوعول، وهناك أيضاً بعض النقوش على الجدران الخارجيّة على الجانبين الشماليّ والشّرقيّ، وهي بحالة جيّدة" [٣].

أمّا الباحث (كريستيان روبان) الذي زار الموقع عام ١٩٧٥ م فقد أشار إلى

---

*) الموقع الأثري يسمّى اليوم (صرواح خولان) لتميزه عن (صرواح ارحب) (مدر) قديماً وحديثا. تقع على بعد ١٥ كم شمال شرق (ناعط). موقع غني بالآثار.

[١]) أحمد فخري: رحلة أثريّة – ص ٦٥ – ٨٧.

[٢]) نزيه مؤيد العظم: "رحلة في البلاد العربية السعيدة"، من مصر الى صنعاء، جـ ٢، ط٢، مؤسسة فادي برس، لندن، دار قتيبة، بيروت (١٩٨٥) ص ٦٥ – ٨٧.

[٣]) أحمد فخري، رحلة أثرية، ص ٦٥–٨٧.

أنّ الآثار التي تحدث عنها (أحمد فخري) كبقايا المعابد، قد اختفت تقريباً، إلا أنه سجّل مشاهدته لآثار سور المدينة القديم[1].

ومما يلفت الانتباه إن (صرواح) فقدت أهميتها بعد بروز (صنعاء) كعاصمة ثانية للسبأيّين في عهد ملوك سبأ وذي ريدان أي منذ مطلع الميلاد.

---

[1]- Robin . Ch : " L'Arabie du sud antique , le royaume de Sabā, dans Bible et Terre Sainte , 177 , Janvièr , 1976 , pp . 8 - 11 .

الفصل الثّاني

دولة حضرموت:

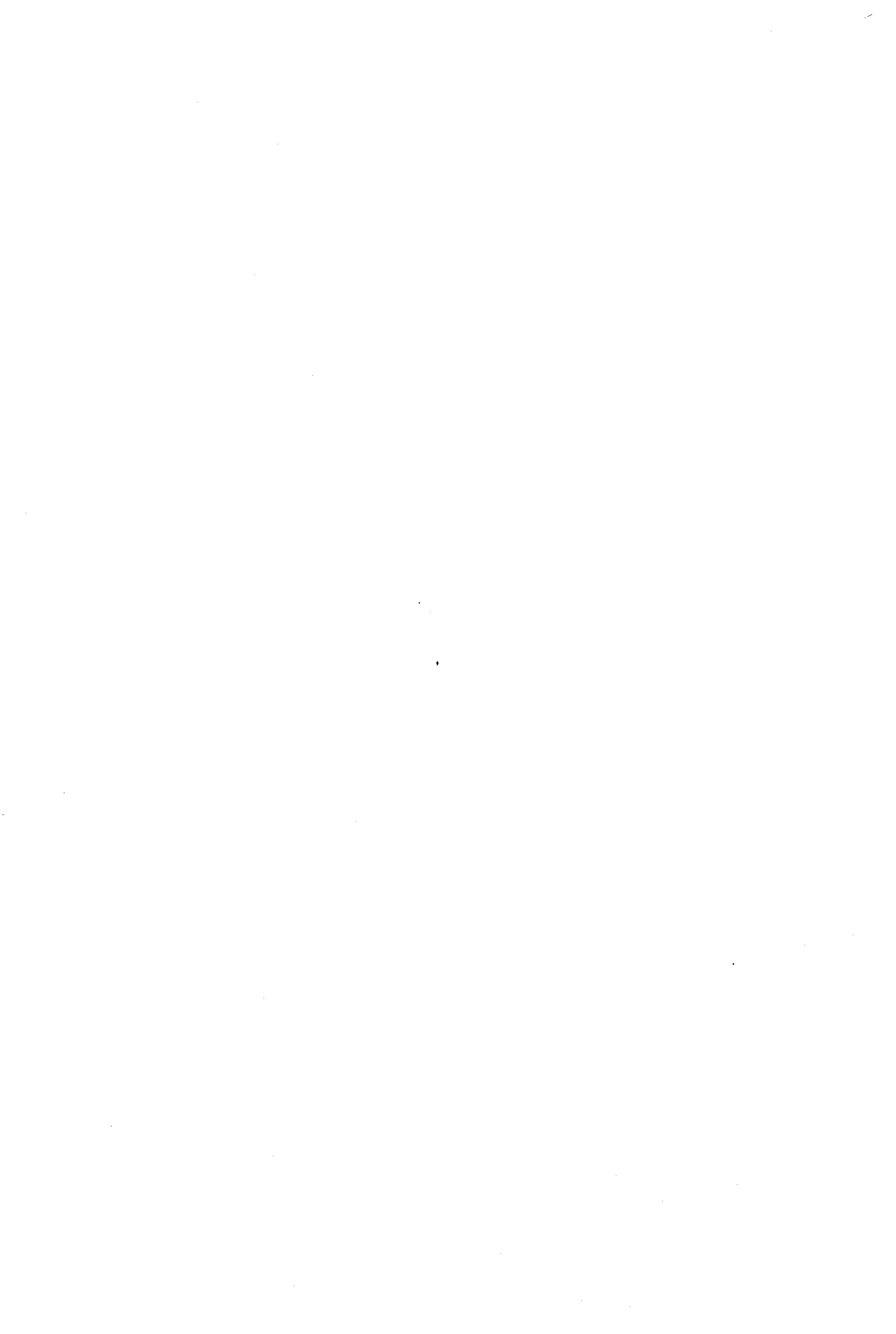
أولاً: الموقع الجغرافي

ثانياً: حضرموت في المصادر

ثالثاً: حضرموت وجيرانها

رابعاً: الوضع السياسي لحضرموت مع بداية الميلاد

خامساً: آثار حضرموت



الفصل الثّاني

دولة حضرموت:

أولاً: الموقع الجغرافي:

شغلت دولة حضرموت مساحة جغرافيّة واسعة من جنوب شبه الجزيرة العربيّة، فحدودها كانت تمتد من حدود (قتبان) غرباً، وحتّى عُمان شرقاً ومن البحر العربيّ جنوباً؛ وحتّى (العبر) وصحراء الربع الخالي شمالاً (أنظر الخريطة رقم ٥). قد ورد اسم حضرموت في النّقوش (ح ض ر م و ت) أو (ح ض ر م ت). أما اسم الوادي فكان يسمى (س ر ر ن). وجاء في التّوراة حاضرميت) -أي (حضرموت)- كأحد أبناء يقظان بن عامر بن شامخ[١].

ثانياً: حضرموت في المصادر:

جاء ذكر حضرموت عند الكتّاب الكلاسيكيين فقد قال عنها (بليني) في كتابه (التّاريخ الطّبيعيّ): "(حضرميتا) ومركزها (سبوتا) مدينة تحتوي على ستين معبداً[٢]. والمقصود ب (سبوتا) "شبوه" عاصمة الدولة.

أمّا الحسن الهمدانيّ -من علماء القرن العاشر الميلاديّ- فيقول: "نسبت هذه البلدة إلى حضرموت بن حمير الأصغر. . . "[٣].

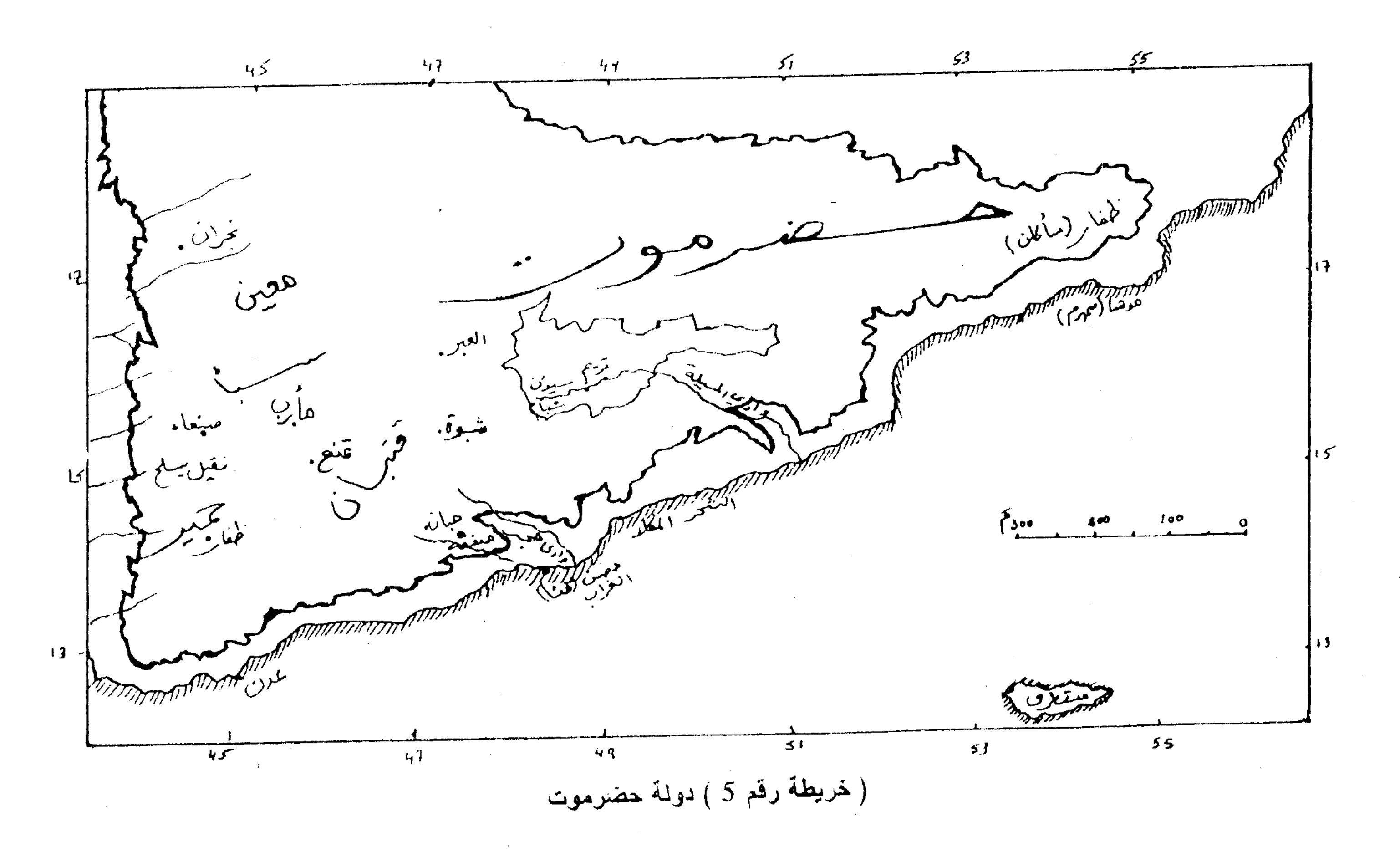
ظلّت حضرموت تحتفظ باسمها لقرون طويلة، ولم يختف الاسم بزوال المملكة القديمة، كما حدث لغيرها من الممالك، بل ظلّ حتّى يومنا هذا لكنّ الحدود الجغرافيّة لهذا الإقليم اختلفت عمّا كانت عليه.

---

[١]) التوراة، العهد القديم، سفر أخبار الأيام الأول، الاصحاح الأول، آية رقم (٢٠).

[٢]) Pliny :" Natural History " , translated by . H . Rackham , London and Cambridge , 1969 . BK 6 . sec 32 .

[٣]) الهمداني: [illegible]، ص ١٦٧.



(خريطة رقم 5) دولة حضرموت

ولا يزال الغموض يكتنف أجزاءً من تاريخ حضرموت السّياسيّ، وخاصة في عصور قبل الميلاد. فالمعلومات المتوافرة شحيحة للغاية، وهذا النقص شجع كثيراً من الباحثين لوضع فرضيّات مختلفة حول بداية التّكوين السّياسيّ لتلك الدّولة. وعلى الرّغم من شح المعلومات، إلاّ أننا نستطيع أن نؤكد بأن حضرموت طيلة النصف الثاني من الألف الأول ق.م، ظل ثقلها المؤثر والعظيم في مجرى التّطوّر العام للحضارة اليمنيّة.

ويؤكد الباحثون بأن حضرموت عرفت نظام المكاربة، اذ تقدّم لنا النّقوش عدداً من أسماء هؤلاء المكاربة، كانوا قد حكموا حضرموت. وحاول الباحثون ترتيبهم ترتيباً زمنياً لكنّهم اختلفوا في طبيعة هذا الترتيب.

ثالثاً حضرموت وجيرانها:

كانت علاقة حضرموت بكل الممالك المعاصرة لها، علاقة تحكمها المصالح والمواقف، ولذلك كانت هذه العلاقة تتأرجح بين مشاعر الودّ والمنفعة الاقتصاديّة حيناً، ومشاعر العداء والحروب المدمّرة حيناً آخر.

ويرى الباحثون أنّ هناك علاقة إتّحاديّة قديمة كانت قد نشأت بين سبأ وحضرموت منذ عهد المكاربة، فقد عثر على أسماء لمكاربة سبأيّين وملوك من حضرموت، وذلك في عهد الكتابة الأكثر قدماً، كما عثر -في الوقت ذاته- على آثار السبأيّين في حضرموت سواء أكان ذلك على صعيد اللهجة أم الدّين أم الفنّ[1].

أمّا علاقتها -أعني حضرموت- بمعين فقد امتازت بخصوصيّة فريدة، فقد ذكراسم الملك (صدق إل) ملكاً على حضرموت فقط، إذ ورد في نقش (RES2775) اسم هذا الأخير مرفقاً لاسم (أب يدع يثع) ملك معين، حيث ذكر بأنه تقرب إلى الإله (عثتر ذو قبضم) ببناء برج على أحد الأسوار في مدينة (قرناو) العاصمة المعينيّة.

---

(1) J. Pirenne : " Les témoine écrit de la région de Shabwa et l'histoir " . (fouilles de Shabwa) tome 1 . Paris (1990) .p . 130 ...

ثمّ من بعده (معد كرب بن اليفع يثع) ملك معين، ثم شقيقه (اليفع ريام بن اليفـع يثـع) الذي يظن -في الأغلب- أنه حكم معيناً وحضرموت معاً.

وهكذا تستمر تلك الحال من العلاقة المتميّزة بين حضرموت ومعين، والتـي نجهل تفاصيلها لفترة من الزمن يصعب تحديدها.

في تلك الآونة نجد حضرموت تحظى بأهميّة خاصّـة، كمنطقـة تنتـج أجـود وأثمن أنواع البخور، فقد تحدّثت الكتب الكلاسيكيّة عـن تجـارة هـذه السّـلعة الثّمينـة، وأن "شبوة" (العاصمة الحضرميّة) كانت مركزاً رئيسياً لتجميعها. وراح الكلاسيكيّون يتناقلون اسم هذا المركز -أعني شبوة- وأهميّتة السيّاسيّة والدّينيّة والتّجاريّة. وأشـار (بليني) وغيره مـن الكتّـاب الكلاسـيكيّين أيضـاً إلـى أشـجار المـرّ واللبـان، وطريقـة جمعهما، ومايصاحب هذا الجمع دائماً من طقوس متّبعة في ذلك[1].

رابعاً: الوضع السياسي لحضرموت مع بداية الميلاد:

ومع بداية ميلاد "يسوع" عليه السلام، أخذت (حضرموت) تعيش فترة كبيرة ومديدة من القوّة والازدهار وكانت مظاهر ذلك الازدهار تتمثّل بما يلي:-

١. اقتسامها النّفوذ السيّاسيّ -في المنطقة- مع أعظم مملكتين من الممالك اليمنيّـة الأخرى، هما: (سبأ) الدّولة الكبرى، و(حمير) الدّولة الفتيّة.
٢. إنّه في الوقت الذي ظلّ فيه السـبأيّون فـي صـراع مرير مـع الدّولـة الجديـدة (حمير)؛ فأنّ حضرموت -في المقـابل- اسـتمرّت تتحكّـم فـي إنتـاج الطيـوب وتصديرها.
٣. احتكارها عمليّة "الترانزيت"، وقيامها بوظيفتها؛ مستفيدة من موانئها السّاحليّة.
٤. سيطرتها على إقليم "ظفـار" (عُمـان) -أغنـى الأقـاليم المنتجـة للبـان والمـر- وعلى جزيرة سقطرى الواقعة على مشارف الساحل الأفريقيّ والتـي يرتادهـا التّجار من كل حدب وصوب دائماً.

---

[1] Pliny : op.-cit. Bk. 6 Sec (32)

٥. امتداد نفوذها السيّاسيّ إلى وادي (بيحان)[1] في أعماق دولة (قتبان)، وذلك بعد أن دبّ الضعف في هذه الأخيرة، وأخذت تتجاذبها مطامع الأقوياء من الدّول اليمنيّة آنذاك.

إلاّ أنّ استمرار حضرموت في تطلّعها إلى الهضبة الغربيّة كان قد أدخلها في مشكلات كبيرة مع سبأ وحمير، مما سبّب لها متاعب لاحصر لها ولاعدّ ! فحينها (القرن الثاني الميلادي) دخلت مع سبأ في حرب ضروس، وكان على رأس جيش السّبأيّين الباسل والقويّ (سعد شمس أسرع) وابنه (مرثد يهحمد)، الاّ أنّ حضرموت لم تدخل هذه الحرب منفردة ، وإنّما ضمن تحالف ضمّ: كلاً من: ملكها (يدع إل)، وقيل ردمان (وهب إل)، وقبائل خولان، وكلّ (ولد عمّ)، و(أوسان) و(مضحى- أو مضحم) (انظر الخريطة رقم٦). وتقابل الفريقان:- سبأ من جهة، والأطراف المتحالفة من جهة أخرى- في منطقة (وعلان)، وانتهت المعركة بأنتصار السّبأيّين، وهزيمة أطراف التحالف هزيمة منكرة[2].

وممّا يلفت النظر أنّه في عهد ملك سبأ (علهان نهفان) يطالعنا إسم الملك الحضرميّ (يدع إل)، وذلك حينما دخلت العلاقة بين حضرموت وسبأ طوراً جديداً، اتسمت بالمودة والاحترام المتبادل، وكان هذا بعد أن عقد الملك السبأيّ حلفاً مع صنوه الحضرميّ، على أثر لقاء تمّ بينهما في (ذات غيل) من أرض قتبان وهذا يعني أنّ ملك حضرموت (يدع إل) قد وصل بنفوذ دولته إلى الأرض القتبانيّة[*].

وبعد ذلك تولى حكم حضرموت الملك (يدع أب غيلان)، وراح للتّو يحالف أيضاً الملك السبأيّ (علهان نهفان)، ثمّ انضمّ إلى الحلف نفسه ملك الحبشه (جدرة)[**] وكان المغزى من هذا الحلف هو وضع حدّ للتّوسّع الرّيدانيّ، ودرء مخاطره.

---

[1]) Von Wissmann :" Ḥimyar Ancient History " , le Muséon 77 , 3 -4 , 1964 p. 467 .

[2]) بافقيه: موجز... ص٣٩ -٤٠.

[*]) نامي نقوش ساميّه ١٩.

[**]) راجع نقش (CIH 308)

(خريطة رقم 6) ردمان ومضحى

وعندئذ انتصر الحلفاء في تحقيق ما هدفوا إليه سياسياً وعسكرياً، ومن ثمّ تمكّنت حضرموت من الوصول إلى أجزاء من الهضبة الغربيّة.

ثم يطالعنا اسم الملك (إل عزيلط بن عم ذخر) القرن الثالث الميلادي، الذي وصل نفوذه إلى مركز (ردمان) ذي الأهميّة الاستراتيجيّة، الواقع بين الأطراف الحدوديّة لأراضي الممالك الثلاث (سبأ، وقتبان، وحمير). وفي نقش (Ja 921) ورد ذكر تلك الرّحلة التي قام بها (إل عزيلط) إلى حصن (أنود)*، لكي يلقّب رسميّاً بلقب (ملك)، ورافقه في رحلته هذه عدد من الزعماء والأعيان البارزين من علية القوم، وجماعة من أشراف حمير ووجهائها كما جاء في نقش (Philby 82). ولتخليد ذكرى هذا الحدث الجليل، راح (إل عزيلط) -وقد غدا ملكاً- يدوّن كلمة قصيرة في المناسبة ذاتها، قال فيها: "إل / عزيلط / ملك / حضرموت / بن / ذخر / سير / اد / جندلن / انودم / هسقلب". (RES 4910). ومعنى هذا النّصّ: أنّ "إل عزيلط ملك حضرموت ابن عمّ ذخرسار إلى حصن (أنود) ليتلقب بلقب ملك".

وفي النقش عينه ورد -أيضاً- ذكر لأسماء جملة من رجال الحاشية الملكيّة الحضرميّة، الذين بايعوا (إل عزيلط) ونصّبوه ملكاً. وفي المناسبة ذاتها سجّل رجلان من أشراف حمير بأن" الملك (ثأران يعوب) أوفدهما لحضور حفلة تنصيب (إل عزيلط) ملكاً لحضرموت"[1].

ويبدو -في أغلب الاحتمال- أن هذا الملك هو نفسه الملك الحضرميّ، الذي ذكره كاتب الطواف حول البحر الارتيريّ وسماه (اليازوس Eleazus)، وأخبرنا عنه بأنه يقيم في عاصمة (سباتا Sabata) وامتدّ نفوذه إلى (قنا) الميناء الحضرمي الشهير[2].

---

* راجع نقش (ارياني ١٣).

[1]) محمد عبدالقادر بافقيه: "آثار ونقوش العقلة"، دراسة ميدانيّة لاحد المواقع الأثرية بالقرب من شبوة في منطقة حضرموت، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، والنشر، القاهرة، ١٩٦٧، ص٣٣-٥٥.

[2]) " The Periplus of the Erythraean sea ", Trans : Schoff . W. H New York 1912 , Sec 27 .

وكانت العلاقة بين حضرموت وسبأ قد توطدت كثيراً في عهد هذا الملك، حينما توثقت الرّوابط الأسريّة بين ملكي الدّولتين عن طريق المصاهرة، حيث تزوّج (إل عزيلط) الملك الحضرميّ (ملك حلك) ابنه الملك السّبأي (علهان نهفان) إلا أنه في عهد ابن هذا الأخير (شعر أوتر) (٢١٠ –٢٣٠ م) انعكس حال هذه العلاقة، فتحوّلت من ودّ إلى حرب شنّها الملك السّبأيّ (شعر أوتر بن علهان نهفان) على الملك الحضرميّ (إل عزيلط)، وكانت رحى هذه الحرب قد دارت في منطقة (ذات غيل)، ونتج عنها أنْ أسِر الملك الحضرميّ، وقتل أولاده ووزراؤه جميعاً. وبعد ذلك للتو أرسل (شعر أوتر) إلى شبوة، حملة عسكريّة أخرى؛ قوامها أربعة الآف (٤٠٠٠) مقاتل، اتجهت صوب القصر الملكيّ فيها، حيث تقيم أخته (ملك حلك) وذلك لحراستها وحمايتها. وعلى إثر ما جرى من معارك هناك تهدمت شبوة تماماً.[١]

ثم اتجهت القوات السبأيّة إلى الميناء الحضرميّ (قنا) ودمرّته، ومن ثّم توغلت هذه القوات في المناطق الحضرميّة الدّاخليّة، وبهذا الزحف المظفّر يكون الملك السّبأيّ (شعر اوتر) –يومئذ– قد حقق نصراً كاسحاً.[٢]

وعلى ما يبدو أنّ تلك الظّروف السّياسيّة المضطربة كانت قد هيّأت –في حضرموت– وضعاً جديداً لظهور أسرة جديدة، تعتلي العرش، وتتولّى الحكم فيها، فكانت هذه الأسرة تنتمي إلى أحرار (يهبئر)، وكان أول ملوكهم هو (يدع إل بن ربشمس)، ليس هو من الأسرة المالكة أصلاً، وانّما وصل إلى العرش باجتهاده ومسعاه الشخصيّ الحثيث. وفي الوقت نفسه يذكر النقش عينه أنّ أصحاب هذا الملك قاموا بمساعدته، ولم يذكر نوع هذه المساعدة، ولعلهم –كما يبدو– كانوا قد ساعدوه في الوصول إلى الحكم، وارتقاء عرش الدّولة[٣].

وكانت حضرموت –في عهد هذا الملك وابنه (الريّام يدم)– قد دخلت في معارك ضاريّة مع الحميريّين الذين تمكّنوا قبل ذلك من أن ينتزعوا من الملك نفسه

---

[١]) راجع نقش (ارياني ١٣) في كتابه: نقوش مسندية، ص ١٠٩ – ١٢٢.

[٢]) المصدر نفسه.

[٣]) أنظر نقش (Ja 949).

مركز (ردمان) الحضرميّ الاستراتيجيّ.

وخلال تلك المعارك المدمّرة راحت الجيوش الحميريّة تحرق العاصمة الحضرميّة وقصورها حرقاً كلياً وكان ذلك ما بين آواخر القرن الثّالث واوائل القرن الرابع[1].

وهكذا استمرّ الصّراع دائراً في عموم المنطقة. ولهذا ظلت حضرموت تتعرّض لاجتياحات الحميريّين المتواصلة، فأثّر ذلك عليها كثيراً، وأضرّ ببنيتها الاقتصاديّة ضرراً بالغاً.

ومع مطلع القرن الرّابع الميلاديّ استطاع (شمر يهرعش) -ملك سبأ وذي ريدان- أن يخضع أجزاءً عديدة من حضرموت؛ ويضمّها لدولته، أمّا الأجزاء الأخرى من الدّيار الحضرميّة فقد استمرّت تقاوم ذلك الزّحف الجارف، بمؤازرة، ومعونة من دولة (كنده) التي كانت تربطها بحضرموت وشائج من القرابة حميمة، وعلاقات تعاون وطيدة.

خامساً: آثار حضرموت:

(أ) العاصمة الملكيّة "شبوة":

جاء هذا الاسم كما هو موثّق في النّقوش (ش ب و ت). وكانت شبوه -في تأريخها الأثيل مدينة مزدهرة- أقيمت في الطّرف الشّرقي من حوض (السبعتين)، على وادي (المعشار) الذي يمثّل امتداداً لوادي (العطف) و (عرمة) (انظر خريطة رقم ٣). وعلى الرّغم من هذا الموضع الصّحراويّ فقد ازدهرت (شبوه) بفضل جمله من العوامل المهيئة لذلك الازدهار، أهمّها:

(١) تحكّمها بوسائل الريّ، ومؤسساته المختلفة المتوافره فيها.

(٢) استفادتها المثلى من موقعها الاستراتيجيّ الهام، فهي تقع -أيضاً- على طريق القوافل الواصلة إليها من ميناء (قنا)، وقد جعلها هذا الموقع

---

١) أنظر نقش (Ja 665).

الجغرافيّ الرّائع، مركزاً حيويّاً -لا غنى عنه البتّة- عند مدخل وادي حضرموت.

(٣) اتصالها المباشر بـ (تمنع)، ومن ثمّ ارتباطها -في المواصلات- (بمأرب) و(نجران) وغيرهما من المحطّات التّجاريّة المبثوثه على إمتداد طريق القوافل حتّى (غزة) عند ساحل البحر المتوسط.

ولاعجب أن تكون (شبوة) -لهذه العوامل يومذاك- عاصمة دولة حضرموت، والمدينة الأكثر شهرة من بين مدن تلك الدّولة عبر تاريخها الأثيل، ولهذا أسهب الكتّاب الكلاسيكيّون في الحديث عن ثرائها ومعابدها فقد أعطانا (بليني) صورة حيّة عن "طريق البخور" التي كانت واسطة العُقد بين هذه المدينة -أعني شبوة- ومدينة (روما)، وعمّا كانت تدرّه هذه الطريق من أموال طائلة لصالح (حضرموت) والدّول اليمنيّة الأخرى عموماً، حيث كانت تلك الأموال تدفع كتكاليف لعبور القوافل منذ أن تنطلق من أول محطة حتى وصول آخرها عبر تلك الطريق، لتبلغ -في نهاية المطاف- غايتها الأخيرة باتجاه دول البحر المتوسط. ويذكر لنا الكاتب عينه ما كان يقدم -في الوقت ذاته- لإله (شبوة) من الضرائب، وما يؤدي لملك (قتبان) من الأتاوات نظير مرور تلك القوافل بالعاصمة القتبانيّة وما كان يدفع من حصص ماليّة: للكهنة، والحرّاس، والبوّابيّين، والخدم، والماء والعلف ناهيك عما كان هناك من "رسوم المرور" بالمحطّات الأخرى المنتشرة عاى امتداد الطريق ذاتها، والبالغ عددها ٦٥ محطة، حتى تنتهي إلى "غزة" وصولاً. وهذا هو السرّ الذي جعل سعر البخور باهضاً للمقتنيين له من سكان روما، وذلك هو ما شاهده (بليني) بأم عينيه في عصره إبّان القرن الأول الميلاديّ[١].

أمّا كاتب "كتاب الطّواف" فقد وصف (سباتا Sabata) شبوة بأنّها عاصمة بلد البخور، ومكان إقامة الملك (اليازوس Eleazus)،[٢] (إل عزيلط).

---

١) Pliny : op.-cit, Bk6, 34

٢) - The Periplus : op . - cit , Sec 27

وكان أوّل من اكتشف هذه العاصمة الحضرمية هو العالم (فلبي) وذلك في العام ١٩٣٦م، حينما وضع يده على آثار المدينة، وعثر على نقوش فيها وتمكّن من كشف موقع أثري آخر، يسمّى (العقلة) على مقربة من شبوة ذاتها حيث يقع حصن (أنودم) الذي كان موضعاً خاصاً لتتويج ملوك حضرموت[١].

وعندما زار (هاملتون Hamilton) شبوة، عام ١٩٣٨م، لاحظ "الخرائب قد راحت تغطي القسم الأعظم من الموقع ذاته"[٢]. وحينما شرعت البعثة الفرنسيّة بأعمالها التّنقيبيّة الأثرية في المنطقة، بدءاً من عام ١٩٧٥م -ولعدة مواسم حفريّة- تمكّنت خلال هذه المواسم من أن تكشف لنا آثار المدينة، ومن أبرزها: السور، والقصر، والمعبد، والمقابر، والآبار[٣].

١- **السور**: ممّا كشفت عنه بعثات التّنقيب في (شبوة)، هو سور المدينة المحصن باستحكامات منتظمة بارزة، بابان في الجهة الشّرقيّة منه، واقعان على الجدار الغربيّ للمدينة. ومن الظريف أنّ على تلك الأبواب جميعها سجّلت نقوش، تذكر لنا اسم مدينة (شبوة)، وتحكي عن شيء من أمورها السّالفة.

٢- **القصر الملكيّ**: عثر المنقبون الأثريون في المنطقة على آثار القصر الملكيّ (شقر) على مقربة من باب المدينة الغربيّ، وتوثّق النّقوش اسم هذا القصر على نحو: (ش ق ر). ومما يلفت الانتباه أننا نصادف الاسم عينه مسجّلاً على عملات النّقد الحضرميّة - في أحد وجهيها - بحروف متشابكة في رسمها الخطّيّ هكذا( )، ويسمّى هذا الخط (مونوجرام)* ولا غرابة -عندئذ- أن

---

[١] - Philby H. St. John : " The Land of Sheba " dans Geographical Journal vol XCII July 1938 , p . 165 .

[٢] - Hamilton : op . - cit , pp . 107 - 123 .

[٣] Pirenne. J: "Ce que trois campagnes de fouilles nous ont déjà appris sur Shabwa "capitale de Hadramaut antique , dans Raydān vol. 1 . 1978 . p . 125 - 142 .

(*) لمعرفة المزيد عن (المونوجرام) الرمز في النقوش والمخربشات اليمنية القديمة، انظر: محمد عبدالقادر بافقيه: "تحلف سبأ وحمير وحضرموت"، مجلة ريدان، العدد (٥)، دار الهمداني، عدن ١٩٨٨م، ص ٤٩...

نجد اسم القصر هذا مسجّلاً على النّقد الحضرميّ القديم، لأنّ ذلك كان تقليداً رسميّاً متبّعاً في كلّ الممالك اليمنيّة القديمة، فتلك العملة القتبانيّة -مثلاً- كانت تحمل اسم القصر الملكيّ (حريب)، وعلى نحوها كانت عملات النّقد الرّيدانيّة تحمل اسم (ريدان).

وإذا ما قلّبنا العملة الحضرميّة القديمة، رأينا على وجهها الآخر -أيضاً- صورة "الطائر النّسر"، وهو يرمز إلى الإله (القمر) -إله الحضارمة الشهير، وهو المعروف عندهم بالإله (س ي ن).

وكان القصر (شقر) مركزاً رئيسيّاً للسّلطة الحضرميّة، ومكاناً لإقامة العائلة المالكة، وكبار وجهاء الدّولة.[1] وتوثّق النقوش -أيضاً- بعضاً من الأحداث العصيبة والجسيمة التي لحقت بالقصر من جرّاء الحروب العدوانيّة، وعانتها المدينة عموماً: ففي أواسط القرن الثالث الميلاديّ تعرّض كلّ من المدينة والقصر لهجوم عدواني عنيف، شنّه -آنذاك- الملك السبأيّ (شعر اوتر) على الملك الحضرميّ (إل عزيلط)، فكان أن أسر هذا الأخير، وقُتل أولاده ووزاراؤه في تلك الحرب، وهدّمت العاصمة الحضرميّة، ودمّر قصرها الملكيّ تدميراً كاملاً. (أنظر النقش ارياني ١٣)، ويذكر لنا النّقش -كذلك- أنّ الملك السبأيّ ذاته (شعر اوتر) لم يكتف بذلك الهجوم؛ خشنّ هجوماً أخر على ميناء (قنا) ومدن حضرميّة أخرى.

وبعد انتهاء تلك الحوادث المروّعة أعاد ملوك حضرموت -الذين جاءوا بعد (إل عزيلط) بناء القصر، وتخطيط المدينة مجدداً بعد أن حرقها الحميريّون عن بكرة أبيها.

٣- **المعبد:** عثر على أنقاض معبد الإله (سين ذي اليم) في شرق المدينة، وسط الطريق الرئيسيّة، وكانت البعثة المنقّبة عن الآثار، قد كشفت عن المخطط الهندسيّ لهذا المعبد المتميّز بفنّ عماريّ رائع، وفريد في بنائه وتصميمه

---

(١) Pirenne . J : " Deuxième mission Archéologique Française Au Ḥadramout, Yémen du Sud " , de Desmbre 1975 a Fevrière 1976 . Academie des inscriptions et belles - lettres , Paris , 1977 , pp . 412 - 426 .

الهندسيّ[1].

٤- **القبور:** وفي المدينة ذاتها -شبوة- تمّ الكشف عن مجموعة من قبورها، واقعة على التّل الكائن في الشّمال الشّرقيّ منها، وممّا يميّز هذه القبور عن غيرها أنها ذات مداخل هندسيّة بديعة الشكل ومن طريف الصّدف أنّه لمّا أجريت حفريات في واحد منها اتّضح جليّاً أنّه عبارة عن غرفة شكلها مستطيل على وجه التّقريب، مقسّمة إلى جزئين متساويين. وممّا عثر عليه فيها: ملتقطات جنائزية متنوعة الأحجام والأشكال[2].

ب- ميناء الدّولة الحضرميّة الأول (ميناء قنا) وخرائب "عرماوية" (حصن الغراب) حالياً:

ورد الاسم (قنا) -دالّاً على الميناء الحضرميّ الرئيس- المسمّى به في التوراة (سفر حزقيال)[3] أولاً، وفي عدد وفير من النّصوص النّقشيّة اليمنيّة القديمة. ولم يغب ذكره -كذلك- عن بال كثيرمن الكتّاب الكلاسيكيّين، وكان صاحب كتاب (الطّواف حول البحر الإرتيريّ) خير من تحدّث -من هؤلاء- عن ذلك الميناء، وما كان له من أهميّة اقتصادية عظيمة، وذلك في القرن الثالث الميلاديّ -على وجه التّقريب-، حيث أشار في كتابه إلى أنّ (قنا) ميناء في حضرموت مملكة (اليازوس- Eleasus) الذي عرّف به الباحثون بأنه (إل عزيلط) صاحب بلاد البخور، وهناك إلى الدّاخل -من هذه المملكة- مدينة (سبوتا)، أيّ: (شبوة) حيث يقيم الملك، ويحمل إليها -يعني إلى هذه المدينة- البخور على ظهر البعير (الجمال)، فكأنها مستودع له. ولها علاقات مع أسواق الشاطئ الإفريقيّ وفارس المجاورة والهند، ثم يذكر جملة من المنتجات والبضائع المستوردة التي كانت تصل إلى الميناء عينه، ومن ضمنها:

---

[1] Breton . J .F , et Audouin . R , et Seigne . J : "Rapport prélinaire sur la fouille de château royale de Shabwa , (1980-1981) dans " , Raydān vol , (4) 1981

[2] Prienne . J . et Roux . J . CI : Deux tombes de Shabwa 1975-1976 (Raport)

[3] سفر حزقيال: الاصحاح ٢٧، الآية٢٤.

القمح، والخمور والنحاس والقصدير، وغيرها إضافة إلى ماكان يجلب للملك خصّيصاً من حاجات ارستقراطيّة: كالفضة، والمنتوجات الحريريّة، والأوعيّة الذّهبيّة، والخيول، والتماثيل، وما إلى ذلك ثمّ يتحدث عن جزيرة (سقطرى)، فيذكر بأنها "كانت تابعة لملك حضرموت في ذلك الزّمن"[1] أي: (في القرن الثالث الميلادي تقريباً).

وكان ميناء (قنا) -منذ عصور أثيلة في القدم- ملتقىً للسلع المختلفة القادمة عن طريق البرّ والبحر، ولذلك كانت شهرته تزداد بازدياد وظيفته التّجاريّة ونشاطه الاقتصاديّ الدّؤوب، وممّا هيّأ له ذلك، وقوّى من مكانته الاقتصاديّة: تحصيناته الطبيعيّة، وحساسيّة موقعه الاستراتيجيّ، وقربه من مناطق حيويّة زراعيّة ومنتجه، هي من أخصب البقاع، وأكثرها غنىً بالمنتوجات المرغوبة لدى العالم القديم يومذاك، وخاصّة شعوب الشّرق الإفريقيّ والهند. وظلّ هذا الميناء على ما هو عليه من الازدهار، حتى كان سقوط الدّولة الحضرميّة تحت سنابك الخيول الحميريّة، فكان أن دانت أراضي حضرموت برمّتها لملوك (سبأ وذي ريدان) في القرن الرابع لميلاد يسوع عليه السّلام.

وعن اكتشاف ميناء (قنا) وخرائب قلعة عرماوية (حصن الغراب حالياً) تقول (جاكلين بيرن). كما جاء في تقرير (ولستد) أحد مكتشفي الموقع: "في صباح السادس من شهر ايار (مايو) من عام ١٨٣٤م، ألقينا المرساة على الساحل العربي، في ممر ضيق، قصير، مغلق من احد جانبيه بجزيرة صغيرة منخفضة، ومن الجانب الآخر بصخرة ضخمة، قاعة، وعرة، ألقى عليها ملاّحنا اسم "حصن الغراب".. وبالنظر إلى أنّ ثمة خرائب بدت لنا على قمة هذه الصخرة، توجه فريق منّا إلى الساحل بغية تفحّصها نزلنا إلى البر على طريق رمليّة امتدت إلى أسفل التل، فالفينا أنفسنا بين أطلال وأبراج ومنازل كثيرة"[2].

---

[1] - The Periplus : Secs 27-32 . (

[2]) جاكلين بيرن : " اكتشاف جزيرة العرب "، خمسة قرون من المغامرة والعلم ، نقله إلى العربية: قدري قلعجي، قدم له: الشيخ حمد الجاسر. منشورات الفاخريّة - الرياض، ودار الكتاب العربي - بيروت، بدون تاريخ، ص ٣٥٠-٣٥١.

J.R. Wellsted, Travel in Arabia, London, 1838, II, 421-426.

تقع موقع هذه الاطلال والخرائب على بعد أربعة (٤) كم إلى الجنوب من (بير عليّ) الحالية، وهذا الموضع يتكوّن من صخور بركانيّة متماسكة، وعظيمة في علوها وعلى ما يبدو فإنّ تلك الصخور -وهي مجتمعة كوحدة مترابطة- تشكّل في تماسكها المتين، كتلة واحدة، هي أشبه ما تكون بالأكمة الضّخمة، تجثم على قمتها قلعة (عرماويّة) المعروفة حالياً بـ (حصن الغراب). وكانت هذه القلعة قديماً هي الحامية لمدينة (شبوة) وميناءها (قنا) في تاريخها القديم[1].

ومن غريب الصّدف أنّ الضبّاط الثلاثة الإنجليز -من بينهم (ولستد R.Wellested)- عثروا على كتابة أثّرية في الخرائب والأطلال الكائنة في هذا الموقع الحصين، هو نقش (CIH 621) حيث يعتبر من النقوش الهامة للغاية دوّنه قيل من الأقيال اليزنيّين، يسمّى (سميفع أشوع)، وفيه يتحدّث هذا القيل عن احتمائه ومجموعة كبيرة من أقيال القبائل بذلك الحصن المنيع. ولهذا فإنّ لهذا النقش قيمة أثريّة عظيمة، لأنّه وثيقة تاريخيّة نادرة بين أيدينا، تحدّثنا عن وقائع تاريخيّة ذات شأن عظيم، تعود إلى القرن السّادس الميلاديّ، وبالذات تلك التي جرت أحداثها أثناء الغزو الحبشي لليمن عام ٥٢٥ م.

كما تمّ العثور على مجموعة أخرى من النّصوص النّقشيّة المفيدة (CIH 984. CIH 728). إضافة إلى ما اكتشف من بقايا مبانٍ، وأشلاء بيوت، وأطلال أبراج، وحصون، وصهاريج[2] .

ج - ميفعة (نقب الهجر):

ورد الاسم (ميفعه) في النقوش على نحو (م ي ف ع ت)، وتفيدنا هذه النقوش عينها بأنّ (يدع إل بيّن بن سمه على) قام بترميم أسوار مدينة (ميفعة) هذه، ويبدو أنها ذاتها التي أطلق عليها كاتب الطّواف اسم (مفاريليس-Mapharitis)[3] وهي تقع على بعد (٣٢٠) كم إلى الشرق من عدن، وتحتل موقعاً استراتيجّياً في الوادي

---

1) Doe Brain : " Port of Ḥuṣn al-Qurāb or Site of Qanā " Centre of Ancient Archaeologycal Bulletin No. 3 , Aden July 1964 pp . 9-13 . .

2) - R. Wellested : op.-cit, p.421...

3) - The Periplus , op. - cit , Sec , 31 .

المسمىّ بالاسم عينه -أعني (ميفعة)- فكان أن جعلها هذا الموقع تتحكم في طرق القوافل المؤديّة إلى كلّ من (تمنع) حاضرة القتبانيّين، و(شبوة) عاصمة حضرموت (أنظر الخريطة رقم ٧).

ومنذ عام ١٨٣٥ م توافد العديد من أعلام الآثار المشهورين، إلى هذا الموقع، فكان (ولستد Wellested) أوّل من زاره،[١] ثمّ جاء إليه مؤخّرا طاقم البعثة الفرنسيّة، لاستكشاف ما ينطوي عليه من خبايا آثريّة.

وأوّل ما يصادفه الزّائر في هذا الموقع الأثري أنّ أطلاله وخرائبه تقوم على تلّين، يصل ارتفاعهما فوق الوادي ما بين (٦) و (٧) أمتار تقريباً وهناك على التّل الغربيّ يشاهد المرء لتوّه أبنية مكشوفة ماثلة للعيان بل أنّ الموقع برمّته يبرز محصّناً تحصيناً متيناً، إذ هو محاط بجدار متين من الحجارة الكلسيّة المعمولة والمعمورة جيّداً والمتماسكة بناءً.[٢]

ومما كشفت عنه -أيضاً- البعثة المذكورة هنا: البوابتين المتقابلتين اللّتين تقع إحداهما على الجانب الشماليّ من الموقع والأخرى تقع على الجانب الجنوبيّ منه[٣].

لقد ذهب كثير من الباحثين إلى الاعتقاد بأن هذه المدينة الأثريّة -أعني (ميفعة)- كانت هي العاصمة الأولى لحضرموت[٤]، وذلك لما تتمتع به من مزايا وسمات، هي على نحو ماهو آت:

١- ضخامة بنائها، وكبر اتّساعها.

٢- موقعها الاستراتيجي الحسّاس على طريق القوافل، وعند ملتقى شتّى الطرق.

٣- وقوعها وسط أراضٍ زراعيّة خصبة، تحيط بها من كافة الجهات تقريباً.

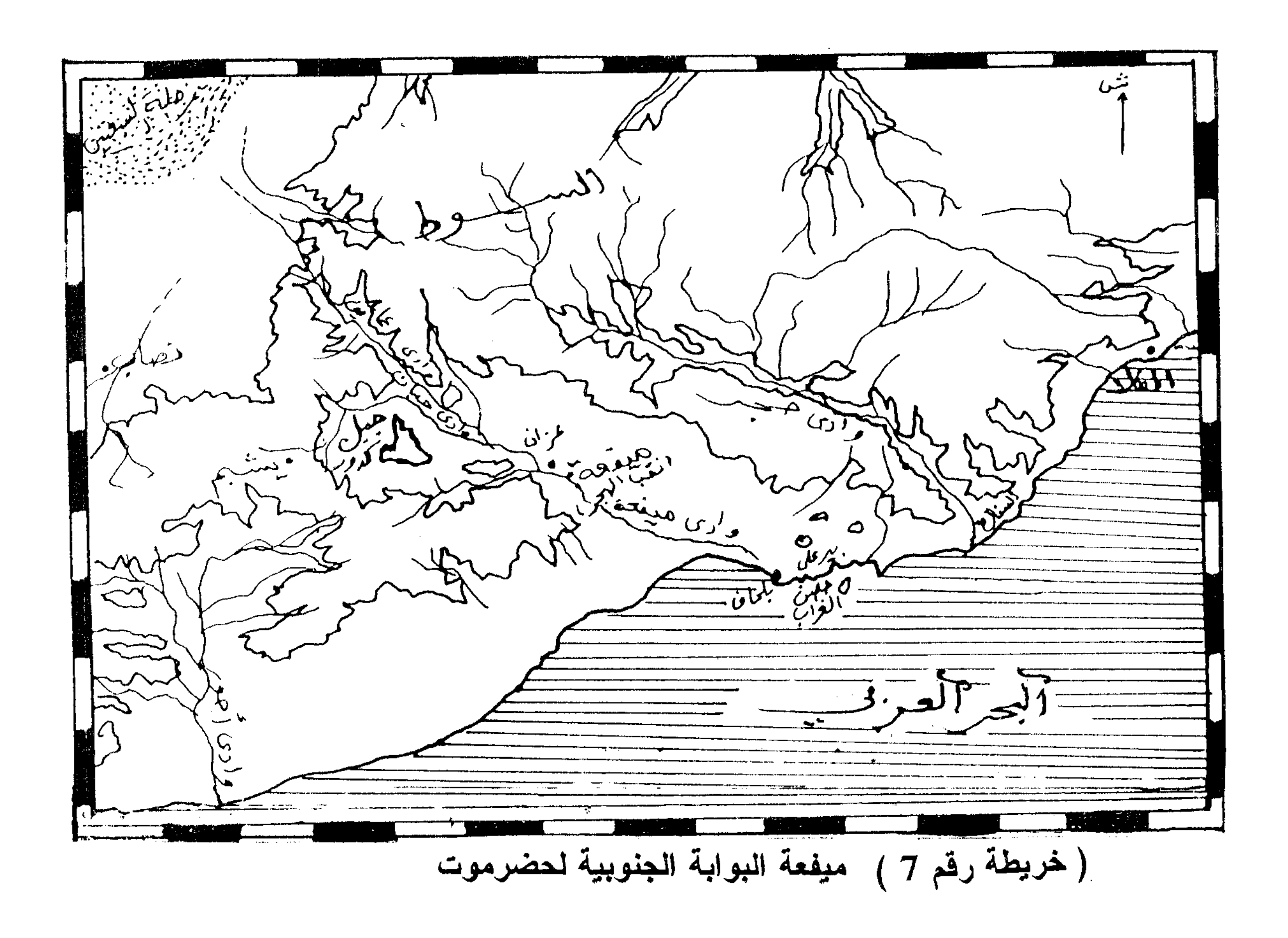
---

[١]) - R. Wellested : op.-cit, p.421...
أنظر أيضاً . Doe . B : South Arabia , pp . 186-190

[٢]) Breton . J. F , Robin . ch , Seigne J , Audouin . R : " La Muraille de Nagab Al - Hağar (Mayfa'a) " Extrait de la revue Syria tome LXIV, 1987 , Paris , 1987 , pp 1 - 20 .

[٣]) - Doe . B : Southern Arabia , pp 186-190
أنظر أيضا : بيرن: إكتشاف جزيرة العرب، ص٣٥٣، ٣٩٥، ٤٠١

[٤]) - Doe : Southern Arabia , p . 186 .



(خريطة رقم 7) ميفعة البوابة الجنوبية لحضرموت

د- مواقع وادي حضرموت الأثريّة:

كشفت بعثات التنقيب على عدد من المواقع الأثريّة الهامة، والمنتشرة على طول وادي حضرموت وفروعة الرئيسيّة (أنظر الخريطة رقم ٨)، ونحصرهنا أبرز وأهم تلك المواقع:

١- **ريبون**: وهي من المواضع التّاريخيّة الهامّة الغنيّة بمحتوياتها الأثريّة تقع على وادي (الهجرين) المتفرع من وادي دوعن أحد الروافد الجنوبيّة لوادي حضرموت، وفي هذا الموضع كشفت البعثة الفرنسيّة عمّا يلي من الآثار:-

أ. عدد من المباني البديعة من أبرزها مبنىً كبير، قامت البعثة ذاتها بمسحه وتنظيفه، فظهر أنه معبد لا يختلف في تصميمه وتخطيطه عن تلك المعابد المكتشفة في كلّ من منطقتي (باقطفة) و (مشغة) سوى أنّه يتكوّن من سور، ومدخل على شكل سلّم (مدرج)، وقدس الأقداس أو المحراب (وهو بناء منعزل ومقفل واقع من وسط المعبد) [1].

ب. العثور على كثير من القطع الفخاريّة، والنقوش الوثائقية أيضاً.

كما عملت البعثة السوفياتية في الموقع عينه وكشفت عن آثار متنوعة تعود لعصور مختلفة[2] .

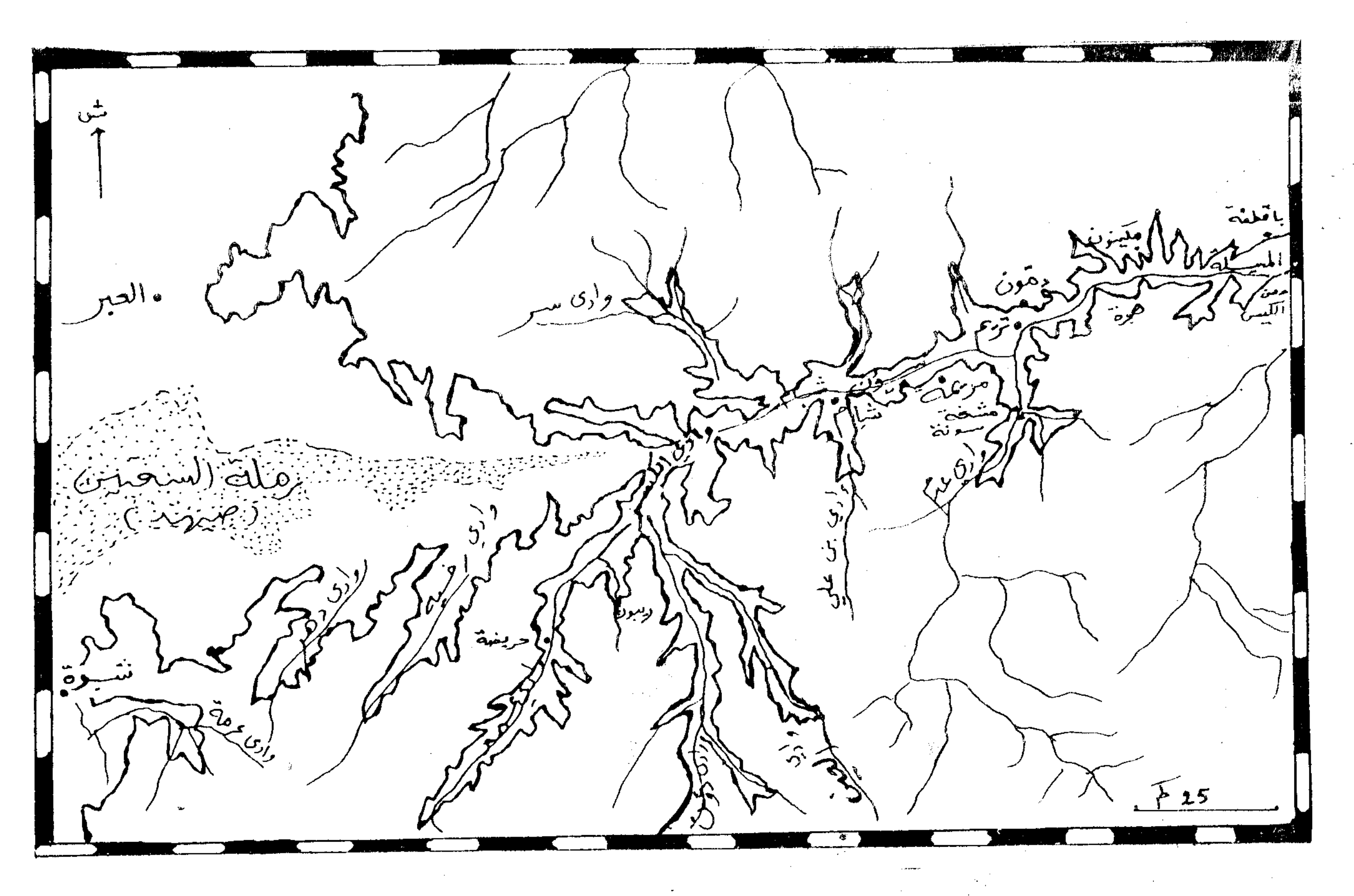
٢. **حريضة**: منطقة تاريخيّة وأثريّة عريقة، أطلقت عليها النقوش اسم (م ذ ب م). وهي تقع في الطّرف الشرقيّ من وادي (عمد) أحد الفروع الجنوبيّة لوادي حضرموت أيضاً.

في عام ١٩٣٧م تولّت التنقيب في هذه المنطقة بعثة انجليزيّة، مكوّنة من ثلاث سيدات هن: (كاتن تومبسون C . Thompson) و(فريا ستارك F . Stark) و (جاردنر Gardiner). فأسفرت تنقيباتها عن نتائج باهرة وقيّمة للغاية، إذ كشفت لنا

---

[1]) جان فرانسوا بريتون وريمي أودوان وليلى بدر و جاك سيني: "وادي حضرموت تنقيبات"، المركز اليمني للأبحاث عدن ٧٨-٧٩ م ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ٢٥ - ٢٦.

[2]) راجع تقارير البعثة السوفياتية للأعوام ٨٥ ، ٨٦ ، ١٩٨٧م



(خريطة رقم 8) وآدي حضرموت

في ذات الموقع عمّا يلي:-

(أ) آثار معبد الإله (سين)، الذي يعود تأريخه إلى القرن الخامس ق.م وفقاً لتقديرات البعثة ذاتها.

(ب)قبور محفورة في صخور رسوبيّة، ومن ثمّ أجري حفر في قبرين مدوّرين منها، فعثر فيها على جثث آدميّة، وكثير من الأواني الفخاريّة، والقلائد النفيسة وغير ذلك من الأدوات الأخرى.

(ج)بقايا منشآت زراعيّة، ومجموعة كبيرة من الفخار، والعديد من النصوص النقشيّة والمخربشات[1].

وهناك مواضع أثريّة أخرى في وادي حضرموت منها[2] :

٣. **(سونة)**: وهي موضع أثري، كائن في الضفة الشرقيّة لوادي (عدم).

٤. **(مشغة)**: وهذا الموضع يقع على الضفة الغربيّة لوادي (عمد).

٥. **(باقطفة)**: يتموضع على الضفة الشماليّة لوادي حضرموت، وعلى مسافة بضعة كيلو مترات، إلى الغرب من قرية (سنا).

٦. **حصن (كيس)**: الواقع على طرف تلّ، بالقرب من قرية (سنا) ايضاً.

٧. **حصن (العرّ)**: يمثل قلعة حصينة، يراها المرء مستويّة على جبل كائن وسط وادي حضرموت بين (تريم) و (السوم).

هـ - البريّره:

من أقدم وأهم المواقع الأثريّة، يقع على وادي (جردان). وكان (فان وايزمن Von Wissmann) قد زار هذا الموقع في عام ١٩٥٢م، وعثر فيه على:

---

[1]) أنظر أيضاً - Caton , Thompson . The Tombs ... p . 71
Rycumans . J :" Les fouilles du Hurayda (Hadramaut)" Muséon LVII . 1944 , p . 163-175 .

[2]) بريتون، فرانسوا، وآخرون. وادي حضرموت تنقيبات ص أنظر ايضاً:
- Breton . J F : Rapport sur une mission Archéologique dans le wādi Hadramaut , en 1979 Académie des inscriptions et belles - lettres - paris 1980 pp . 57 - 80 . Breton :" le Temple de SYN - D - Ḥlsm a Baqutfa" Raydān Vol 2 ,1979,pp. 185-202 .

- عدد من النّقوش.
- مجموعة من القطع الفخاريّة.
- ستّ وستين قطعة من العملات النّقديّة، من ضمنها قطعتان من شبوة[1].

ج- إقليم ظفار* "عمان":

يتمتع إقليم ظفار. بموقع -استراتيجيّ واقتصـاديّ- جليل الشّأن والأهميّة، منذ عصور قبل التاريخ[2]. وإذا عدنا إلى النصوص النقشيّة المتوافرة لدينا، نجدها تطلق على ظفار اسم (سأكلهن).

وكان هذا الإقليم جزءاً لا يتجزأ من مملكة حضرموت في تاريخها الحضاريّ، وتاريخ الدّول والممالك اليمنيّة عموماً، بل كان أعظم المناطق التابعة لحضرموت المنتجة لأنواع الصمغيات آنذاك، ومنها المرّ واللبان، التي كان لها رواج عظيم في العالم القديم. وهذا ماقرره (ويندل فيليبس W. Phillips) حينما كتب يقول: "لقد كانت حضرموت بلاد البخور، لأنّها كانت مملكة مترامية الأطراف، تتوسط بلاد العرب، وتمتّد إلى ظفار أعظم المناطق المنتجة للبخور"[3].

الحفريات الأثريّة:

(أ) - موقع سمهرم (خورروري) حالياً:

وللتّثبت من تبعيّة (ظفار) سياسيا لمملكة حضرموت قديماً، قامت (البعثة الأمريكية لدراسة الانسان) بتنفيذ ثلاثة مواسم أثريّة في في الفترة الممتدة من عام

---

[1]) - Von Wissmann : al- Barira in Gardan , le Museon No : Lxxv 1962 . pp.177-209 .
- Drewes : Note Additiennelles au sujet d'AlBarira , le Museon No : Lxxv , 1967 . pp . 211-212 .

*) يعد إقليم ظفار حالياً من المناطق الجنوبية لسلطنة عمان، وما برح معروفاً بهذا الاسم حتى يومنا هذا.

[2]) العربي خالد يحى: "الواقع التاريخي والحضاري لسلطنة عمان" دراسة ومشاهدات، بغداد (١٩٨٦)، ص ٣٠٤-٣٠٥.

[3]) - Phillps . W :" Unknown Omān" , London ,(1966) , p . 307

(١٩٥٢) إلى عام (١٩٦٢)، حيث شرعت في تنقيباتها -بادئ ذي بدء- بمنطقة خور (روري)، وتحديداً في الموقع الذي تطلق عليه النقوش اسم (سمهرم)، الواقع إلى الشرق من (صلاله)، بين قريتي (البلاد) و (مرباط) ؛ حيثما الأطلال والخرائب قابعة في الشرق من هذا الخور إذ بدأ العمل في جزء من أطلال مدينة ساحليّة موغلة في القدم، قدّر عالم النّقوش (البرايت) عمرها التأريخيّ بما يقارب (٢٣٠٠) عام![1] وما أن رفعت الأنقاض في هذا الموقع، وتمّ إزاحة الخرائب عن موضعها؛ لتميط اللثام عمّا كان يختفي تحتها من آثار مذهلة حيث تم اكتشاف ما يلي:

(١) معبد متكامل البناء والقسمات، كان ذا نظام دينيّ معقّد في مزاولة طقوس الطهارة من وضوء واغتسال.

(٢) العثور على مذبحين للقرابين، وعدد من القطع النّقديّة البرونزيّة، وكميّة من البخور القديم.

(٣) العثور على لوح برونزيّ، دوّن عليه نصّ نقشيّ من ستّة أسطر، ذو أهمية عظيمة، يعود تأريخه -فيما يرى (البرايت)- إلى القرن الثاني لميلاد يسوع عليه السلام أمّا أهميته -أعني هذا النص- فتتمثل في توثيقة اسم مدينة (سمهرم) للأجيال على نحو (س م هـ ر م)[2].

ناهيك عن أنه يذكر لنا إله حضرموت الأكبر والرّئيسي (سين ذا أليم) وهذا دليل واضح -لاريب فيه- على أن إقليم (ظفار) كان جزءاً لا يتجزأ من مملكة حضرموت، ويؤكد في الوقت عينه ما كان بينهما من الصّلة الحميمة.

ولمّا توغّلت البعثة الأمريكيّة في حفرياتها التنقيبيّة داخل أبواب المدينة، عثرت هناك -أيضاً- على سبعة نصوص نقشيّة محفورة على أحد الجدران، وجميعها يذكر كلاً من اسم الملك الحضرمي (إل عزيلط) ومدينة شبوة[3] وهذا يدعّم -في دلالته- طبيعة العلاقة التي سادت بينهما، وترابط بعضهما ببعض ربطاً وثيقاً

---

[1]) Phillips : Omān , p . 188 ..

[2]) Ibid : p . 188 ..

[3]) Ibid : p . 192

على امتداد ثلاثة قرون من الزّمن، وهي الفترة الممتدة من مطلع القرن الأول إلى نهاية القرن الثالث للميلاد تقريباً.

وضمن تلك النّقوش التي عثر عليها صدفةً: هناك نقش قدّمه صاحبه هديّة للإله (ودّ أب)، وهو ما يرجح في دلالته -أنّ جالية معينيّة أو أوسانيّة، كانت تقيم هناك، وتعبد الإله (ودّاً) وهذه الحالة تذكرنا بما هناك من حالات مماثلة لها في الممالك اليمنيّة القديمة الأخرى، وفي بعض المراكز التجاريّة العالمية حيث نقل المعينيون إلاههم (ودّ) إليها[*].

ولقد كشفت لنا الحفريّات بوضوح تامٍّ أنّ مدينة (سمهرم) حصينة ومسوّرة، وعلى سورها برجان: أحدهما عند طرفها الجنوبيّ الشرقيّ، وثانيهما عند طرفها الشماليّ الغربيّ. ومن الطّريف أنّ السّور -في أغلب نواحيه- يتموضع على صخرة شديدة الإنحدار اللّهم من ناحيته الغربيّة الشماليّة فإنه يقوم على أرض منخفضة يتساوى انخفاضها مع مستوى سطح الخور. وعلى أيّة حال فإن عرض جدار السّور في هذه النّاحية، يبلغ ثمانية (٨) أقدام. وفي النّاحية ذاتها: هناك القلعة تقبع شامخة؛ لحماية المدينة من أيّ خطر يهدّدها، أو يمكن أن يداهمها من الاتجاه ذاته[1].

أمّا مدخل الخور فهو يتمتع بحماية طبيعيّة وفّرها له ذلك المرتفع الصّخريّ الشّاهق الممتدّ في انبساطه بدءاً من طرف البحر مباشرة ولهذا لم يكن بإمكان أحد أن يرتقبه أو يجتازه إلا من النّاحية الشماليّة وعلى ظهر هذا المرتفع عينه: كان هناك سور كبير يقبع لمزيد من إحكام مناعة الموقع برمّته[2] وما فتئت آثار ذلك السور المنيع ماثلة للعيان حتى وقتنا الراهن.

(ب)موقع (حنون) الظّفاري:

ولم تكن الحفريّات الأثريّة لتنقيبات البعثة الأمريكيّة في الاقليم لتقتصر على

---

*) عثر في مصر وفي منطقة (ددان) العلا حاليا، وفي جزيرة (ديلوس) اليونانية على نقوش مهداة للإله (ود)، تركها هناك بعض التجار المعينين. انظر (RES 3570 ، RES 3427)

١) .. Phillips : Oman . p. 192

٢) .. Ibid

منطقة خور (روري) فقط، أو على موقع المدينة (سمهرم) تحديداً، وإنّما تـم التنقيب أيضاً في موقع آخر يعرف حاليّاً باسم (حنون)، وكان يطلق عليه في العصور الأثيلية اسم (سانان)، وهو من المناطق الغنيّة بأشجار البخور على امتداد تلك العصور، وفيه عثر المنقّبون على الآثار التالية:-

١- نقش ذو قيمة تأريخيّة عظيمة، لأنه يذكر لنا -موثّقاً في ثنايا نصوصه- كلاً من الإله (سين) ومدينتي: (شبوه) و (سمهرم).

٢- مبخرة يبلغ ارتفاعها قدماً ونصف القدم، وعليها تدوين لكتابة قديمة.

٣- تسعة مستودعات فسيحة في طولها، كائنة في الرّكن الجنوبيّ الشرقيّ من مدينة (سمهرم)، أقرب في شبهها إلى مستودعات مخزنيّة على النحو المعلوم لدينا في عصورنا الحديثة. وتعد هذه المستودعات أبرز ما كشف عنه من آثار في ثنايا أطلال، وتحت أنقاض خرائبها. ويذهب علماء الآثار إلى أنّ هذا الموضع كان -على ما يبدو في سالف عهده- محطة للإقامة المؤقتة طوال موسم جمع اللبان[١].

د: جزيرة سقطرى:

تمثل جزيرة سقطرى أحد المراكز التجارية البحرية الهامة منذ العهود الأثيلة، فقد جاء ذكرها في المصادر الكلاسيكية، كمركز تجاري هام يتبع دولة حضرموت، وقد أطلق عليها (اجارثارخيدس)، اسم "جزيرة السعادة"، ويتضح أن الاسم (سقطرى Socotza) مشتق من التسمية (ديفباسوخاتار Divpa Sukhatza) في اللغة السسكريتية)[٢]. أما صاحب كتاب (الطواف حول البحر الارتيري) فقد أطلق عليها اسم (ديزكوريدا Discorida)[٣].

تعد جزيرة سقطرى من أكبر الجزر في البحر العربي، فهي تقع على

---

[١]) Ibid , P. 192...

[٢]) حوراني، جورج فضلو: "العرب والملاحة في المحيط الهندي"، ترجمة: يعقوب بكر، وتصدير يحي الخشاب، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، بلا تاريخ ص ٦٢.

[٣]) The Periplus... Sec, 30

مسافة (٥٦٠) كم من الساحل العربي و (٨٠٠) كم جنوب شرقي (عدن) أقصى إمتداد لجزيرة (سقطرى) من الشرق إلى الغرب (١٣٥) كم ومن الشمال إلى الجنوب (٤٢) كم، وبالرغم من قربها من الساحل الأفريقي، إلاّ أنه ليس لها أية علاقة انثروبولوجية بأفريقيا[١].

لقد كسبت جزيرة سقطرى أهمتيها التجارية من أولا: موقعها الاستراتيجي الذي يمثل حلقة وصل بين الهند واليمن القديم وشرق أفريقيا، فهي بمثابة محطة استراحة تتوقف عندها السفن قبل أن تنطلق إلى الهند. ثانيا: أهمية ما تنتجه من سلع مرغوبة حيث يزرع بها أنواع من البخور، يرى (N. Geoom) أن في سقطرى وحدها يزرع ثمانية أنواع من البخور[٢].

ويوجد بها أيضا أنواع الصبر الذي أرتبط إسمه باسم الجزيرة وسمى بالصبر السقطري، ويتوفر بها الصمغ والاعشاب الطيبة النادرة مثل "شجرة دم الاخوين، وتنمو في هذه الجزيرة نباتات تستخدم في صناعة العقاقير الطيبة وفي صباغة الملابس.

وبالرغم من أن صاحب كتاب (الطواف) لم يتحدث عن تصدير سقطرى لأي نوع من تلك السلع، الأنة ذكر تبعيتها لملك حضرموت مما جعلنا نستنتج أن سلعها تصدر دون أدنى شك عبر الميناء الرئيس لدولة حضرموت ميناء (قنا) مثل ما كان يحصل لبخور ظفار (عمان) والتي كانت تتبع ملك حضرموت، حيث ينقل اللبان منها إلى ميناء (قنا) للتصدير[٣].

---

[١]) Bataqih: L'unification... P.241

[٢]) Groom: op. cit, p. 104-105.

[٣]) Bafaqih: L'unification. p.241.



الفصل الثالث

دولة قتبان

اولاً : الموقع الجغرافي

ثانياً : التكوين السياسي للدولة القتبانيّة

ثالثاً : نظام الحكم في دولة قتبان

رابعاً: قتبان و جيرانها

خامساً: آثار قتبان

الفصل الثالث

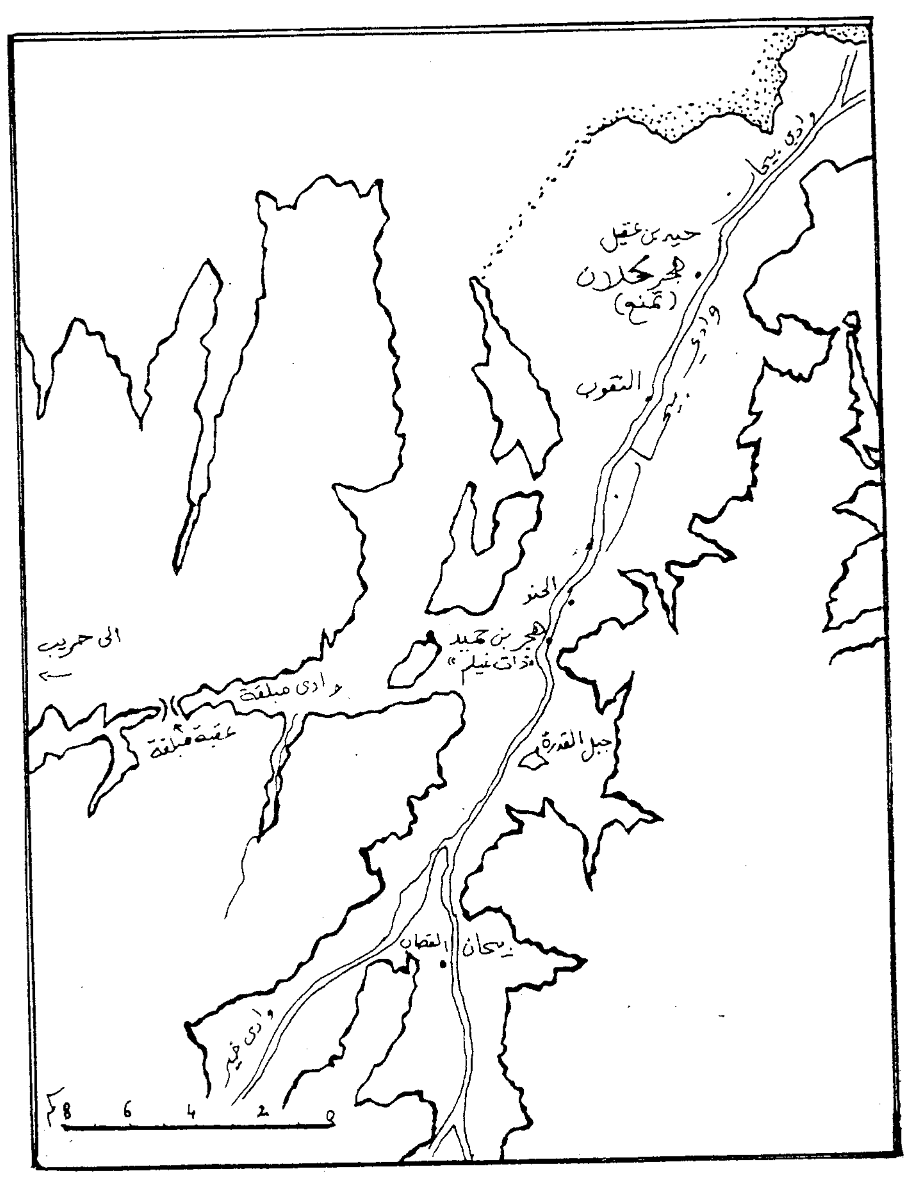
دولة قتبان

اولاً : الموقع الجغرافي

الى الجنوب الشـرقيّ من دولـة سبأ، وتحديداً علـى وادي (بيحـان) الواقـع شمال شرق عدن، على بعد ٣٠٠ كم تقريباً، قامت دولة قتبان، التي كانت في الوقـت ذاته قد ضمّت اليها كـلاً من وادي (حريـب) غربـاً، ووادي (مبلقـة) ووادي (آخـر) يسمّى حالياً وادي (خر) (أنظر خريطة رقم ٩). ومـن ثمّ أخـذت هـذه الدّولـة -في فترات زمنيّة لاحقة- تمتّد وتتسع رقعتهـا الجغرافيّـة، ومـن اولّ وهلـة لقيامهـا اتّخـذ القتبـانيون مـن (تمنـع)- المعروفـة اليـوم بـ (هجركحـلان)- عاصمـه لهـم، ومركـزاً لنشاطاتهم.

ثانياً : التكوين السياسي للدولة القتبانيّة

اختلفت رؤى البـاحثين في تحديـد البدايـة الأولـى لانطـلاق القتبـانيّين فـي تأسيس كيانهم السّياسيّ، فمنهم من يـرى انّ تلك البدايـة كـانت فـي منتصـف القـرن التاسـع ق . م، ومنهـم مـن يـرى أنّهـا تعـود الـى القـرن السـابع ق . م. ولكـن آثــار القتبانيين في وجودهـم الاجتمـاعيّ، ونشـاطهم الاقتصـاديّ، تفـرض علينـا أنْ نرجـع نشوء ذلك الكيان الى تاريخ أبعد بكثير من ذينك التاريخين المذكورين آنفاً هنا، ذلـك انّ البعثة الأثريّة الأمريكيّة تمكّنت من إزاحة الستار عن هذا الأمر، فقدّمت لنا نتـائج إيجابيّة بصـدده، حسـمت الخـلاف فيـه، وقطعـت الشـك بـاليقين حينمـا عـثرت -فـي (هجربن حميد)- على نصوص قتبانيّـة مـن مخربشـات نقشـيّة (اي نصـوص غير متقنة في رسمها النقشي)، تتّجه كتابة سطورها من اليسار الى اليمين مما يعني أنهـا



(خريطة رقم 9) وآدي بيحان

قديمة العهد، ناهيك عمّا أثبته عالما النقوش الأمريكيّين: -(جام Jamme) و (البرايت Albright)- وهما من أعضاء البعثة ذاتها- فيما أبدياه من تأكيدات على بدائيّة هذه المخربشات، سواء في أشكال حروفها أم في رسمها الذي لم يلتزم في سيره اتجاهاً ثابتاً، نرى منها ما يميل يميناً، ومنها ما يميل يساراً، وبعضها مقلوب، وبعضها الآخر قد رسم على جانبه ويرجع علماء النقوش هذا المنحنى من أسلوب الكتابة الى القرن العاشر او الثاني عشر ق . م . تقريباً[1].

وإذا تتبعنا ما كتبه كل من (فان بيك Von Beek) و (باون Bowen) من دراسات عن هذا الموضوع، نجدهما -فيما توصلا اليه- يزكّيان هذا الوجود القديم لكيان القتبانيّين سياسياً واجتماعيّاً واقتصاديّاً. فقد قام (فان بيك) بدراسة لطبقات العمران في (هجر بن حميد) وكيفيّة تتابع الفخار في أقدم ما كان سائداً في تلك الطبقات الأثرية -الى القرنين الحادي عشر و العاشر ق.م- امّا (باون) فقد انطلق يدرس الطمي الزراعي، ومنشآت الرّي في المنطقة ذاتها، فاستنتج أنّ عمليات الارواء في وادي بيحان ترجع خلفاً الى منتصف الألف الثاني ق.م، بل يمكن أن نذهب أبعد من هذا التاريخ ويبيّن لنا في دراسته أيضاً أنّ هناك استيطاناً ثابتاً، قد شرع في الظهور منذ أواخر تلك الفترة [2].

ويضيف (ويندل فيليبس W. Phillips) -الى ما ذكره كل من (فان بيك) و(باون) هنا- رؤية افتراضية الاحتمال، استنبطها من ملاحظته لطبقات المباني في المدن القتبانيّة القديمة، مفادها -أعني هذه الرؤية- أنّ بناء بعض تلك المباني قد تمّ في أواسط الألف الثاني ق.م[3]. وبتحديد الفترة التاريخيّة لانطلاق القتبانيّين على هذا النحو يكون (فيليبس) و (باون) متفقين على كون بداية الاستيطان في وادي (بيحان) انّما تعود إلى منتصف الألف الثاني ق.م، إلاّ أن للباحثة (جاكلين بيرن J. Pirenne)

---

[1]) - Albright . W . F : The Chronology ... pp 5 - 15 .

[2]) - R . Lebaren Bowen : " Irrigation, pp . 199 - 207 .

[3]) - Wendell Phillps : " Qatabān and Sheba Exploring Ancient Kingdoms . on the Biblical spice Route's of Arabia " London 1955 . p . 120 - 121 .

وجهة نظر أخرى[1] تخالفها في هذا التحديد.

ومع هذا نرى أنّ نقش النصر (RES 3945) = (Glaser 1000) يبرز لنا أقدم ذكر لقتبان باسم (ولدعمّ)، إذ نجدها مذكورة فيه مع دولة (أوسان)، التي كانت هدفاً رئيسياً للحملات الحربيّة، التي شنّها المكرب السّبأيّ (كرب إل وتر) عليها في القرن السابع ق.م. وكان من نتائج تلك الحروب: أن تمكّنت قتبان من الاستيلاء على عدد من الأراضي والمناطق التابعة لـ (أولاد عمّ)، وهي أوسان، ودثينة، ودهس (يافع)، وتبنو (تبن). وهذا يعني أنها بسطت نفوذها على مساحات شاسعة من الأراضي الزراعيّة الخصبة، التي كانت ترويها العديد من الأودية الغزيرة (أنظر خريطة رقم ١٠)، ولاريب أنّ تلك الأراضي كانت مصدراً لتصدير المرّ، وموطناً لأشجاره. ولم تكتف قتبان بالاستيلاء على كل تلك المناطق، بل راحت تسيطر تماماً على كافة الشريط الساحلي الممتد بمحاذاة المحيط الهندي[2].

ثالثاً - نظام الحكم في دولة قتبان:

بدأ الحكم في الدّولة القتبانيّة بالنهج نفسه الذي سارت عليه، وبدأت قديماً سائر الممالك اليمنيّة الأخرى، إذ تلقب حكامهم الأوائل بلقب (مكرب). إلا أنّ هذا النهج أخذ يتغيّر بعض التغيّر في سلّم التطور، منذ بداية القرن الرّابع ق.م. فيما يرى (البرايت Albright) -فمن حينها انطلقوا يتلقّبون بلقب ملوك[3] -. ومع هذا فإنّ هناك من ملوكهم من بقي متمسكاً بلقب (مكرب) إلى جانب لقب (ملك)[4].

أمّا إذا نظرنا إلى طبيعة الحكم في قتبان، فإنّه كان يقوم على النظام الوراثي، كحال ما كان سائداً في الدّولة السبأيّة تماماً. وإبّان الملكيّة تكوّن -في

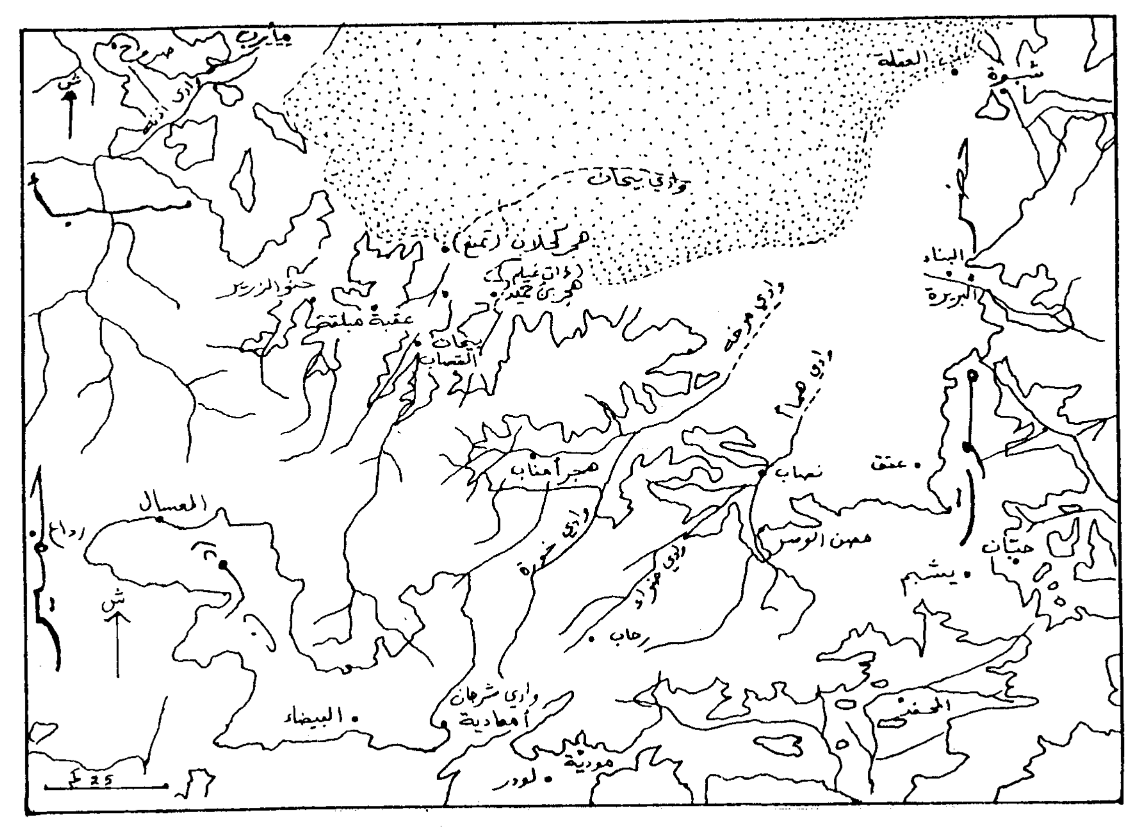
---

١) - Pirenne J : " Chronique d'archéologique sud - arabe , 1955 - 1956 ,dans Annales D'éthiopie No II , 1957 . p 37 - 40 .

٢) - Wendell Phillips : Qatabān... , p. 221 .

٣) - W.F Albright : The Chronology ..." p. 5-15 .

٤) Ibid .



(خريطة رقم 10) أرض قتبان ، ولد عم و أوسان

قتبان- مجلس للأعيان من شيوخ القبائل، ورجالات الدّولة، وكبار موظفيها، أطلق عليه اسم (م س د) أو (مسود) وحينها جرت العادة على أن يجتمع هذا المجلس- بدعوة من الملك- مرتين كلّ عام، على الأغلب، في العاصمة (تمنع).

أشهر ملوك القتبانّيين:

١. من أشهرهم في القرن الثاني ق.م تقريباً "يدع أب ذبيان الذي قام بعدد من الإنجازات العظيمة، أهمّها:

(أ) شق الطرقات من أجل أحكام السيّطرة على التجارة الخارجيّة، وتشجيعها، والإشراف المباشر عليها، وكان هذا المجال من مشروعات الأعمال التي تقوم على أسس من التخطيط الهندسيّ، كما يفهم من نقش (Glaser 1600) الذي يبيّن لنا أنّ هذا المكرب كان قد شقّ طرقاً معبّدة في أماكن جبليّة وعرة، كانت تستوجب إحداث فتحات كبيرة (أو ثغرات واسعة) في الصّخور الضّخمة وتشكّل في نهاية الأمر نفقاً طويلاً على امتداد الطريق، تمرّ فيه القوافل التجاريّة، ويصل بين طرفي امتدادها. وكان الذي صمّم هذه الأعمال من هندسة الطّرقات رجل متخصص فيها، ينتمي إلى (آل مدهم)، واسمه (أوس بن يضرعم)، وكان -كما يبدو- من كبار مهندسي الدّولة، وذوي العلم والخبرة في فتح الأنفاق وشقّ الطرقات إذ تمّ رصف الطّريق وتبليطها وإنجازها على خير ما يرام وهاكم ممر (عقبه مبلقة) الجبليّ -الّذي يصل وادي (بيحان) بوادي (حريب) عبر سلسلة الجبال الواقعة هناك -ما يزال ماثلاً للعيان، كشاهد حيّ على تلك الأعمال، ونموذج رائع لها. إذ كانت أرضية هذا الممرّ -البالغ امتداده نحو ثلاثة أميال، وباتساع يتراوح ما بين أربعة إلى خمسة أمتار، قد مهدت بأحجار عريضة صلبة، وكانت القوافل القادمة من (تمنع) والقادمة من (عدن) إلى نواحي مأرب تعبر هذا الممرّ بسهولة ويسر، ناهيك عمّا أقيم من أحواض للمياه على طرفي خط هذه الطريق الطّويلة، لخدمة القوافل وسقاية المسافرين والإبل، ولم يكن هذا المشروع هو الوحيد فيما أنجزه القتبانيّون من طرق، وإنّما هناك كثير غيرها، قاموا بتمهيدها وتعبيدها.

(ب) تجديد بناء بيت الإاله (ودم)، (ود) وكان هذا من الأعمال العمرانيّة التي نفّذها المهندس نفسه، المشار اليه آنفاً، بتكليف من المكرب نفسه (يدع ال ذبيان)، كما ورد في النقش السالف الذّكر، الذي يذكر لنا عدداً من الآلهة، من أبرزهم: (عثتر)، (عمّ)، (انبي)، (حوكم)، (ذات رحبن)، وغيرهم.

(ت) ما سنّه الملك ذاته من قوانين جزائية، لتثنيت الأمن والاستقرار في قتبان، وهذا ما يثبته لنا نقش (RES 3878)، الذي عثر عليه في البوابه الجنوبيّة للعاصمة (تمنع)، فقد وثّق لنا النقش –فيما وثّق– قانوناً جزائيّاً؛ حدّدت فيه عقوبة القتل، مضمونها أنّ القاتل يحرم من كل الحقوق المدنيّة والدينيّة، لخروجه عن القانون بارتكابه جريمة القتل، فاذا ما تجاهل ما يقتضيه هذا الحكم، باصراره على البقاء في قتبان، اباح الملك دمه، دون ان يترتب على قاتله ايّة عقوبة أو ملامة البتّة.

٢- الملك شهر هلال بن يدع أب:

واصل الملك (شهر هلال) إنجازات أبيه (يدع ال) في مجال التجارة وحمايتها، فقد وجدت مسلّة حجريّة صغيرة داخل العاصمة (تمنع)، سجّل عليها نص نقشي (RES 3540) هو عبارة عن مرسوم تشريعيّ، ينظم التّجارة الدّاخليّة، والضرائب، لضمان حقوق الدّولة من الضرائب التّجاريّة، وحماية مصالح المواطنين من التجار والمستهلكين، وتركيز التّجارة في العاصمة (تمنع) وبالذات في سوق (شمر)، ناهيك عما ينبغي أن يلتزم به التّجار الأغراب من تبليغ الدّولة عن شوؤن تجارتهم، سواء للإذن بممارستها، ام لتحديد الضّرائب عليها.

وكان (بيستون Beeston [1]) قد قام بدراسة هذا المرسوم القانونيّ، ومن ثم لخصه في نقاط نوجز أبرزها:–

---

[1] - Beeston . A . F . L : " The Mercantile code of Qatbān . part of Qaḥṭan " : (studies in old south Arabian Epigraphy. Luzac, London Fascicule I of 1959, and Fascicul 2 of 1971. أنظر ايضاً لنفس المؤلف: -Katabān. dans Encyclopédie: de l'islam (nouvelle e'dition) . tome 4 , 1978 , pp . 775.

(١)تركيز التّجارة وحصرها في الموضع المسمّى (شمر)، وهو سوق (تمنع).
(٢)حظر عمليّات البيع والشراء ليلاً، لضمان جباية الضّرائب، والرسوم المفروضة على التّجارة.
(٣)تركيز التّجارة في أبناء قتبان الأصليّين ، وفرض رسوم إضافيّة على غير القتبانيين.

وأنتهى المرسوم بالنّص على أنّ للملك حق السيادة على كلّ معاملة، وكلّ تجارة تجري في منطقته، وهذا أمر ينبغي على كل ملك لاحق أن يعمل به ، ويسير عليه.

والى جانب عناية القتبانييّن بالتّجارة و طرقها، عنوا أيضاً بالزراعة فأقاموا مساريع للرّى في وادي (بيحان) و (حريب). فقد كشفت البعثة الأثريّة الأمريكيّة في وادي (بيحان) عن قناة رئيسيّة تمتدّ مسافة طويلة، ولها مصارف تتحكّم في مياه السّيول، وتقوم بتوزيعها على الجداول الفرعيّة التي كانت تشكّل شبكة منتشرة في الأراضي الزراعيّة الواقعة على جانبي الوادي. ويرجّح الباحثون أن تكون هذه القناة قد أنشئت في القرن الخامس ق . م . تقريباً. وهم يذهبون أيضاً الى أنّها ظلّت تؤدّي وظيفتها حتّى القرن الأول لميلاد يسوع[1].

ومن مؤسّسات الرّي التي شيّدها القتبانيّون: حفر الآبار، وبناء الصهاريج التي ما أنفكت معالمها ماثلة العيان حتى يومنا هذا.

رابعاً: قتبان و جيرانها

شهدت العلاقة بين قتبان وجيرانها أطوارا مختلفة، وانعطافات متباينة، من المدّ و الجزر، من الهدؤ والاحترام المتبادل تارّة، والصراع والحروب تارّة أخرى فكانت، تتأرجح بين صداقة حيناً، وعداء حينا آخر، وأحيانا تكون وسطا لاهذا ولا ذاك، واقفة عند حدّ الحياء، أو الحياد وكان هذا التّأرجح يخضع لتأثيرات الأحداث

---

[1] - Bowen : Irrigation - pp . 43 - 88 .

على سيادتها، أو الموقف من مصالحها، و بما ينسجم مع ما يستجدّ من ظروف سياسيّة و مواتية أو متقلّبة، و هذا أمر طبيعيّ في العلاقات بين الدّول.

وقد مر بنا كيف وقفت موقفاً تضامنياً مع (سبأ) إبّان حربها مع (أوسان) في عهد الملك السبأي (كرب إل وتر) في القرن السابع ق . م، وكيف كافأها على ذلك الموقف (RES 3945). ومع هذا فانّ تلك العلاقة التّضامنيّة بين الدّولتين –سبأ وقتبان– لم تدم طويلاً، فلم تستمر على ما ساد بينهما من وفاق ونام ! وانّما دبّت الصّراعات السّياسيّة بينهما فيما بعد، وراحت تتصاعد تدريجيّا، وتشتّد بين الفينة والأخرى ، الى أن تأزم الموقف تماماً، و بلغ السّيل الزّبى في مجرى تصدّع العلاقة بين الطّرفين، وتدهورها نهائيّاً. وكان هذا أمراً بديهيّاً بحكم حساسيّة جوارهما، حينما نشأ التنافس بينهما، حتى انتهى بهما الى حتميّة الصدام المسلّح، وفي نهاية المطاف تمكّنت قتبان من حسم الصّراع لصالحها، ومدّت نفوذها الى مساحات شاسعة من الأراضي السبأيّة (أنظر الخريطة رقم ١١).

وبعد ذلك عاش القتبانيون فترة ازدهار جديدة في عهد ملكهم (شهر يجل يهرحب) الذي يؤرخ حقبة حكمه مع بداية القرن الأول ق.م، وفقاً لما نشره (فان بيك) من تسلسله التّاريخي[١]، ومن حينها راحت قتبان ترنو الى دولة (معين)، فراحت تعقد معها حلفاً، هدفت من ورائه –كما يبدو– تضييق الخناق على دولة (سبأ)، إلاّ أنّ هذه الأخيرة لم تمهل دولة (معين) كثيراً، إذ سرعان ما انقضّت عليها في الوقت الذي كانت فيه (قتبان) تدافع عن أراضيها من خطر جديد يهدّدها، واخذ يداهمها، الا وهو قبائل (حمير).

ومع نهاية القرن الأول ق.م، راح الحميريّون يضمّون كثيراً من الأراضي القتبانيّة اليهم، فتمكّنوا من السّيطرة كاملاً على الشريط السّاحليّ الجنوبيّ، فنتج عن ذلك أن فقّد (قتبان) سيطرتها على التجارة البحريّة تماما، كما سيّطر الحميريون أيضاً على أرض (ردمان)[٢].

---

[١]) Albright , W.F : The Chronology ... , p. 5 -15 . أنظر نقش (RES 3021).

[٢]) Van Wissmann : Himyar .. p. 431 , 442 . -

(خريطة رقم 11) قتبان بعد حروب كرب إل وتر على أوسان

وفي مرحلة بعينها من القرن الأول الميلاديّ راح الملك القتبانيّ (ورو إل غيلان يهنعم) يسك عملة نقدية، تحمل اسم قصره (حريب)[1]. ويبدو لنا من نقش (RES 4329) ان أخاً له يدعى (فرع كرب يهوضع) قد تولى الحكم[2]. ومن بعده توالى على عرش (قتبان) كثير من الملوك، من أبرزهم: الملك (شهر هلال بن ذرأ كرب) الذي أصدر مرسوماً ملكياً، موجّهاً الى كبير العاصمة ، يطلب منه القيام بتحصيل الضّرائب من ساكني منطقة (سرو)، ومزارعي اراضيها، آمراً هؤلاء المزارعين بالإلتزام الصارم بما نصّ عليه هذا المرسوم.

وفي عهد الملك (شهر هلال يهقبض) تعرّضت (تمنع) لحريق، لم يعرف سبب نشوبه، أو المتسبّب فيه، وكان وقوعه في الفترة ما بين الأعوام (٩٠ الى ١٠٠م) تقريباً، كما يرى (فون وايزمن)[3]، اذ كانت البعثة الأثريّة الأمريكيّة قد عثرت على آثار ذلك الحريق أثناء ما قامت به من حفريات في المنطقة ذاتها وقد أتضح لنا تأريخيّاً أنه على أثر هذا الحريق – وما كان قد سبّبه من خراب شامل للعاصمة (تمنع).

وممّا يلفت الانتباه ان نقش (Ja 629) يذكر لنا أن الملك (نبط يهنعم إبن شهر هلال) كان معاصراً لملكين من ملوك (سبأ و ذي ريدان) هما: (سعد شمس أسرع) وإبنه (مرثد يهحمد)[4].

والملاحظ أن (قتبان) في هذه المرحلة من تاريخها أخذت تدخل في طور من الضعف والإنهيار، اذ اتّجهت اليها أنظار الأقوياء من الممالك اليمنيّة الأخرى، التي راحت كل واحدة منها تبحث عن نصيب لها من المناطق القتبانيّة، لتمدّ نفوذها فيها ما استطاعت الى ذلك سبيلاً. وقد أوضحنا فيما سبق من حديث كيف تمكّن الحميريّون من توجيه ضرباتهم الموجعة المتلاحقة الى دولة (قتبان)، مما جعلهم

---

[1]) - Phillips , W : Qatabān ... p . 220 .

[2]) بافقيه : تاريخ اليمن ، ص ٣٥ .

[3]) - Wissmann : Ḥimyar .. p. 465 .

[4]) - W . Phillips : Qatbān . . p . 221 .

يتوغّلون في الشريط السّاحليّ الجنوبيّ. وفي ظلّ هذه الأجواء الساخنة تهيّأت لدولة حضرموت ظروف مواتية، اذ وجدت أمامها الفرصة سانحة لأن تمد سلطانها فعلاً على حساب القتبانيّين، فسيطرت على أجزاء من أراضيهم، وتمكّن الملوك الحضارمة من بناء مدينة (ذات غيلم) فيما استولوا عليه من الأراضي القتبانيّة[1]، التي صارت مركزاً لإقامة الملك حيث شيّد له قصرٌ فيها ، وتسمى حالياً (هجر بن حميد)، (أنظر الخريطة رقم ٩).

أمّا انهيار قتبان بصورة كليّة ونهائيّة، فقد كان مع نهاية القرن الثّاني الميلادي حينما وجّه اليها السبأيون والحميريون -في آن معاً- (ملوك سبأ وذي ريدان)، ضرباتهم القاتلة والسّاحقة.

خامساً: آثار قتبان

(أ) العاصمة (تمنع):

يستطيع المرء أن يشاهد أطلال هذه العاصمة التاريخيّة وخرائبها المنتشرة في مساحة واسعة من الأرض، وذلك في المنطقة المعروفة حالياً بـ (هجر كحلان) الواقعة على وادي بيحان، بالقرب من (النّقوب). وكان المؤرخ (بليني) قد وصف أهميّتها بعبارة اراد ان يخلّدها فيها فقال: "إنّها تحتوي على (٦٥) معبداً"[2] ومهما يكن من صحة هذه العبارة أو المبالغة فيها، فإنّ ما تبقّى من آثار المدينة إنّما يشهد على أهميتها، ذلك أنّ المدينة ذاتها كانت قد أنشئت على ربوة مرتفعة إلى حدّ ما وهاكم تصنيفاً لأبرز ما تبقّى من معالمها، وشواهدها السّطحيّة على نحو ما هو آت:

(أ) بوابات السّور:

تم الكشف عن بوابتين للسّور، إحداهما في الجنوب الغربيّ من العاصمة،

---

[1] - Beeston : Epigraphic and Archaeological Geanings from South Arabia , dans oriens Antiqus I,Rome 1962 , pp. 47 - 49 .

[2] - Pliny , Natural History , Bk. 6 , 32

والأخرى في الجنوب الشّرقيّ، وكانت أولى البوابتين التي عرفت بالبوابة الجنوبيّة، هي الأقدم والأكثر أهميّة ، وقد بنيت بأحجار صلبة كبيرة، وما بقي منها الآن يرتفع أكثر من ثلاثة أمتار، و أجزاء من الصّرحين (أو البرجين) الذين كانا يحيطان بها. ويبدو أنّه كان لمداخلها باب خشبيّ ضخم[1].

احتفظت جدران البّوابة -وهذا هو الأهمّ- بنصوص نقشيّة عديدة، خلّدت أسماء بعض الملوك القتبانيين، كما تضمّنت إحداها تشريعات للدولة، أشرنا إليها سابقاً.

(ب) المعبد (معبد الإله عثتر)*:

في وسط المدينة (تمنع) كان قد شيّد -وباسلوب هندسيّ بديع- مبنىً رائع ضخم وفسيح ، يتكوّن من حيطان، تمّ بناؤها من كتل حجريّة ذات أحجام مختلفة في تناسقها و تساويها، وكان هذا المبنى قد تم بناؤه جزئيا -على مرحلتين خلال عهد المكاربة- حتى صار في نهاية المطاف خلقاً سويّاً، ثمّ جدّدت أقدم الأجزاء منه إبّان عصور الملكيّة في أواخر القرن الرابع ق.م أولاً، ثمّ كان هناك تجديد آخر في القرن الأول ق . م أيضاً [2].

وقد اعتبر (فان بيك) هذا المبنى معبداً رئيسيّاً، ويلاحظ المرء إمكانية الدّخول إليه عبر ساحة كبيرة عبّدت أرضيتها بالبلاط [3].

وممّا عرف عن القتبانيّين أنهم كانوا يعبدون الإله (عمّ)، وهو إلاههم الرّسميّ الذي كان يرمز -عندهم- إلى القمر أمّا الزّهرة (عثتر) فقد كانت لها مكانة

---

(1) Rhodokanakis N . Die Inscrifteb an der Maur Von Kohlan - Timnaʿ, Vienna , 1924 , 31c .

(*) إلى جانب أعمال البعثة الأمريكيّة؛ وماتوصلت إليه من نتائج إيجابيّة منذ مطلع الخمسينات من هذا القرن، عملت البعثة الفرنسية عام ١٩٧٨م في المعبد ذاته، ولمدّة أسبوع نضفت خلاله أسس المعبد، ودرست الفن العماريّ فيه.

(2) Van Beek G . W : Recovering the Ancient Civilization of Arabia , Biblical Archaeologist , 15 , 1952 , pp . 10 - 13 ; 42 , 170 - 173 .

(3) Ibid

رفيعة في دنياهم، واعتبار خاصّ في حياتهم، وبالذات فيما يخصّ الأمور الزّراعيّة والرّي، وما كان هنالك من أمور أخرى غيرها، ممّا يتّصل بأحوالهم الاجتماعيّة، ولذلك خصّوا بها وحدها -أي الزهرة- ذلك المعبد، أعني (معبد الإله عثتر) وأمّا الشّمس فقد كانت تحتلّ المركز او (المعلم) الثالث بين آلهتهم، كما هو واضح كلّ الوضوح من أساليب التّضرّع، وصيغ الدّعاء المتكررة لديهم، وفي نذورهم.

(ج) القصر الملكي

وهو مبنى كبير ومعلم بارز من معالم المدينة أيضاً، موقعه في الجانب الغربي من المدينة، يسمى في النقوش (ح ر ب)، كما جاء اسمه في العملات القتبانية ويتكون من بناية رئيسة يرمز إليها بـ (A) تبلغ مساحتها (٣١×٢٤م)، أما القصر بشكل عام فتبلغ مساحته بحوالي (٤٨×٣٦م).

أما السّاحة والمدخلان فيعود تاريخ بنائهم إلى القرن الثالث ق.م تقريبا، ويرجع تاريخ بناء البناية الشرقية إلى القرن الأول ق.م. أشار (فان بيك Van Beek) إلى أن تاريخ المبنى يعود إلى حوالي القرت السادس ق.م. ويحتمل أن يكون القصر قد تهدّم بواسطة حريق شديد، أثناء الحملة السبأية على قتبان في حوالي (١٦٠م) أو (٢٠٠م)، بعد ذلك التاريخ لم يسكن القصر[١]

(د) مبانٍ أخرى

وكذلك تم الكشف في موقع المدينة على عدّة أبنيّة متفرّقة، هي كالتالي:

- عند بوابة المدينة من الدّاخل هناك ساحة رصفت بالحجارة، وعلى جانبيها تقوم دكّات حجريّة، وعلى ما يبدو أنّ هذه السّاحة كانت سوقاً، أو ميداناً مخصصاً للاجتماعات، كما أنّ هناك مبنىً آخر مشيّد على دكّة مرتفعة، تؤدي إليه درجات سلميّة، وفي مدخله صفوف من المناضد الحجريّة، مما دفع بمكتشفه من الخبراء إلى أن يتصوّر بأنّه كان مركز شرطة، أو مقرّ المحكمة[٢].

---

[١]) Breton .J . F : "le chateau royal de Shabwa, notes d'histoire" extrait de la revue SYRIA, tome LXVIII, 1991, Paris, 1991, pp. 222-225.

[٢]) Bowen , and Albright : Archaeological Discoveries .. , pp. 155 - 164 .

- مبنيان متصلان ببعضهما، واقعان بالقرب من بوابة المدينة، وهما من أهمّ ما اكتشف من دور، وجاء في النقوش أن أقدمهما كان يسمّى (بيت يفش)، والآخر كان يسمّى (بيت يفع)[1].

- **بيت يفش:**

يتألف من طابقين: طابق أرضيّ ذى صفات او بواكٍ مسقوفة، وعدة غرف، ثم طابق علوي تضمَن: شرفات، ومقصورة ومخزنين للبخور. ويستنتج من النصوص النقشيَة التي وجدت في المبنى: أنه شيَد في أواخر القرن الثاني ق م[2].

(هـ) المقبرة (موقع حيد بن عقيل)

يقع (حيد بن عقيل) -وهو موقع المقبرة المحليَة لمدينة (تمنع)- على بعد نصف ميل على الشَمال من "هجر كحلان" (تمنع). وكان القتبانيَون قد أنشأوا هذه المقبرة على الجانب الغربيَ لجبل صخريّ قاحل. فعلى مقربة من قاع هذه الجبل اكتشفت البعثة الأمريكية مبنى من اللبن، كان قد أنشىء على اسس حجريَة، إلاّ أنه لم يبق منه سوى ارتفاع (٦ أقدام) تقريباً.

ويلاحظ أنَ الجدار الدَاخليّ لهذا المبنى المشيّد من اللبن، يواجه -من جهاته الثلاث- جدارا آخر من الحجارة الضخمة، له فتحتان غير مجوفتين. وفي إحدى غرف المبنى عينه هناك حفرة مرصوفة بالحجارة، تصل إلى عمق (٦٠ قدماً)، إذ تتخذ -أولاً حتَى الطبقة ال (٢٠ متراً) من هذا العمق- أشكالاً مربَعة، ثمَ أشكالاً دائريَة باتَجاه الأسفل، حيث كلَّما انحدرت تدريجياً نحو الأدنى تأخذ هذه الأشكال الدائريَّة في الضيق شيئاً فشيئاً ومن عجيب المصادفة أيضاً، أن يرى المرء أن أحد الأشكال المربَعة يحمل نقشاً في غاية الأهميَة، يرجع تأريخه الى القرن السَادس ق.م تقريباً، ويبدو أنَ للحفرة مغزىً دينياً عظيماً، نظراً لأنه ليس هناك أيَّ شاهد يدل على أنَها كانت قبراً من القبور، إذ تنتهي فوق مستوى سطح الماء، وفي أعلى

---

[1]) Ibid

[2]) Van Beek : Recovering ... , pp . 14 - 17 .

المنحدر منه تم تنظيف بقايا مبنى من النّوع عينه، ويبدو واضحاً أيّما وضوح أنّه كان "مصلى"*، وقبالة هذا المبنى هناك أنقاض لمبنى ثالث أقدم منه، تتراكم على ما تبقى من أطلال (مصلى) آخر، يرجع الى القرن الرابع ق.م تقريباً ، وتوحي لنا بقايا ما بلَط به من حجارة جميلة انَ عموم ساحة المبنى كانت مبلطة، وانَ عمليَة تصريف كانت تتم على أكمل على ما يرام، نظراً لما هنالك من مزاريب كثيرة[١].

أمّا بقيّة المنطقة التي تمَت تصفيتها، فتحوي على قبوراً حجريّة منفردةً، مكوّنة من وحدات مربّعة تقريباً، وتمتد من جدرانها الجانبيَة حواجز متوازيَة تقسّم القبر الى غرف صغيرة، عرض الواحدة منها -على وجه التَقريب- (٣٠ بوصة)، وطولها (٥,٦ قدم) وهناك ممرّ أو (ممشى) يتوسّط الغرف الواقعة على جانبه، وكل غرفة منها تنقسم الى جزئين: علويّ وسفليّ، يفصلها لوح أفقيٌ يقوم مقام المشكاة في دفن الموتى[٢].

وقد تعرّضت جميع المقابر -فيما مضى- للنّهب، حتّى أنّه لم يعثر البتّة على أيّة مدفونات سليمة تماما، أو كاملة كل الكمال. وهناك مجموعة كبيرة من التّماثيل المنحوتة من المرمر على هيئة رؤوس آدميّة رجاليّة ونسائيّة، يبدو على صنعها التأثير الهلنستي (يوناني - شرقي) والطابع المصريّ ولعل ذلك العقد الذهبيّ المكتشف، وهو حاوٍ على سلسلة وقلادة ذهبيّة على شكل هلال[٣] ، يوحي لنا بذوق رفيع، ودقّة بديعة في الصّناعة، ومهارة فنيّة في الصياغة، ناهيك عمَا يحتله الهلال من مكانه مقدَسة فهو يرمز لإله (القمر) لما له من تأثير على المواقيت والحساب.

وأمّا الزخرفة المعمَارية البارزة على آثار ذلك الموقع فهي تبيّن نحتاً لنماذج من رؤوس الوعول؛ يتراوح إرتفاعها ما بين (٣ إلى ٤ بوصات) -إلى قدم ونصف

---

* مصلى: للصلاة من أجل الموتى.

١) Ray . L . Cleveland : " An Ancient South Arabian Nicropolis " object from the Second Campaign (1951) in the Timna . Centery (Baltimore 1965)

٢) Ibid ..

٣) Van Beek : Recovering ... , p.14...

القدم- وقد عثر في المقبرة على عدد من الكتابات النقشيَة والمخربشات، كما عثر أيضاً على كميات كبيرة من الفخار السّليم والمهشّم[1].

تاريخ المقبرة

من خلال تحليل الفخار الذي عثر عليه في المقبرة، والذي يمثّل فترات زمنيَة متفاوتة يرى (فان بيك) أن المقبرة كانت تستخدم منذ بداية الألف الأول ق.م، إلى نهاية الاستيطان في تمنع[2].

ملتقطات أثرية

ومن الآثار الهامّة التي عثر عليها في (تمنع) بشكل عام: تمثالان من البرونز، إرتفاع كلّ منها (٦١ سم) وطوله (٧٠ سم)؛ يمثل كلّ منهما لبوة، يرتفع أحد ساقيها الأماميين إلى الأعلى، ويعتلي كلاً منهما غلام عار يمسك قوساً بيمناه، ويقبض بيسراه على حلقة لسلسلة، كانت تنتهي بطوق يحيط بعنق اللبوة، ولعلَ كلاً من الغلامين يمسك بسوط، والغلامان توأمان (أو صنوان) مع اختلاف يسير جداً في السّلاح. وهذان التمثالان من أروع القطع الفنيَّة التي احتفظت بها مناطق اليمن القديم. ويرى علماء الآثار أن التمثالين يعتبران نموذجاً للفن الهلنستيّ[3].

وليس من الغريب -إذن- أن تقدم لنا الآثار المكتشفة في (قتبان) نماذج من الفن اليمنيّ الأصيل في: النحت، والنقش، وصناعة الحلي، وقطع الزَينة. أمَا النمَاذج الّتي تأثرت بالفن الهلنستي ، فهي تعتبر دليلاً -لا يقبل الشك- على اتّساع العلاقات الخارجيَة بين اليمن القديم والعالم الخارجيَ ومن تلك التَماثيل: رأس من المرمر لإمرأة، اطلق عليها عمّال الحفر اسم (مريم)، ويقدّر الباحثون إرجاعها إلى ما بين القرنين الأوَل والثاني ق.م، وقد عثر عليها في إحدى مقابر (حيد بن عقيل) كما تمَّ العثور على تماثيل برونزيّة اخرى[4].

---

[1] Van Beek : Recovering ... , p 10 , and Bowen and Albright , op. - cit , pp 191 - 192 .

[2] - Van Beek : Recovering ... pp. 14 - 17 .

[3] Ibid...

[4] Bowen and Albright , op. - cit , p. 192...

الفصل الرابع

دولة أوسان

الفصل الرابع

دولة أوسان

أولاً : التكوين السّياسيّ للدّولة الأوسانيّة:

ورد ذكر هذه الدّولة في نقش النصر (RES 3945) وهو نقش للمكرب السّبأي (كرب إل وتر)، الذي يعود تأريخه إلى القرن السّابع قبل الميلاد. لقد ظلت هذه الدّولة مجهولة لدينا، إذ أتى أمرنا منها حين من الدّهر لم نكن لنعرف على وجه اليقين والدّقة أين كان مركزها تحديداً ؟ ! إلى أن جاءت العالمة (جاكلين بيرن J. Pirenne) لتضع بين أيدينا ماوفّقت في العثور عليه من معطيات أثريّة ونقشيّة قيّمة عن الأوسانيّين وتأريخ دولتهم الأثيل فما كان من هذه المعطيات إلاّ أن تحدد لنا تحديداً دقيقاً الموضع الذي نشأت فيه تلك الدّولة، ومركزها الرّئيس والأساسيّ الواقع إلى الجنوب الشّرقيّ من وادي (بيحان)، ألاّ وهو وادي (مرخة)[١]، الذي، انطلق منه الأوسانيون ليبسطوا نفوذهم على امتداد إقليم زراعيّ شديد الخصوبة، وغنيّ بالغيول والأوديّة، حيث يعدّ هذا الإقليم جزءاً من الهضبة المنحدرة إلى الشمال باتجاه المنخفض الرمليّ، الذي كان يعرف قديماً بمفازة (صيهد)، أما اليوم فيعرف (برملة السبعتين).

وكجزء من معضلة التّسلسل التأريخي للدّويلات اليمنية القديمة، فإنّ الباحثين لم يتمكنوا من معرفة المراحل الأولى لتكوين دولة أوسان سياسيّاً، وبالذّات إذا علمنا أنّ ما توافر لدينا من النّقوش الأوسانيّة هو شحيح للغاية، وليس فيه أيّ شيء من تفاصيل أو توضيحات ذات جدوى عن (أوسان)، اللّهم ما أبرزته لنا بعض

---

١) - Pirenne . J: " Prospéction historique dans la région du royaume de Awsān" . dans . Raydān Vol 3 . Louvain , 1980 , pp . 213 - 255 .

النّقوش النذريّة. ولعل أقدم المصادر الّتي تذكر لنا "أوسان"، هي:

١. **النّقوش القتبانيّة**: وفيها جاء أوّل ذكر لاسم (أوسان)، حيث وردت عبارة "شعب أوسن" (RES 454)، ولهذا ذهب الباحثون يرجّحون أنّها -أعني دولة أوسان- كانت واحدة من المناطق الرّئيسية الخاضعة لدولة قتبان. وبعد أن استأنس الأوسانيّون في أنفسهم القوّة والنّفوذ والمنعة، راحوا ينفصلون عن (قتبان) في ظل ظروف غامضة وملابسات غير معروفة، فكوّنوا لأنفسهم كياناً سياسيّاً مستقلاً استقلالاً كاملاً على ما يبدو.

٢. **نقش النصر**: (Glaser 1000 = RES 3945) هو مصدرنا الثاني الذي يعود تأريخه إلى القرن السابع قبل الميلاد، وقد سبق أن أشرنا إليه. وعلى أيّة حال فإنّ هذا النّقش هو أهمّ ما توافر لدينا من مصادر عن دولة الأوسانيّين، إذ بفضله استطعنا أن نكوّن صورة واضحة عن هذه الدّولة، لأنه:-

أولاً: وثّق لنا حدودها السّياسيّة، ومدى اتّساع رقعتها الجغرافيّة من حيث المساحة.

ثانياً: ذكر لنا جملة من القبائل التي خضعت لسلطتها، أو تحالفت معها.

ثالثاً: وصف لنا عاصمتها وبيّن لنا اسم ملكها آنذاك، وحدثنا عن منشآتها، ونشاطتها ومراكزها الدّينيّة، وما كان لها من جولات حربيّة، وصولات عسكرية... الخ.

ثانياً: الصراع السبأيّ - الأوساني في القرن السابع قبل الميلاد.

ومن اجمالي ما استعرضه هذا النّقش ممّا كان للأوسانيين -في سالف عهدهم- من إنجازات، ووقائع وأحداث، يتبدى لنا أنّ دولتهم كانت قد بلغت شأناً رفيعاً من التّقدّم والازدهار، بسبب ما كان لها من نشاطات تجاريّة، وما هيأته لها طبيعتها الجغرافيّة من موانئ بحرية على امتداد سواحلها الجنوبيّة، تمكّنت من الاستفادة منها واستغلالها أيّما أستغلال، حتّى قويت شوكتها، واتّسعت حدودها في

عهد ملكها (مرتع)، لتمتدّ من المعافر غرباً -أي (الحجريّة) حالياً- إلى وادي (حبّان) و (ميفعة) شرقاً، ضامّة إليها كل المناطق الحسّاسة المتراميّة أطرافها ومن أشهر وأبرز تلك المناطق: (تبنو) -أي "تبن"- و (دهس)- أي "يافع" و (دثينة)، وسلسلة جبال (الكور) واقليم (الوسر) وأوديا: (يشبم) و (جردان) (أنظر خريطة رقم١٢). فكانت أوسان بتوسعها هذا قد غدت تشكّل خطراً داهماً ومباشراً ليس فقط على جارتيها: (حضرموت) و (قتبان)، وإنّما على دولة (سبأ) التي هي الأخرى استثيرت غضباً من ذلك التّوسع: ذلك أنّ دولتي (حضرموت) و(قتبان) -على وجه الخصوص- تضرّرتا أيّما ضرر من ذلك التّوسع الأوسانيّ، لأنّه جرى على حسابهما، حيث تمّ استقطاع أراضيهما أمّا دولة سبأ فقد أحكم عليها الخناق بحرمانها من أيّ انتفاع بالسّواحل الجنوبيّة، فضاقت بذلك ذرعاً، ولم يكن أمامها من خيار آنذاك إلا أن تتصدّى لجحافل الأوسانيين العاتية، وتوقّف طموحهم الجامح بما استطاعت إلى ذلك سبيلاً. فتداول الطّرفان المناوشات كرّاً وفرّاً، إلى أن كانت الحرب بينهما سجالاً، فتارة يحالف النصر هؤلاء وتارة أخرى يحالف أولئك[1].

وفي خضم تلك الأجواء المشتعلة بنيران المعارك تمكّن ملوك (أوسان) من أسر أرتال من السبأيّين، والاحتفاظ بهم رهائن لديهم في أرضهم فحينها سنحت لهم أنّ يسجّلوا في معابدهم أخبار انتصاراتهم، ويدوّنوا ما كان لهم مع سبأ من مآثر حربيّة أبلوا فيها بلاءً حسناً.

وبالمقابل نجد أنّ الهجمات السّبأيّة على أوسان وحليفاتها أخذت تكثر، ويشتد أوارها في عهد المكرب (كرب إل وتر)، إذ راح هذا المكرب يشنّ ثماني حملات عسكريّة على مناطق الأوسانيّين ومَنْ والاهم من القبائل الأخرى، فكانت وجهات الحملات ونتائجها على نحو ما هو آت:-[2]

---

[1]) راجع ترجمة نقش النصر (Glaser 1000 = RES 3945) في كتاب: حسن عبدالله العمري، مطهر علي الارياني، ويوسف محمد عبدالله: "في صفة بلاد اليمن عبر العصور، من القرن السابع قبل. الميلاد إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي"، دار الفكر المعاصر، بيروت،١٩٩٠، ص ١١ - ١٧.

[2]) راجع النقش نفسه.

(خريطة رقم 12) حملات (كرب إل وتر) ملك سبأ على الأراضي الأوسانية (القرن السابع قبل الميلاد)

(أ) الحملة الأولى: شنت على بعض المدن في منطقة "المعافر" (الحجريّة حالياً)، الواقعة جنوب غرب اليمن ، فكانت حصيلة القتلى: (٣٠٠٠)، أمّا الأسرى فبلغوا (٨٠٠٠).

(ب) الحملة الثّانية: شنّت على دولة أوسان في عقر مركزها: وادي (مرخة)، فكان عدد القتلى: (١٦٠٠٠)، والأسرى: (٤٠,٠٠٠).

(ج) الحملة الثّالثة: شنّت على كلٍّ من: دهس (يافع) وتبنو (تبن) الواقعتين باتجاه الشّمال والشّمال الشّرقيّ من عدن، فكانت حصيلة القتلى (٣٠٠٠) والأسرى: (٥٠٠٠).

(د) الحملة الرّابعة: شنّت على قبائل أخرى في ذات الأقليم المذكور أعلاه، وكان عدد الضحايا: خمسمائة (٥٠٠) قتيل والف (١٠٠٠) أسير.

(ه) الحملتان الخامسة والسّادسة: شنّتا على مدينة (نشن) "السوداء" في الجوف.

(و) الحملة السّابعة: لم يتضّح لنا بدقّة إلى أين كان توجّهها، وفي أغلب الظّن توجّهت نحو تهامة، أو إلى منطقة أخرى واقعة على ساحل البحر الأحمر.

(ز) الحملة الثامنة: شنّت على مناطق وقبائل مجهولة، لم تتبيّن لنا معرفتها من النّقش، إلاّ أنّ النّقش ذاته، يذكر لنا أن السبأيّين تمكّنوا من القضاء على ملوك تلك المناطق والقبائل، فقتلوا (٣٠٠٠) إنسان، وأسروا (٥٠٠٠) آخرين، واستولوا على (١٥٠,٠٠٠) رأس من البهائم، ثمّ توجهوا بعد ذلك إلى ضرب قبائل (مهأمر) في نجران وقبائل (أمير) الواقعة أرضهم بين نجران والجوف، فأمعنوا في التنكيل بهم جميعاً، حتى قتلوا (٥٠٠٠) إنسان، وأسروا (١٢,٠٠٠) آخرين منهم. أمّا ما غنموه من المواشي فكان (٢٠,٠٠٠) رأس.

ويبدو لنا من إحصاء القتلى والأسرى في عددهم الإجماليّ النّاجم عن كل هذه الحملات: أنّ هناك نوعاً من المبالغة في وضع هذه الأرقام، كما نزعم ولهذا لابدّ من الاحتراس عند التّأمل فيها، اذ ينبغي لنا ان نتعامل معها بشيء من التّرويّ والحذر.

ولم يكتف مدوّن النّقش بإبراز أعداد القتلى والأسرى من البشر، وإنّما مضى يشرح لنا -أيضاً - ما يلي:-

١- كيف أمعن السبأيّون في تهديم الأسوار، وإحراق المدن والعواصم وكيف راح مكربهم (كرب إل وتر) يقضي على خصومه من ملوك الدّول الاخرى المتحالفة ضدّه، وزعماء القبائل المناوئه له. فقد ذكر في النّقش عينه -من ضمن ما ذكر- دولة أوسان، وعاصمتها (مسور)، وملكها (مرتع)، والمدن الخاضعة لها، والقبائل الحليفة لها[1].

٢- كيف عامل (كرب إل) أسرى الحرب معاملة مهينة وقاسية إذ جعلهم عبيداً للسبأيّين، ناهيك أنه صيّر مدناً بكاملها لصالحه الخاصّ، حينما استولى عليها استيلاءً كاملاً، على سبيل المثال كما حصل ذلك مع (كحد) وأهلها، وذاك هو ما أخبرنا به النّقش نصاً في عبارته التّالية:

"انه اقتنى كل قسط كحد أحراراً، وعبيداً، واولادهم واموالهم، ورجالهم ملكاً خاصّاً لاله المقة وسبأ...".

ومما يبدو لنا من النّقش -كذلك- أن حضرموت وقتبان كانتا قد تحالفتا مع سبأ في هذه الحروب الطاحنة المدمّرة.

ثالثاً: تطوّرات الأحداث بعد انتصار السبأيّين على الأوسانيّين:

وهنا يبرز لنا سؤال: ما الّذي حدث عقب انتصار السبأيّين وحليفتهم حضرموت، وقتبان على أوسان وحلفائها؟ وكيف سارت الأحداث في تطورها تباعاً فيما بعد؟.

أقول: إنّه بعد أن تحقق للسبأيّين -بقيادة (كرب ال)- انتصارات مظفرة على الأوسانيّين، جرت الأحداث في تسلسلها التّأريخي وتطوّرها على النحو الآتي:-

---

[1]) بافقيه : تاريخ اليمن - ص ٦٠ - ٧٠ .

اولا: كافأ المكرب السبأيّ (كرب إل وتر) دولتي: حضرموت وقتبان على تحالفهما معه، بأن أعاد إلى كلّ منهما أراضيها التي كانت أوسان قد سلبتها منها. وهذا هو ما وثّقه النّقش حيث ينص قائلاً: "... وأعاد للإله (سين)" – إله حضرموت الأكبر"- و(حول)- وهو معبود حضرمي أيضاً- و(يدع إل) "ملك حضرموت" -وحضرموت ومناطقها التي كانت تحت سيطرة الأوسانيّين، وأعاد مناطق (عمّ) و (أنباي)- آلهه قتبان -و (ورو إل)- "ملك قتبان" -وقتبان؛ أراضيها التي كانت تحت سيطرة الأوسانيّين، لأن (أهل) حضرموت وقتبان آخوا (يعني: تحالفوا مع) المقّه، كرب إل وسبأ...

ثانياً: راحت "قتبان" -بعد ذلك- تتحرّر نهائياً من التّحالف مع السبأيّين حيثما برز من بين صفوفها "ملوك يحكمونها، وذلك في الفترة ما بين ٣٠٠-١٥٠ ق.م تقريباً، وكان أولئك الملوك يلقّبون بـ (اولاد الإله عمّ) [RES 3675] وفي أحايين أخرى -ويبدو أنّها متأخّرة- كانوا يلقبّون بـ (ملوك قتبان، وكل اولاد عمّ، وأوسان، وكحد، ودهسم "ويافع" وتنبو "تبن").

ويبدو واضحاً من طول هذا اللقب الأخير -نتيجة لتعدد الاسماء فيه- أنّ قتبان قد آلت إليها أراضي أوسان برمّتها، فكانت منذ ذلك التّأريخ هي أوّل من ورث الأقاليم الأوسانيّة بُعيد تخلخل دولة الأوسانيّين حينذاك (أنظر خريطة رقم ١١).

رابعاً: أوسان تستعيد نشاطها:

من العجيب في أمر (أوسان) أنها نهضت مجدّداً، تستعيد ازدهاره الاقتصاديّ، ونشاطها الحيويّ في ظل عوامل غامضة، وظروف غير معروفة ولعلّ ذلك النّهوض المفاجئ قد وقع خلال الفترة التي أصيبت فيها السّلطة المركزيّة لدولة قتبان بالضّعف والخور، وذلك -تقريباً- بين القرنين: الثّالث والثّاني قبل الميلاد، حينما ظهر ملوك أوسانيّون يسبغون على أنفسهم قدسيّة إلاهيّة، وبالتّالي

---

[١]) نقش النصر [RES 3945]

راح المحيطون بالسّلطة والعرش من أهل الحلّ والعقد -تباعاً- يضفون على الواحد من اولئك الملوك لقب: (ابن الإله)، ولهذا انطلق الناس من رعاياهم للتوّ يتقرّبون إليهم بالهدايا والقرابين ومن ثمّ كان لهؤلاء الملوك -الملقّبين بأبناء الإله- تماثيل لتخليدهم فكان ممّا بقي من تلك التّماثيل -وعثر عليها- ثلاثة هي:

(١) تمثال الملك (يصدق إل فرعم شرح عثّ).

(٢) تمثال ثان لابنه الملك (معد إل سلحن بن يصدق إل فرعم).

(٣) تمثال آخر لحفيده ابن الملك (معد إل)[١].

وقد عثر على هذه التّماثيل الثّلاثة في موضع فسيح، يبدو انه كان -في أغلب الظّن والتّرجيح- مقبرة للأوسانيّين.

ولمّا كانت أماكن العثور على هذه التّماثيل متفرّقة متباعدة عن بعضها الآخر، فقد جرى تجميع تلك القطع فرادى ولهذا لم يعرف -بالضبط- موقع المقبرة من ذلك الموضع الفسيح تحديداً.

ومن الطّريف أن يلاحظ المرء -من خلال التصميمات الفنيّة لتلك التّماثيل- لمسات وملامح الفن الهلنستي بوضوح على ما كان يرتديه الملوك الأوسانيّون من ملابس ارستقراطيّة خاصّة بهم، وعلى تسريحة شعرهم أيضاً[٢].

وغير اولئك الملوك -أصحاب التماثيل الثّلاثة- المذكورة أسماؤهم آنفاً: هناك ذكر لأسماء ملوك أوسانيّين آخرين غير معروفين لدينا تماماً حتى الآن لأننا لم نعثر على نصوص نقشيّة توثّق لنا شيئاً من أعمالهم، أو توضّح جوانب من آثارهم.

ومهما يكن من أمر ملوك أوسان جميعاً؛ فإن تأريخ أقدمهم -وفقاً لما ذهب

---

[١] - Pirenne . J : " Le cimetière royal de Awsān . L'histoir du Wusr " , dans (Raydān , Vol 4, 1981 , pp . 204-240 .

[٢] - Pirenne .J : " Corpus des inscriptions et antiquités sud - arabes " , tome (II , (Le Musée d' Aden) Louvain 1986 , pp . 305-316 .
ويمكن لنا مشاهدة هذه التماثيل وهي معروضة -حاليا- في متحف (عدن).

إليه (فلبي Philby)– يعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد[1]، بينما الباحثة (جاكلين بيرن J. Pirenne) ترجّع ذلك التّاريخ إلى القرن الأول قبل الميلاد[2].

خامساً: نشاط أوسان الإقتصاديّ:

لقد كان لطبيعة أوسان الجغرافيّة شأن عظيم في إنتعاشها الاقتصاديّ، وازدهارها الحضاريّ، وذلك بسبب ما هيّأته لها هذه الظروف الطبيعيّة من أرض خصبة، وموقع استراتيجيّ حسّاس، جعلها تسيّطر على جملة من الطّرق التجاريّة في المنطقة برّاً وبحراً. فكان لابدّ لها أن تنشط في شؤون الاقتصاد، وعالم التّجارة القديم، فامتد نشاطها التجاريّ بعيداً عنها حتّى وصل إلى سواحل إفريقيا وذلك صاحب كتاب (الطواف حول البحر الارتيريّ) حيثما يتحدث في كتابه هذا عن الساحل الافريقيّ، نجده يطلق عليه اسم "السّاحل الأوسانيّ"[3] وهذا يدلّ دلالة قاطعة على عمق الرّوابط، وأواصر الصلات، وقوة التأثير المتبادل بين جنوب شبه الجزيرة العربيّة وشرق افريقيا.

ولم يكن ازدهار أوسان منحصراً في مجال التّجارة، وإنّما كان ازدهارها عظيماً في مجال الزراعة أيضاً. وكان هذا أمراً بديهياً في واقع طبيعيّ محظوظ كواقعها، طالما كانت رقعتها الجغرافيّة حاوية على مساحات زراعيّة شاسعة؛ ممتّدة المسافات، وذات تربة خصبة، وأودية غنيّة بالمياه المتدفقة ... وذلك كلّه قد أنبأنا به ما كشف عنه من آثار منشأت الرّيّ المختلفة في مواقع شتّى من أراضيها؛ سواء أكانت آثار قنوات ام سدودٍ، أم أراضٍ مغطاة بالغرين الزراعيّ لمساحات واسعة، أم غير ذلك.

---

[1] - Philby , H.J.B : The Background --- p. 82-86 .

[2] - Pirenne . J : " La Statuette d'un roi de ' Awsān et l' hellenisations dans La statuaire sud - arabe " (note d'archéologie sud-arab , II) dans SYRIA , XXXVIII , 1961 , p.284-301 .

[3] Periplus . . .op . - cit , sec 14 .

ففي بعض الأراضي الأوسانيّة كان يزرع المرّ، وأثناء تجوالها في الأراضي الأوسانيّة شاهدت (جاكلين يبرن) شجيرات المرّ على جبل واقع على طريق ينحدر من منطقة (الجنادل) باتجاه وادي (خورة)، كما وجدت شجيرات المر في مناطق تربط بين وادي (مرخة) و (نصاب)[١].

وما يؤكد –القرائن الماديّة التى قدّمتها (بيرن)– بخصوص نمو اشجار المر في الأراضي الأوسانيّة –تلك الأسماء التي اطلقها الكلاسيكيّون ومنهم (بليني)، فقد ذكر أنواعا من المرّ هي: المرّ المعينيّ، و المرّ الحضرميّ، والمرّ الأوساريتيّ[٢]، فمنهم من رأى أن كلمة (الأوساريتي) تحريف (للأوسانيّ)، الا أنّ الواقع غير ذلك، فأوساريت كما ترى (جاكلين بيرن) جاءت من كلمة (وسر) و (وسر) اسم منطقة معروفة من مناطق أوسان جاء ذكرها في نقش النّصر وليس بغريب أن يطلق على سكانها (الأوساريت)[٣].

وحول الموقع الجغرافيّ لهذه المنطقة يشير (فان وايزمن) إلى ان (وسر) إقليم جغرافيّ واقع بين وادي (عبدان)، ووادي (ضراء)، ووادي (حجر)، ووادي (الغيل) إلى أن ينتهي بوادي (مرخة) باتجاه وادي (همت) أحد الفروع الشّماليّة لوادي مرخة[٤]. (انظر خريطة ١٣).

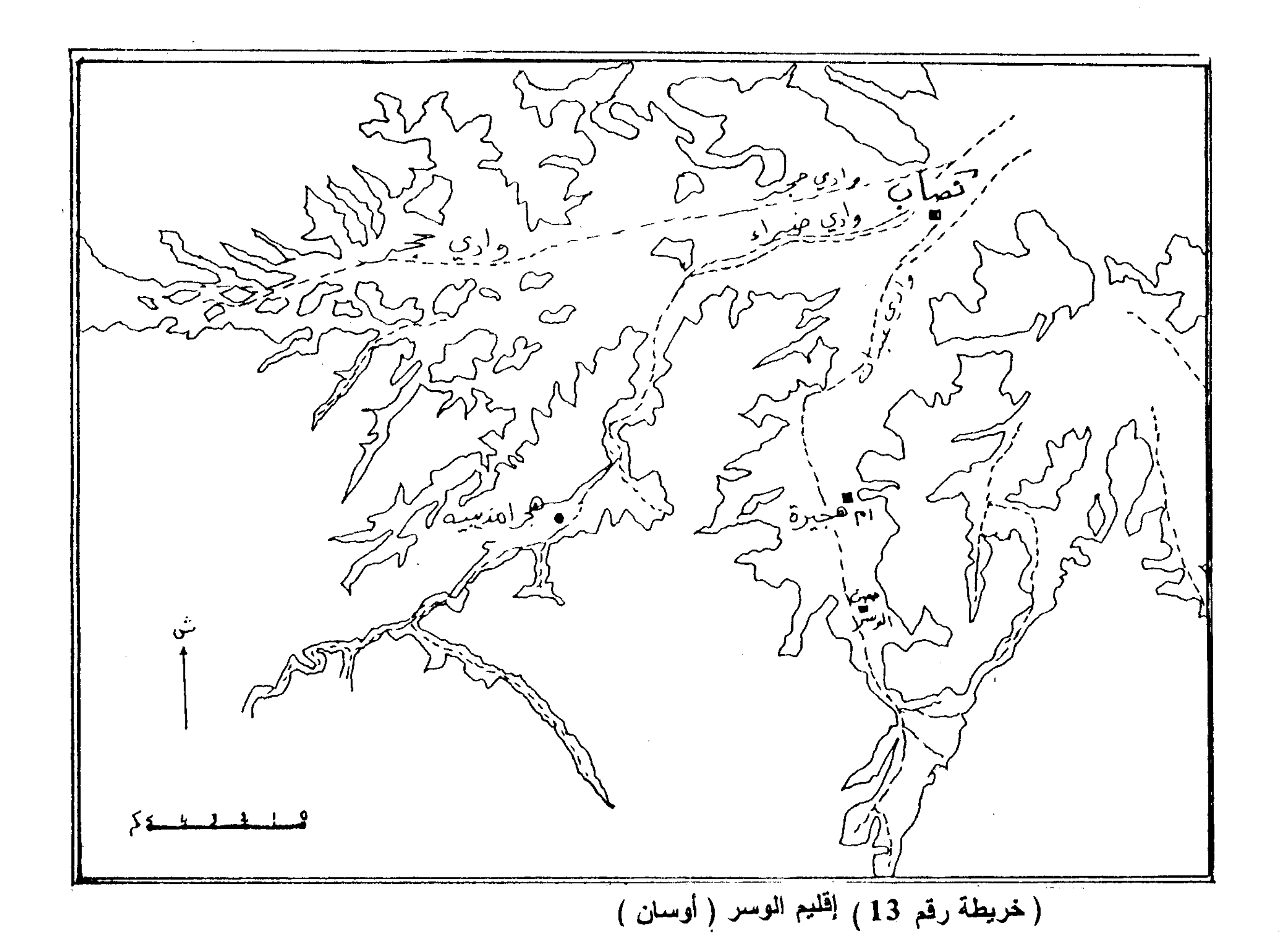
أمّا (بيستون) فيرى أنّ (وسر) إقليم مركزه (نصاب)[٥]، وهذا ما نتفق معه، (فنصاب) إذاً عاصمة ذلك الإقليم الزراعيّ.

سادساً: نهاية دولة أوسان سياسيّاً.

أختلف الباحثان (فلبي Philpy) و (جاكلين بيرن J. Pirenne) في تحديد

---

١) - Pirenne .J : Prospéction historique . . . p . 222
٢) - Groom . N : op . - cit . p. 241 .
٣) Pirenne : Prospéction historique . . . p 222 .
٤) - Von . Wissmann : Beitrage .. p.ss .
٥) - Beeston. A. F.L : " Pliny's Gebbanitae " , dans , Proseeding of the Seminar for Arabian Studies . Sept . 1971 . London . 1972 . p . 7 .



(خريطة رقم 13) إقليم الوسر (أوسان)

الفترة الزّمنيّة لانتهاء دولة (أوسان) سياسيّاً، فبينما راح (فلبي) يفترض النهاية السّياسيّة للدولة الاوسانيّة في أواخر القرن الثّاني قبل الميلاد، راحت (جاكلين بيرن) تفترض بقاء تلك الدولة، واستمرارها -ككيان سياسيّ- إلى قبيل ميلاد سيّدنا يسوع عليه السلام. وفي الوقت ذاته نصادف مصدراً آخر من النّقوش، متأخراً عمّا قبله زمنياً، بحيث كان تدوينه في عهد الملكين: (سعد شمس أسرع) وابنه (مرثد يهحمد) ملكي "سبأ وذي ريدان" ابني (إلي شرح يحضب) (القرن الثاني الميلادي تقريباً). فهذا يوثّق لنا أخبار المعارك التي دارت رحاها بين هذين الملكين من جهة. وكلّ من حضرموت، وقتبان، و (ذي معاهر)، (خولان)، (ذي هصبح) (مضحيم) (اوسان) من جهة أخرى، فكان أن أشار النّقش لدخول اوسان طرفاً في ذلك الصراع[1].

وعلى هذا يتّضح لنا من النّقش عينه أن (أوسان) منذ القرن الثالث الميلاديّ لم تعد دولة ذات كيان سياسيّ مستقلّ، كما كانت عليه من قبل، في القرون الغابرة، وأزمانها الأثلية، وإنّما آلت -عندئذ- إلى أن تكون مجرد قبيلة من القبائل الخاضعة لنفوذ الملوك القتبانيّين، أو الدّائرة في فلك دولتهم ليس غير.

وفي نهاية المطاف أنضوت أوسان "القبيلة" تحت سيطرة الحميريّين، ومن ثمّ خلصت السيطرة عليها تماماً إلى دولة سبأ وذي ريدان.

وممّا يعزز هاتين الحقيقتين على وجه اليقين: ما عثر من توقيعات للحميريّين محفورة على صخورها، فهناك نقش [Ry 525]، عثر عليه في موقع (هجر أمناب) على وادي "مرخه"، ويعود تأريخه إلى القرن الخامس الميلاديّ يؤكد هذه الظاهرة اذ هو يحمل اسم كاتبه واسم (ذي ريدان).

ولقد ظل اسم قبيلة (أوسان) شائعاً ومعروفاً لردح طويل من الزّمن امتدّ إلى عصور الخلافة الإسلاميّة وعهد بني العباس، وبالذات في القرن الرّابع الهجريّ، (العاشر الميلاديّ) فنرى -حينذاك- أبا الحسن الهمدانيّ يشير إلى أستاذ له كان يدعى (محمداً بن أحمد الأوساني)[2].

---

[1]) أنظر النقش [Ja 629 / 30]

[2]) الهمداني: الاكليل، جـ ٢، ص ٥ ، ١٠٩، ٣٩٣، أنظر ايضا:
AL- Garow Asmahan : Les antiquités ... p . 60 .

وهاكم نشوان بن سعيد الحميريّ -وهو من علماء وشعراء القرن السّادس الهجريّ، (الثاني عشر الميلاديّ)، يذكر "أوسان" في قصيدته الجيميّة، فيقول:

أم أين ذو أوسان، أو ذو مأذنٍ

أم أين ذو التّيجان والابراج*

سابعاً: آثار - أوسان:

(أ)- العاصمة الأوسانيّة:

أين تقع العاصمة التجاريّة لأوسان؟ سؤال حيّر كثيراً من الباحثين! خاصة وإن العاصمة السياسية التي جاء ذكرها في نقش النّصر (مسور) قد تهدّمت أثناء الهجوم العنيف الذي شنه الملك السبأيّ (كرب إل وتر) في القرن السابع ق.م، وقد تمكّن علماء الآثار من تحديد موقع (مسور)، من خلال اكتشافهم بقايا آثار القصر الملكيّ في الموقع عينه.

اذاً ما العاصمة التجاريّة التي حلّت محلها بعد ذلك؟ اختلف الباحثون في حقيقة موقعها الجغرافيّ، بيد أنّ هناك العديد من المدن الأوسانيّة الغنيّة بآثارها، الكبيرة بمساحتها فهل كانت العاصمة التجاريّة لأوسان هي (هجر أمناب) ؟ أم (ذات الجار) ؟ أم (هجر بوزيد)؟، فجميع هذه المدن واقعة على وادي (مرخة) إلاّ أنّ (جاكلين بيرن J. Pirenne) لاترى أيّاً من هذه المواقع الثلاثة قد كان موضعاً لعاصمة أوسان التجاريّة، وإنّما استقر رأيها على موضع آخر، واقع على أطراف الصحراء، عند مدخل وادي (مرخة) ذلكم هو (هجريهر)، أمّا السبب الذي جعلها تعتقد ذلك، هو ماهناك من تشابه كبير بين هذا الموضع وموضع (شبوة)، من الناحية الطوبوغرافيّة، لأن كلا هذين الموضعين واقعان على طريق القوافل الآتية من مختلف الجهات والأصقاع. وهذا الأمر جعلها تستنتج -بالتالي- أنّ المرّ كان يأتي من إقليم (وسر) إلى (هجر يهر) عبر القوافل، وليس عن طريق (نصاب) الجبليّة

*) القصيدة من (بحر الرّجز).

والبعيدة، ممّا يدلنّا على إنّ القوافل كانت تنطلق من (شبوة) مروراً بـ (هجر يهر) فجبل (النسين)[1]... (أنظر خريطة رقم ١٤).

(ب)- معبد أوسان:

لم يتوفق علماء الآثار حتى الآن من العثور على موقع المعبد الرئيس للأوسانيّين، فكل ما نعرفه عن هذا المعبد هو اسمه (نعمن) الذي تكرر ذكره في عدد من النصوص النّقشية الأوسانيّة ففي نقش [RES 4971]، يتوسل الملك الأوسانيّ للإله المقدّس في معبده (نعمن)، ويذكر النقش [RES 3903] إنّ ملك أوسان (يهصدق) أهدى للإله تمثالاً من الذهب في معبده (نعمن)، وجدير ذكره إنّ النّقوش الأوسانيّة التي يعود تاريخها إلى القرن الثّالث -الثّاني ق.م، تذكر الإله (ود) كإله للأوسانيّين، وهذا ما يجعلنا نبحث عن الروابط والصلات الدينيّة بين أوسان ومعين التي قدّست الإله (ود) كإله وطني للدولة، ونميل إلى القول بشيء من الحذر، بأن تلك الروابط الدينيّة ما هي إلاّ نتاج لعلاقات اقتصاديّة وثيقة، فإذا كانت بعض الأقاليم الأوسانيّة، تنتج المرّ فالمعينيّون كانوا يقومون بنقل تلك السلعة إلى العالم الخارجي، بدليل ما اسماه (بليني) "المرّ المعينيّ". فليس بغريب أن يكون المعينيّون قد أسّسوا لهم مستوطنات ثابتة في الأراضي الأوسانيّة منذ القرن الثّالث ق.م.

(ج) – المقبرة الملكيّة:

لم نعرف حتّى الآن موقع المقبرة بشكل دقيق، إلا أنّنا لا نستبعد وجودها على مقربة من المعبد كما هو حاصل في عواصم الممالك اليمنيّة القديمة الأخرى، حيث كانت المقابر لا تبعد أكثر من كيلومترين عن تلك العواصم عموماً.

وتذهب (جاكلين بيرن) إلى أنه من المحتمل أن موضع المقبرة كان في موقع (خزينة الدّرب)، وهي منطقة غنيّة بأحجارها القديمة، التي ما برح الأهالي يستخدمونها في بناء منازل وبيوت حديثة لهم، وهناك آثار جدران، ومبانٍ كثيرة، وكميّة كبيرة من الفخار، وآثار منشآت مبنيّة من الأحجار الكبيرة، وقنوات متنوعة...[2].

---

(١) - Pirenne . J : Prospéction historique ... p. 236 .

(٢) Ibid , p . 242 .

(خريطة رقم 14) دولة أوسان

(د) مواقع أثريّة أخرى:

على ضوء التنقيبات التي قامت بها (جاكلين بيرن) عام ١٩٨٠، في نطاق دولة أوسان تمكّنت من العثور على خمسة عشر موقعاً أثرياً جديداً في الأودية المختلفة لدولة أوسان: كوادي (حجر)، ووادي (خورة)، ووادي (مرخة) ووادي (ضراء)[١]. كما عثرت على مجموعة من النّقوش القديمة، كشفت النقاب عن جوانب غامضة من تاريخ الدولة الأوسانيّة.

(١) وادي حجر*

يعتبر وادي (حجر) أهمّ الأوديّة في دولة (أوسان)، يتموضع بين (نصاب) ووادي (خورة). يختلف وادي (حجر) عن الأودية الأوسانيّة المعروفة (مرخة) و (خورة) من حيث الطبيعة، فطبيعة وادي (حجر) صخريّة، إذ عثر فيه على تلين صغيرين مغطيين ببقايا من الأحجار القديمة، إلى جانب ذلك نجد على الطرف الجنوبيّ من الوادي بئراً قديمة يطلق عليها (بئر العوجة)، وأمّا في الطرف الشماليّ من الوادي فيمكن مشاهدة عدد من المواقع الأثريّة كموقع (هجر الرميحه) و (هجر فتيح)... جميعها لم تكن معروفة من قبل، هذا إذا استثنينا موقع (الجنادل).

موقع الجنادل: أهم المواقع الأثريّة التي تتموضع على وادٍ يحمل نفس الاسم وهو عبارة عن تلّ كبير، يقع عند نقطة إلتقاء وادي الجنادل بوادي (حجر)، حيث تشاهد منشآت ريّ عند الصعود إلى وادي (الجنادل) وفيها آثار كثيرة للطمي الزراعي ما برح ماثلاً للعيان حتّى اليوم.

ومن السدود الباقية على الجزء الجنوبيّ لوادي (حجر) حيث يتم التقاؤه بوادي (الجنادل): سد (أم رحمة) المبني بين تلّين واقعين إلى الشمال من بير (العوجة).

---

١) Ibid , pp . 214 -226 .

*) علينا أن لا نخلط بين وادي حجر الأوساني، ووادي حجر الكبير الذي يصب في البحر العربي، شرق (بير علي).

(٢) وادي خورة:

يوازي وادي (بيحان) ويشابهه من حيث: خصوبته الزّراعيّة وغناؤه بالطّمى الزراعيّ، وقد عثر في وادي (خورة) هذا على خمسة (٥) مواقع أثريّة، امتازت بتطوّرها الحضاريّ الملحوظ[1].

وأهم تلك المواقع:

(أ) خزينة الدّرب.

(ب) مريمة.

(ج) هجر امحسينة.

(د) هجر لملاح.

وفي مجمل تلك المواقع نشاهد العديد من الآثار كمنشآت الريّ، من: سدود، وقنوات، وآثار منشآت معماريّة، إضافة إلى ما هنالك من قطع برونزيّة متنوعة، ويرجح أن القطع الأثريّة التي نسبت إلى التّاجر (كيكي منشرجي) الموجودة في متحف عدن، قد جلبت من تلك المناطق.

(٣) وادي مرخة:

أجمعت المصادر على أنّ هذا الوادي هو مركز الدّولة الأوسانيّة، وفيه قامت عاصمتها القديمة (مسور) على هضبة جبليّة حيث منبع الوادي.

ومن المواقع الأثريّة في هذا الوادي:

(أ) موقع جبل (أجاز).

(ب) هجر الحزم.

(ج) هجر السعدة.

(د) هجر امناب.

(هـ) شعب أصابع الكافر.

وجميع هذه المواقع غنيّة بآثارها الثابتة والمنقولة، وبنقوشها المتنوعة أيضاً.

---

[1] - Pirenne : Prospéction historique .. p . 226 - 230 .

(٤) وادي ضراء:

من الأودية التي ازدهرت في ذلك الإقليم، وهو يقع جنوب غرب (نصاب)، بين وادي (عبدان) ووادي (حجر) ويمتاز هذا الوادي بوفرة ما يحتويه من آثار مختلفة، من قنوات ريّ، ومنشآت ونقوش... الخ

وفي عام١٩٨٥م، قامت البعثة الفرنسيّة بالتنقيب في الوادي عينه، حينها عثرت على كثير من المواقع الأثريّة المنتشرة في نواح شتّى منه، وأهم تلك المواقع هو:

- هجر أمذيبية:

وفي هذا الموقع عثر على جدران للتّحصّن يحتمل أنها كانت أساساً لمبان متّصلة بعضها بعض، كما عثر على مقابر تحتوي على جثث آدميّة مع كثير من المواد الجنائزيّة، مثل: الزّجاج، والعاج، والذهب، والفضة، وهي مزيّنة برسومات جميلة، ودقيقة في فنّها، إذ تبرز تداخل الفنّ اليمنيّ المحليّ بالفنون العالميّة الأخرى يرجع تأريخها إلى ما بين القرن الثاني والقرن الخامس للميلاد تقريباً[1].

---

[1] - Breton . J . F : " Wadi Ḍurā" . Rapport de la mission française an Yémen(- Aden . 1985 . انظر أيضا

- Breton . J.F. et Audouin R: "Au Yémen important decouverte des archeologues français " . dans . Historama No : 32 - October . 1986 .

الفصل الخامس
دولة معين

أولاً: الموقع الجغرافي.
ثانياً: أيهما أقدم معين أم سبأ؟
ثالثاً: التّكوين السياسيّ لمعين.
رابعاً : النّشاط الإقتصاديّ:
خامساً: النهاية السياسيّة لمعين.
سادساً: آثار معين.

الفصل الخامس

دولة معين

أولاً: الموقع الجغرافي

يقول الهمدانيّ: "ومن محافد اليمن براقش ومعين، وهما بأسفل جوف أرحب وأذا ذكرنا (معيناً) فإننا نذكر ما بالجوف من الآثار والمعمور...."[١].

من قول الهمدانيّ هذا نستنتج بوضوح أنّ معيناً ظهرت بوادي (الجوف)، الذي يمتد من الغرب إلى الشرق بطول خمسة (٥) أميال، يحدّه من الغرب المرتفعات الغربيّة التي تصرف إليه مياهها عبر العديد من الأودية، أمّا شرقاً فتواجهنا رمال الرّبع الخالي، وشمالاً تحده سلسلة من الجبال تبدأ بجبل (اللوذ) و(الشعف) شرقاً ومن جبل (برط) غرباً، أمّا جنوباً فتحده سلسلة جبال (يام) و(سليام)[٢] (أنظر خريطة رقم ١٥).

ثانياً: أيهما أقدم معين أم سبأ؟

وكانت معين قد احتلت -منذ عام (١٨٦٩-١٨٧٠م)-، مكانة هامة في صفحات التّاريخ اليمنيّ القديم، كدولة لها حضارتها العريقة، حيث تحدّث عنها الكتّاب الكلاسيكيّون بإسهاب في مؤلفاتهم[٣]. وبعد زيارة (جوزيف هاليفي J.Halevy) لمعين، أكد على أهميّتها وعظمتها من خلال مشاهدة آثارها، وما عثر عليه من

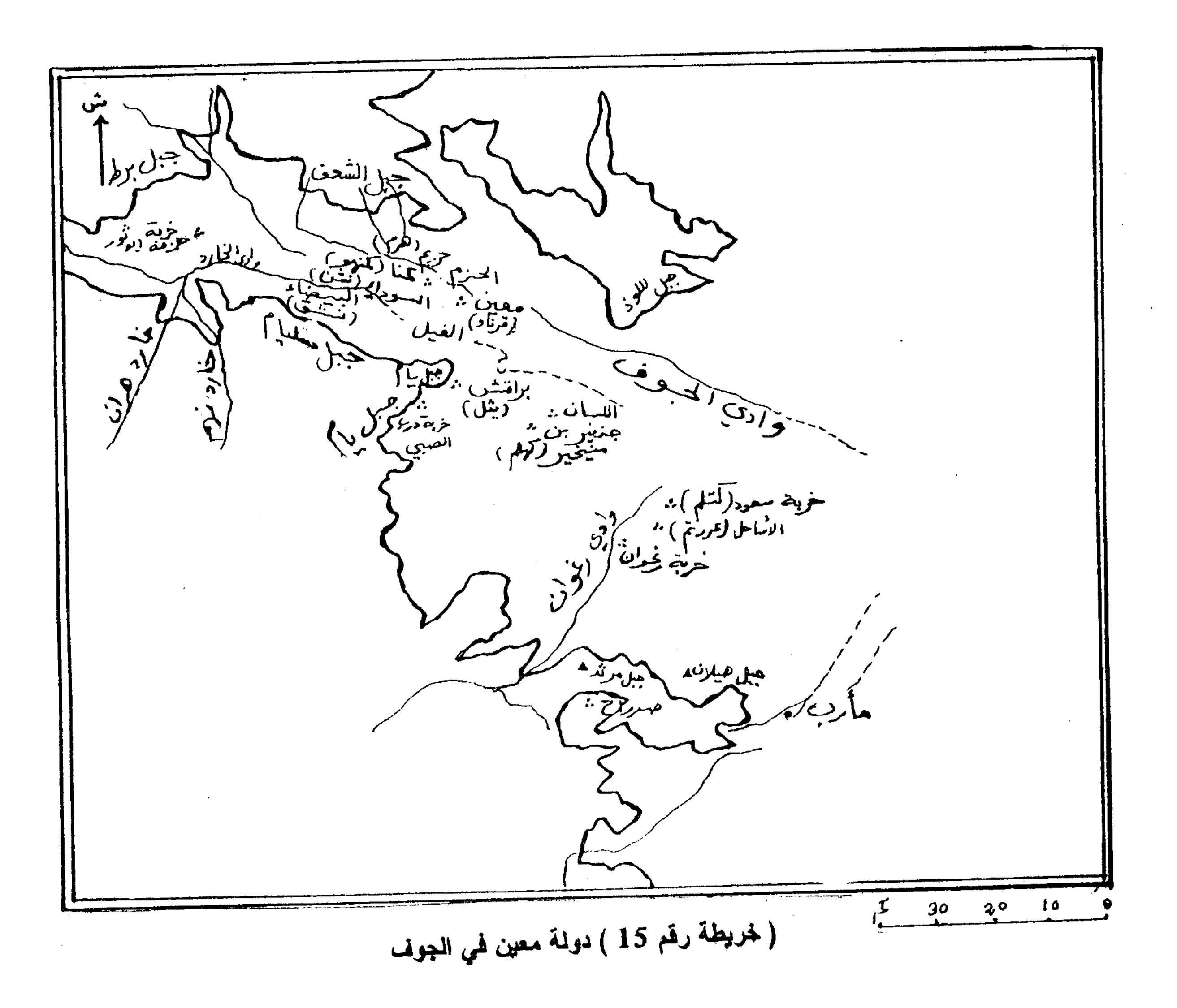
---

[١]) الهمداني: الأكليل، جـ ٨، ص ١٧٥، أنظر أيضا للهمداني: الصفة، ص ٣١٤.

[٢]) محمد توفيق: "آثار معين في جوف اليمن"، نقوش خربة معين، القاهرة ١٩٥٢.

[٣]) (معين) أنظر نقش [RES 2774]

- Pirenne . J : " Le royaume sud-arabe de Qatabān et sa datation d'après l'archéologie et les sourses classiques , Louvain . 1961 , p . 48 .



(خريطة رقم 15) دولة معين في الجوف

نقوش فيها، إلاّ أنّ إغفال المؤرخين العرب لمعين قد جعل العالم النّمساويّ (جلازر Glaser) –في مطلع هذا القرن– يستنتج أن سبب ذلك يعود إلى قدم زمن هذه الدّولة، وتقادم العهد عليها، لذلك كانت (معين)– هي أقدم الممالك اليمنيّة على الإطلاق عند أولئك الباحثين من العلماء، وأكد العالم (فلبي Philby) هذا الرّأي في منتصف هذا القرن، عندما نشر قوائم ملوك معين، وذهب إلى أن القرن الثاني عشر ق.م هو البداية لتاريخ معين، معتمداً على آراء (جلازر Glaser) كثيراً فبقيت (معين) في أذهانهم أقدم الممالك اليمنيّة[1]، إلاَ أنَ النتائج الأثريّة الجديدة غيّرت تلك المفاهيم، فلم تعد (معين) هي أقدم الممالك كما كان يعتقد (جلازر Glaser) ومَنْ شايعه في رأيه وذلك للأسباب التّالية[2]:

(١)عندما وضع (جلازر) فرضيته تلك لم يكن قد تمّ الكشف عن آثار معين وفق أسس علميّة ماديّة ومنهجيّة، وانّما تمّ ذلك على إثر زيارة العالم المصريّ (محمد توفيق) عام١٩٤٢م فكان أوّل من نشر صوراً فوتوغرافيّة عن (الجوف) ونقوشها، ثم جاء (أحمد فخري) عام ١٩٤٧م، فسار على نفس النّهج.

(٢)لقد بيّنت الدّراسات العلميّة لتطور الخطوط اليمنيّة القديمة، أنّ أقدم تلك الخطوط هي التي عثر عليها في (مأرب)، و(صرواح)، وليس في (معين).

(٣)إنّ أقدم النّقوش المكتشفة في (الجوف) كانت قد كتبت باللهجة السبأيّة، وليس المعينيّة، والفرق بين اللهجتين واضح وكبير.

(٤)أجمع الباحثون على أن إتّصالات معين بالعالم الخارجيّ لم تكن لتتمَّ الا في القرنيين الثّالث والثّاني ق.م، وأنّ بروزها وازدهارها كدّولة لم يتمّ إلا في تلك المرحلة.

(٥)لم يكن (لمعين) ذكر في الكتابات الآشوريّة والكلاسيكيّة كما كان لسبأ.

---

[1]) يوسف عبدالله، أوراق جـ ٢، ص ٣٣ – ٣٤.

[2]) المرجع نفسه، ص ٣٥.

(٦)إنّ نقش النصر الذي يعود تأريخه إلى القرن السّابع ق.م، ويمثّل -في الوقت عينه- مصدراً تاريخياً هاماً، لم يذكر معيناً كدولة، وإنّما ذكر مدن من (الجوف) من نحو (نشن)، و (كتلم) و (عرارتم) على أنّها مدن سبأيّة.

فجملة هذه الحقائق العلميّة تلغي نظريّة (جلازر) القائلة بأقدميّة (معين) على غيرها من الدّول اليمنيّة القديمة، وعلى ذلك تظل سبأ هي الدّولة الأوغل قدماً في التّاريخ اليمنيّ.

ثالثاً: التّكوين السياسيّ لمعين.

اختلفت تقديرات الباحثين في تحديد البداية السّياسيّة لدولة معين، كما أشرنا سابقاً، ويبدو أنّ أكثر التّقديرات احتمالاً هو القرن الرابع ق.م[1]، مرحلة شهدت فيها المنطقة تحوّلات جوهريّة في ميزان القوى، فاختفت دويلات وبرزت أخرى، في تلك الظروف الجديدة نجد في الجوف مدينتين تجاريتين هما (يثل) "براقش" حالياً و (قرناو) "معين" حالياً، وكانت هاتان المدينتان قد أخذتا تتوحدان لتصبحان قوة سياسيّة في المنطقة؛ فتمكنتا بعد ذلك من إخضاع مدن الجوف جميعاً لنفوذهما، فشكلتا بذلك دولة جديدة لم يكن لها ذكر من قبل هي دولة (معين)، التي اتخذت من (قرناو) عاصمة لها، ومن أبرز حكام معين الملك (إل يفع يثع) إبن ملك حضرموت (يدع إل)، الذي حكم في فترة الوحدة السياسية التي قامت بين (معين) و(حضرموت). بعد ذلك نجد على عرش (معين) ملوكاً لهم استقلالية سياسيّة، امتازت القابهم بكنيات مثل: صدق (الصادق)، و (العادل)، و (يشور) المستقيم، و (يام) المتعالي... إلخ[2].

وعلى الرّغم من غلبة النّظام الملكيّ كان هناك مجلس يضمّ أعيان الدّولة وكبار موظفيها، كما هو حاصل في الممالك الأخرى، ويسمّى مجلس (مسود) (م س د)،

---

[1]) Albright , W .F : " The Chornology of the Minean Kings of Arabia" , (BASOR), 129 , 1953 , p . 20 .

[2]) جواد علي ، المفصّل - جـ ٢ ، ط (١٩٧٧) ص ١٢٤- ١٢٨ .

بنفس الاسم الذي عرف في (قتبان). وتصف النّقوش ذلك المجلس بأنه (مسد منعن) أي: المجلس المنيع، وكان يجتمع بدعوة من الملك لبحث الأمور الحيويّة والمعيشيّة، أو أمور الحرب، وكان يتناوب رئاسته أسر محدّدة بعينها. أمّا في الأقاليم والمدن الكبيرة، فهناك موظفون تلقّب كلّ منهم بلقب (كبر) أي كبير، أو (وال)، أي (والي)، ويتولى كلّ منهم شؤون منطقته باسم الملك، حيث تتحدّد مهمته في شؤون القضاء، وجباية الضرائب، وفي إقامة المشاريع الإقليميّة[1].

رابعاً : النّشاط الإقتصاديّ:

استفادت معين كثيراً من موقعها الجغرافيّ في الطّرف الشماليّ من اليمن، لتقوم بالاتّصال الخارجيّ مع دول العالم القديم، ولذلك أسهمت في القيام بدور الوسيط التجاريّ، فجلبت المرّ و اللبان من المناطق اليمنيّة المختلفة وبالذات: حضرموت، وجنوب قتبان (الأرض الأوسانيّة)، وكانت تستورد البضائع القادمة من الهند وشرق أفريقيا، ومن ثم تعيد تصديرها إلى الشّرق القديم، ودول البحر المتوسط. ويقول (بليني) عن المعينيّن: "يمر في منطقتهم (يقصد المعينيين) ترانزيت الكندر عبر طريق ضيق، فهم الذين بدأوا التّجارة، وأشهر مَنْ مارسها واتّخذوا نوعاً من البخور، أشتق اسمه من اسمهم وهو البخور المعينيّ"[2].

إذاً –ومن خلال النشاط التّجاريّ– وصل المعينيّون إلى مصر، وفلسطين وبلاد اليونان. وأقاموا مستوطناتهم على المحطات التّجاريّة، لتأمين سلعهم، ومن أهم تلك المستوطنات (ددان) الواقعة في واحة (العلا) شمال يثرب"[3]. وعلى الرّغم من

---

[1]) نفسه ص ١٢١ ، ٢٤٣.

[2]) Pliny : op . - cit , Bk 12 , sec 30 - أنظر ايضاً :

- Groom . N : op. - cit p. 241 .

[3]) ديتلف نيلسن : " تاريخ العلم ونظرة حول المادة " ، الفصل الأوّل من كتاب " التاريخ العربيّ القديم " ، ترجمة . د . فؤاد حسنين علي ، مكتبة النهضة المصريّة ، القاهرة ١٩٩٣م ، ص ٤٢.

أن منطقة (ددان) كانت خاضعة لنفوذ ملك "لحيان" وتحت حمايته، إلاّ أنها كانت تتمتع باستقلالها الذّاتي في إدارة شؤونها، كما كان لها معبدها الخاص. فكان من هذا الموقع أن نشطت الجاليّة المعينيّة واللحيانيّة -التي عثر عليها في تلك المنطقة- كان ذلك في أواخر القرن الثالث ق.م تقريباً[1].

وتعامل التّجار المعينيّون -كذلك- مع العواصم المصريّة، فأستقرّ بعضهم فيها، وخير دليل على الاتصال التّجاريّ وجود قبر خاص لتاجر معينيّ عثر عليه في منطقة (سقارة) المصريّة -الواقعة على بعد (٢٧) كم جنوب القاهرة- يحمل نقشاً مدوناً بخطّ المسند [RES 3427]، يعود تاريخه إلى القرن الثالث ق.م، في هذا النقش ذكر اسم ذلك التاجر المعينيّ وهو (زيد إل بن زيد) وسبب مجيئه إلى مصر ينص على أنّه كان يستورد الطيب للمعابد المصريّة في عهد الملك بطليموس بن بطليموس، عام ٢٦٤ ق.م، ويذكر أنّه دفن في قبر شيّد على نفقة معابد الآلهة، تقديراً لما قام به من خدمات جليلة وإمعاناً في التقدير والاحترام منحه الكهنة لقب (الكاهن المطهّر)، وأعدّوا له جنازة وفقاً للطّقوس (الأوزيروسيّة)[2].

كما عثر على نقش معينيّ في جزيرة (ديلوس Delos)* اليونانية، يعود تأريخه إلى النصف الأخير من القرن الثاني ق.م، تقريباً، وفيه ذكر صريح للإله المعينيّ (ود)، يذكر صاحب النقش أنّه (نصب مذبح، ودم، وآلهة معين بـ (دلت) أي: (ديلوس). واختتم بكتابة يونانية ورد فيها اسم الإله المعينيّ (ود) أيضاً [RES 3570][3].

---

[1]) عبدالعزيز صالح: المرجع السابق... ص٩٣.

[2]) عبدالحليم نورالدين: "مقدمة في الآثار اليمنيّة"، منشورات جامعة صنعاء، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م، ص ١٩٠. أنظر أيضا: بافقيه، محمد عبدالقادر، والفريد بيستون، وكريستيان روبان، ومحمود الغول: مختارات من النقوش اليمنيّة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس (١٩٨٥)، ص ٢٩٣-٢٩٤.

*) تقع جزيرة ديلوس في بحر إيجه الواقع شرق شبه جزيرة بلاد اليونان، (شبه جزيرة البيلوبونيز)، تعد (ديلوس) من أهم الموانئ الحرة التي نشطت بعد سقوط ميناء (كورنثا) عام١٤٦ق.م. المذبح الذي يوجد عليه النقش المعيني، موجود حاليا بمتحف هذه الجزيرة.

[3]) بافقيه وآخرون: مختارات، ٢٩٦.

وإلى جانب التّجارة، أبدع المعينيّون في الزراعة، من خلال استغلال كل رقعة زراعيّة في أراضيهم الواسعة، بإقامة المشاريع الإروائية، ممّا سمح لها بانتاج الغلات المتنوعة التي تلبّي حاجة المدينة، وكانت مياه وادي الخارد غرب الجوف، كافية لتروي مساحات زراعيّة واسعة. وقد وصف (بليني) أراضي معين الخصبة؛ فقال: "إنّها تنتج المحاصيل المتنوّعة، بما فيها محاصيل، وثمار، وأشجار النّخيل، والعنب". وتحدّث باستفاضة عن ثروتها الحيوانية، فذكر أعداد الماشية التي كانت متوافرة فيها، ومن ذلك نستنتج مدى الثراء الاقتصادي الكبير الذي وصلت إليه معين في القرون الأخيرة من الألف الأول ق.م[1].

خامساً: النهاية السياسيّة لمعين:

استمرت معين في ازدهارها الاقتصاديّ حتّى القرن الأوّل ق.م. وبازدياد نفوذ وقوّة دولة الأنباط فقد المعينيّون مستوطناتهم الشّماليّة وخاصة مستوطنة (ددان) التي كانت من أهمّ مراكزهم، كما أنّ اكتشاف البطالمة سرّ اتجاهات الرّياح في البحر الأحمر، كان دافعاً لانتعاش الملاحة البحريّة، فانعكس ذلك الانتعاش البحريّ سلباً على الطّريق البريّ، ممّا سبّب لمعين الوهن الشديد فلم تعد تقوى على صد هجمات الطامعين فيها. ولم ينته القرن الأوّل ق.م. إلاّ ونجد (معيناً) وكلّ مدن ومناطق الجوف قد راحت تنطوي تحت لواء الدّولة السبأيّة من جديد فعند مجيء الحملة الرومانيّة إلى اليمن سنة ٢٤ ق.م. لم يكن لمعين وجود كدولة، خاصّة وأنّ مؤرّخ الحملة (سترابو) لم يورد ذكرها كدّولة، ممّا يوحي بأنّها فقدت استقلالها في ذلك الحين، غير أنّه ذكر المعينيّن كشعب ذي كثافة سكانيّة عالية[2].

وتجب الإشارة إلى أنّ الانهيار السياسيّ لمعين لم يؤد إلى وقف نشاطها التجاريّ نهائياً؛ بل ظلّ المعينيّون يقومون بمختلف أنشطتهم تحت رعاية الدّولة السّبأيّة.

---

[1]) - Groom . N : op . - cit , p. 80 - 88

[2]) Ibid.

سادساً: آثار معين:

إذا استثنينا موقعي (خربة سعود) و (براقش)، فإنّ المواقع الأثريّة الهامّة في (الجوف) كما يبدو من الخريطة تقع في وسط منخفض، يمتد من الشرق إلى الغـرب على خطّ مستقيم تقريباً، وهذه الخرائب هي:

(١) قرناو (معين حالياً):

تقع خرائب (قرناو) العاصمة المعينيّة على بعد سبعة (٧) كم تقريباً من مدينة (الحزم) شرق الجوف، في منتصف المسافة بين جبلي (اللّوذ) و (يام) عند الفتحة المؤدّية إلى رمال الربع الخالي في الشرق.

شيّدت المدينة المحصنّة على حافة مرتفعة، لا يقلّ ارتفاعها عن عشرة (١٠) أمتار فوق الوادي المحيط بها. وهي مستطيلة الشّكل، يبلغ طولها (٣٥٠) متراً تقريباً، وعرضها (٢٥٠) متراً تقريباً، تمتدّ من الشرق إلى الغرب، لها حصن مسوّر، ومدخلان: مدخل شرقيّ مواجه للصّحراء، ومدخل غربيّ، ولهما برجان مرتفعان على جانبي المدخل مازالت بقاياهما قائمة حتّى الآن[1][*].

والمدخل الغربيّ يتميّز بإتقان عمارته، ناهيك عن النّقوش التي تغطي حيطانه الدّاخليّة والخارجيّة، وإلى جانب تلك النّقوش هناك جدران السّور، ونقوش أخرى على مجمل الأعمدة داخل وخارج المدينة، وقد دوّنت تلك النّقوش تاريخ مملكة معين، وما كان لها من مكانة حضاريّة رفيعة، ذات شأن عظيم.

أعطى المعينيّون -كغيرهم من اليمنيّين- لمعابدهم عناية فائقة، فبنوا عدداً كثيراً منها، وكان أهمها معبد الإله (عثتر) الواقع خارج سور المدينة إلى الشّرق منها.

وكان هذا المعبد قد بني بأسلوب هندسيّ رائع، ناهيك عن أنّ جدرانه مزيّنة برسوم وأشكال من الوعول، والماعز والثعابين، والنعام، ورؤوس لحيوانات متنوّعة أخرى، وما إلى ذلك. وكان باستطاعة المرء الوصول إلى المعبد عن طريق بوّابة

---

[1]) محمد توفيق: آثار معين.. ص أنظر ايضا هاليفي: تقرير.. ص ١٨٤ -١٨٥.

[*]) زارت البعثة الفرنسية معين عام ١٩٨٦م واشارت إلى أن المدينة الأثرية مهجورة:
Robin :" L'études sud - arabique ", Raydan , 4 p. 150 .

ضخمة، تفضي به إلى فناء واسع له، يضمّ بداخله مجموعة من الأعمدة، يصل ارتفاع الواحد منها أربعة (٤) أمتار تقريباً. ويلي هذا الفناء عدد من الرّدهات والحجرات.

أمّا النقوش التي عثر عليها في المعبد، فتشير إلى اسم الإله الذي بني من أجله هذا المعبد وهو "الإله عثتر" [١].

وكان بناء المعابد خارج المدن قاعدة لدى كل الدّول والممالك اليمنيّة القديمة، والسّبب في ذلك أنّ تلك المعابد كانت إتحاديّة، ترتادها مختلف القبائل من المناطق المجاورة لهذة المملكة أو تلك.

(٢) يثل (براقش حالياً)

إنّ أقدم نقش يذكر (يثل)، ويوثّق لنا شيئاً من أخبارها، هو نقش النصر [RES 3945] فهو يحدّثنا بأنّها كانت –في القرن السابع قبل الميلاد– إحدى المدن السبأيّة أوّلاً، وبعد ذلك راحت تنطوي تحت راية دولة معين، في عهد ملكها الذي كان يدعى (عم يثع نبط بن أبكرب) [٢]. [RES 2980].

وعلى أثر ذلك غدت يثل (براقش حالياً) ثاني مدن الدّولة المعينيّة لما كان لها من موقعا استراتيجيّ عظيم الأهميّة والشأن، إذ هي تتوسط الطّريق التّجارية الواقعة بين مأرب ونجران، إلى الشمال الشرقيّ من صنعاء، على بعد (٩٨) كم تقريباً.

وكانت (يثل) قد شيّدت على رأس ربوة ترابيّة، وأحيطت بسور منيع تتخلله أبراج بارزة، مازال الجزء الأكبر من جدار هذا السّور قائماً، ويتضمن عدداً من النّقوش. وهناك أجزاء من الأعمدة داخل المدينة وخارجها، ما برحت ماثلة للعيان.[٣]

---

[١]) أنظر خليل نامي: " نقوش خربة معين"، القاهرة ١٩٥٢ م.

[٢]) أحمد فخري: رحلة أثريّة.. ص ١٦٥ -١٦٦، وهاليفي: تقرير ص ١٨٦.

[٣]) Robin . Ch : " A propos des insciptions in situ de Barāqiš l'antique (Ytl) , dans , (PSAS) , vol 9, 1979 , p. 102-112

أنظر أيضا Robin . Ch : " Trois inscriptions Sabéenes découvertes près de Barāqiš" , PSAS, vol, 17, 1987,p ,165-173 .

أنظر أيضا: هاليفي: تقرير.. ص ١٨٦.

وفي هذه المدينة كثير من المعابد، ولهذا كانت هي المدينة الدّينيّة لمعين، يمكن للمرء أن يلاحظ من بقايا الأبواب، ومن ترتيب الأعمدة المتناثرة بكثرة في كل النّواحي. وفي إحدى ضواحي المدينة (درب الصبي) عثر على معبد معينيّ، كان مكرساً للإله (نكرح)، إضافة إلى مجموعة من النقوش[1].

(٣) هرم (الحزم حاليّاً)

يرى (هاليفي Halevy) أنّ مدينة (هرم) الأثريّة القديمة كانت هي المدينة المعينيّة الثّالثة[2]. وهي اذ تقع على بعد كيلومترين (٢) كم غرب مدينة (الحزم الحديثة)، وتمتد منبسطة على مرتفع طوله (٢٥٠) متراً، وعرضه (١٨٠) متراً حيث تنتشر خرائبها المعروفة باسم (خربة آل علي). ويمكن للمرء أن يشاهد للتّو أنّ هناك أطلالاً من جدران حجريّة تظهر بارزة بين المنازل الحديثة، ناهيك عن أنّ بوابة المدينة لاتزال تحتفظ برونقها، وما برحت في حالة جيدة تماماً[3].

وفي المدينة أيضاً آثار لمعابد شتّى، تتناثر وسط المنازل، راح الأهالي في العصور الحاضرة يطلقون على تلك المعابد –وما إليها– اسم (بنات عاد)، أو (أبنية بني عاد). إلاّ أنّ معبد المدينة الأول والرئيس كان قد شيّد –قديماً– خارج أسوارها، شأنه في هذا شأن المعابد الأخرى في سائر مختلف المدن اليمنيّة القديمة، وحواضر دول اليمن الأثيلة وكان هذا المعبد مخصصاً لعبادة الإله (عثتر) لا غير. وقد ظلت آثاره شامخة لدهور مديدة، فبقيت حتّى عهود متأخرة من الأزمنة القريبة الخالية، لأنّه كان قد بني من كتل جرانيتيّة ضخمة، منقوش عليها مناظر بديعة. أمّا في وقتنا الحاضر فإن جدران المعبد ذاته قد انهدّت وتلاشت ضياعاً وما تبقى من بلاطات الرّخام –التي كانت تغمر تلك الجدران وتزيّنها– فمرمي على الأرض، ومتروك

---

[1] Robin .Ch. Breton .J.F , Ryckmans . J : " Le Sanctuaire de NKRH A (Darb aṣ- Sabī , environ de Barāqiš ,(Raydān) ,5,1988 p . 91-144 .

[2]) هاليفي: تقرير.. ص ١٨٣-١٨٤ .

[3]) أحمد فخري: رحلة أثرية.. ص ١٦٧.

للعراء وأمّا سقف المعبد -وكان قد سبك هو أيضاً من قطع البلاط الرّخاميّة- فقد كان مرفوعاً على أعمدة رباعيّة الشكل، ما برحت معالمها بارزة للعيان![1].

وفي الموقع ذاته اهتدت بعثات التنقيب إلى الكشف عن ملتقطات أثريّة متنوعة، إضافة إلى نقش عظيم الشأن والأهميّة.

٤- كتال (خربة سعود حالياً):

مدينة أثريّة مهدّمة، قائمة، على تلّ يقع على بعد مسيرة ساعة واحدة إلى الشرق من وادي (رغوان)، ومسير يوم واحد إلى الشّمال الشرقيّ من مأرب. ومن جرّاء ما أصابها من تخريب أصبح من الصّعب التّعرّف على ملامح مبانيها الأثريّة، غير أنّ جدران سورها ما برحت قائمة كلها تقريباً، تغطيها الرّمال. إضافة إلى بقايا آثار معبد يضم بداخله بئراً قديمة![2].

٥- كمنهو (كمنا حالياً):

ذهب الهمدانيّ إلى أنّ (كمنا) أحد محافد الجوف: (جوف همدان ومراد)[3]. فهي -إذن- مدينة أثريّة تقع شمال شرق (خربة سعود)، وموقعها يضم خرائب مدينة كبيرة مع بقايا منازل قديمة مُدّمرة، إلاّ أنّ الأحجار المنقوشة -الّتي أشار اليها (هاليفي) عام ١٨٧٠ م- لم يتمكن أحد من العثور عليها[4].

وفي عام ١٩٤٧ م عثر (أحمد فخري) على ثلاثة نقوش[5]، بينما تمكّنت البعثة الفرنسيّة - في عام ١٩٨١ م - من العثور على ثلاثة نقوش أخرى في موضع قريب من (كمنا)، واقع منها شرقاً على بعد كيلومتر واحد تقريباً، إضافة إلى ماكشفت عنه من بقايا وآثار معبد (النصيب)، الذي لم يسبق له البتّه أيّ ذكر من قبل[6].

---

[1]) نفسه، ص ١٦٧ - ١٧٠.

[2]) أحمد فخري: رحلة أثريّة.. ص ١٦٤.

[3]) الهمداني : الإكليل، جـ ٨ ، ص ١٧٥ . والهمداني : الصفة ، ص ٣١٤ .

[4]) هاليفي : تقرير ... ص ١٨٥ .

[5]) أحمد فخري : رحلة أثرية – ص ١٧١ .

[6]) Robin . Ch : études Sud-arabique en Langue française . Raydān 4. 1981 - , p. 150 - 158 .

(٦) نشن (المعروفة حالياً بـ "السوداء")

ورد ذكر لاسم هذا الموضع (نشن) في عدد من النقوش، نذكر من بينها نقش [RES 3945]. أمّا "الحسن الهمداني" فقد حدّثنا عنه في كتابيه (الإكليل) و(صفة جزيرة العرب)، قائلاً "السوداء تقع في جوف (همدان ومراد)، ويسكنها النشقيّون الذين ينتسبون إلى (دومان بن بكيل)[١].

ومهما يكن من شئ، فإن المدينة الأثريّة (نشناً) تقع على بعد مائة كيلومتر إلى الشمال الشرقيّ من صنعاء، وخمسة عشر (١٥ كم) تقريباً إلى الشّمال الغربيّ من مدينة (الحزم) و (٩ كم) إلى الغرب من (كمنهو)، وما برحت هذه المدينة -حتّى الآن- تضم بضعة أعداد من المباني الأثريّة المدنيّة والدينيّة، ومعبداً آخر يقع خارج سورها، إلى الشرق من مدينة (السّوداء) الحديثة[٢].

وعلى الرغم مِنْ المدينة القديمة ذاتها -فيما يذكر (هاليفي)- كانت رائعة وبديعة، فإن النّار كانت سبب دمارها ويرى (هاليفي) ايضاً أنّها -أي المدينة- كانت -دون شك- مركزاً صناعياً عظيماً، لتصنيع المعادن على وجه الخصوص، ذلك لأنه -أعني "هاليفي"- شاهد في موقعها الأثريّ كومة كبيرة من البقايا تغطي أراضيها المحترقة[٣].

ويعد معبد عثتر (ذي رصف) -الذي كان قد بني على بعد كيلومتر واحد إلى الشرق من مدينة السوداء، أبرز آثار المدينة، وأهمها على الاطلاق، وقد غدت بقايا هذا المعبد، تشكّل ركاماً مكدّساً، وفي ثنايا تلك البقايا تنتصب مجموعة من الأعمدة، تنتشر على امتداد مدخل المعبد وأروقته الجانبيّة، وإلى جانبها تبرز كميّات من قطع البلاط، مزخرفة بأشكال نباتيّة، وصور شخصيات آدميّة ، وحيوانات

---

[١]) الهمداني: الاكليل، جـ ٨، ص ١٧٥ - ١٧٨ وانظر كتابه، ايضا الصفة، ٣١٤، والاكليل، جـ١، ص ٢٢.

[٢]) أحمد فخري: رحلة أثرية -- ص ١٧١ - ١٧٢.

[٣]) هاليفي تقرير... ص ١٨٦.

أخرى متنوّعة وكانت هذه القطع البلاطيّة قد استخدمت لتغطية تلك الأعمدة، وتزيينها في آن معاً[1].

وقد عثر في المعبد ذاته على مواد أثريّة مختلفة، هي على نحو ما هو آت:

(أ) كمية كبيرة من الفخار.

(ب) بقايا قرابين ونذور.

(ج) عشرات من المباخر، بعضها يحتوي على نصوص نقشيّة.

(د) تماثيل نذرية[2].

(٧) نشق (البيضاء حالياً)

ذكر "الهمداني" هذا الموضع التاريخيّ في كتابيه المشار إليهما آنفاً فوصفه بأنه "أحد محافد اليمن، يقع في أرض (الجوف ومراد)، ويسكنه النّشقيّون المنتسبون إلى (دومان بن بكيل)"[3].

وعلى أيّة حال، فمدينة (نشق) الأثريّة تقع إلى الغرب من (السوداء)، على مسافة لا تقل عن (١٠ كم)، حيث بناؤها قد قام على وادٍ رملي مستو في انبساطه، واقع شرق وادي (الخارد)، إلى الشّمال الشرقيّ من جبل (سيلان)[4]، وقد ترك لنا الزّمن قسماً كبيراً من جدرانها، ما برح قائماً، وخاصة تلك الجدران الماثلة في الجهتين: الشرقيّة، والجنوبيّة الشرقيّة من المدينة ذاتها، إضافة إلى ما تبقى فيها من آثار لبقايا قلعة كبيرة، يبلغ قطرها (٣٠٠) متر تقريباً! وفي طي هذه البقايا عثر على عدد لابأس به من النّقوش[5].

---

[1]) جان فرانسوا بريتون: "تقرير أولي عن معبد عثتر ذو رصف، مدينة السوداء"، مجلة دراسات يمنيّة، العدد ٣٨، صنعاء ١٩٨٩م، ص ٢١١ - ٢١٩.

[2]) المرجع نفسه، ص ٢١٤.

[3]) الهمداني: الاكليل، جـ ٨ ص ١٧٥ - والاكليل، جـ ١٠، ص ١٢٢ و الصفة، ص ٣١٤.

[4]) Tawfiq . M : " les monument de Ma 'in " , tome I , p . 44 - 45

[5]) - Robin : Les études .. p . 150 - 151 .



الجزء الثالث

العصر الثّاني من التاريخ السّياسيّ لليمن القديم

"حضارة القيعان في المرتفعات الغربيّة"

الفصل الأول: الأوضاع الدوليّة قبيل ميلاد سيدنا يسوع عليه السلام، وأثرها على مجريات الأحداث في اليمن القديم.

الفصل الثاني: دولة سبأ وذي ريدان (القرن الأول حتى القرن الثالث الميلادي)

الفصل الثالث: دولة سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة أحداث (القرن الرابع الميلادي).

الفصل الرابع: دولة سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم في الطود والتهائم، أحداث (القرن الخامس الميلادي).



الفصل الأول

الأوضاع الدوليّة قبيل الميلاد وأثرها على مجريات الأحداث في اليمن القديم

أولاً: الحملة الرومانيّة على جنوب شبه الجزيرة العربيّة.
ثانياً: انتعاش الملاحة البحريّة.
ثالثاً: الأوضاع الداخليّة للكيانات السياسية في اليمن القديم.
رابعاً: بروز دولة حمير أو بني ذي ريدان.



الفصل الأول

الأوضاع الدوليّة قبيل الميلاد وأثرها على مجريات الأحداث في اليمن القديم

أولاً: الحملة الرومانيّة على جنوب الجزيرة العربيّة

بعد مصرع (يوليوس قيصر) عام ٤٤ ق.م، آل أمر الدولة الرومانيّة إلى إثنين من القادة الرومان هما: (انطونيوس Marcus Antonius) و (أوكتافيانوس Octavianus)، واصبح من نصيب الأخير الولايات الغربيّة من الامبراطوريّة الرومانيّة، "ولانطونيوس" الولايات الشرقيّة، بيد أن الصراع ما لبث أن نشب بين هذين القائدين، وكانت معركة (أكتيوم) البحريّة سنة ٣٢ ق.م، فاصلة بينهما، إذْ أنتحر (أنطونيوس) بعد فشله، واصبح (اوكتافيانوس) إمبراطور روما بدون منافس ولقب بـ (أوغسطس)[1]، أي "المحترم".

بعد تلك الأحداث استقرت الأحوال في الامبراطوريّة الرومانيّة، فتمكن الرومان خلالها من السيطرة الكليّة على مصر وبلاد الشام، وبدأت أنظارهم تتجه صوب بقية أنحاء شبه الجزيرة العربيّة لاحتلالها، وبالفعل كلّف الامبراطور (أوغسطس) نائبه الرومانيّ على مصر آنذاك (اليوس جالوس Aelius Gallus) بالقيام بتلك المهمة[2].

فما هي -يا ترى- الدوافع المباشرة وراء فكرة غزو شبه جنوب الجزيرة

---

[1]) ويل ديورنت: " قصة الحضارة "، ترجمة، محمد بدران، الجزء الأول من المجلّد الثالث" الحضارة الرومانيّة " مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة ١٩٥٥ م ص ٤١٨ – ٤٢١.

[2]) جواد علي: المفصّل، جـ ٢، ط (١٩٧٧)، ص ٤٣–٥٨.

العربيّة؟ وكيف جوبهت الحملة الرومانيّة من قبل اليمنيّين؟ ولمـاذا فشلت؟ ومـا هـي النتائج التي ترتبت عليها؟ كثير من الأسئلة تبرز أمامنـا بحاجـة إلـى ردود شـافية، وممّا يؤسف له إنّنا لا نجد لأخبار تلك الحملة أيّة إشارة في النّقوش اليمنيّـة القديمـة -المعروفة حتى الآن- فالمصدر الوحيد الذي أمدنا بأخبار تلك الحملة هـو: مـا كتبـه المؤرخ الرومانيّ (سترابو Strabo) معاصر القائد الروماني وصديقه، والأخـذ بذلـك المصدر يستدعي الحيطة والحذر، فالمؤرخ رومانيّ الأصل، ومن الطبيعيّ أن يدافـع عن سمعة إمبراطوريتـه، وعـن صديقـه القـائد المهـزوم. وليـس أمامنـا إلاّ أن نـورد ماذكره (سترابو)[١]، ومن ثمّ نورد إستنتاجنا حول تلك الحملة.

- دوافع الغزو

(١) الدوافع الاستراتيجيّة:

إنّ فكرة الاستيلاء على جنوب شبه الجزيرة العربيّة، بالنسبة للرومان تعنـي السيطرة على البحر الأحمر وتحويله إلـى بحـيرة رومانيّـة، وبذلـك تتحقـق لهـم هـذه الاستراتيجيّة التي ترسّخ الترابط بين مناطق نفوذهم وممتلكاتهم فـي بـلاد الشـام مـن جهة، ومصـر وشـمال إفريقيـا مـن جهـة أخـرى، بذلـك يتحقـق لهـم نصـر عسـكريّ وسياسيّ واقتصـاديّ كبير في وجه عدوهم التقليدي: الامبراطوريّة الفارسيّة.

(٢) الدوافع الاقتصاديّة:

أبرز تلك الدوافع تتمثل فـي السيطرة علـى طريـق البخـور مـن بدايتـه فـي الموانئ الجنوبيّة لشبه الجزيرة العربيّة، وحتى نهايته فـي شـواطئ البحـر المتوسـط، تلك الطريق التي كان يسلكها اليمنيّون محمّلين بأثمن السلع التي تنتج فـي أراضيهم، وتلك السلع النفيسة القادمة من الهنـد وشـرق أفريقيـا. كمـا أن جنـوب شـبه الجزيـرة العربيّـة كـان هدفـاً مباشـراً لتلـك الحملـة، اذا ماعرفنـا نـوع المنتجـات الّتـي ينتجهـا كاللبان والمر...، والمعـروف أن الرومـان يدفعـون لاستيرادها أمـوالاً طائلـة بحكـم

---

[١] - Strabo: " The Geography " trans,by H. L. Jones , Loep Classical Library , London , 1930 , Bk 16 , ch 4 Secs 22-25

قداستها الفريدة[1].

لتلك الأسباب جاءت فكرة غزو العرب، إمّا لإرهابهم أو لاحتلال أرضهم، وتحويلهم -بعد ذلك- إلى حلفاء طائعين أو مهزومين خاضعين للضريبة والسخرة.

ومن العوامل المساعدة التي شجّعت الرومان على الغزو، تلك الصورة البرّاقة التي نقلها الكتّاب الكلاسيكيون عن بلاد العرب، إبتداءً من (هيرودوتس Herodotus) إلى (سترابو Strabo) و (بليني Pliny)، فقد تحدثوا جميعاً عن الثراء الخارق للسبأيّين نتيجة لتجارتهم بالبخور، وما أقتنوه بفضل تلك الأرباح من مصنوعات ذهبيّة وفضيّة: كالأسرة، والموائد، والأواني، والكؤوس... الخ. فضلاً عن قصورهم الرائعة التي كانت أبوابها وجدرانها وسقوفها مرصّعة بالعاج، والذهب، والفضة، والأحجار الكريمة، لقد كان لتلك الروايات تأثير كبير على العقليّة الرومانيّة.

- **سير الحملة**

تحدّث (سترابو) عن الحملة الرومانيّة، منذ بداية التفكير فيها، ويبدو جلياً أنّ (اوغسطس Augustus) الامبراطور الرومانيّ، قد فكّر ملياً في احتلال بلاد العرب تحقيقاً لحلم مقدونيّ قديم، فقد أخفقَ (الاسكندر المقدونيّ)، الذي وافته المنيّة قبل أن يحقق هذا الحلم.

بتكليف من الامبراطور الروماني بدأ (اليوس جالوس) في الإعداد للحملة في شهر "أغسطس من عام ٢٤ ق.م". وبعد تجهيز كبير، تحركت القوات الرومانيّة على متن أسطول كبير مؤلف من (١٣٠) سفينة، من ميناء مصريّ على (خليج السويس) متجهاً صوب أحد موانئ الأنباط على الجانب الآخر من البحر الأحمر، يدعى (لويكه كومه Leuke kome) وقد وصلت القوات الرومانيّة إليه بعد خمسة عشر (١٥) يوماً من الرحيل في البحر، تعرّضت خلالها السفن لمتاعب جمّة وتحطّم منها الكثير![2].

---

[1] (Ibid, Sec 22

[2] (- Strabo: op. - cit , Bk 16 , ch 4 , Sec 24.

وقد علّق القيصر آمالاً كبيرة على مملكة النبط شمال الجزيرة، والتي كانت حينها مواليه له، ويحكمها صديقه (عبادة الثالث Obadas)، لم يخب الأنباط آمال القيصر، عندما زودوا القوات الرومانيّة بحوالي (١٠٠٠) جندي من الأنباط، ومجموعة من المجنّدين اليهود، وصل عددهم إلى حوالي (٥٠٠) وغيرهم من رعايا الامبراطوريّة الرومانيّة في بلاد الشام، وتم اختيار الوزيرالنبطي (سيلايوس Syllaeus) مرشداً للحملة -كما جاء عند (سترابو)- وقد أجمع المؤرخون على أنّ (سيلايوس) هو الاسم العربيّ (صالح)[1].

من الأرض النبطيّة، تحركت الجيوش براً بقيادة (اليوس جالوس)، بمحاذاة ساحل الحجاز وتهامة في طريقها إلى جنوب شبه الجزيرة العربيّة (اليمن القديم)، وقد ذكر (سترابو) الأهوال التي تعرّضت لها الحملة أثناء سيرها من عطش ومرض خلال ستة أشهر كاملة، سارت القوات خلالها أرضاً لم يذكر (سترابو) إسمها، وإنّما ذكر أنها كانت أرض الملك (Aretas)* أيّ "الحارث" وكان ذا قرابة لملك الانباط (عبادة الثالث)، ثم سار في أرض وعرة حتى وصل إلى أرض مأهولة بالأعراب تدعى (Aravene) عليها ملك اسمه (Sabos) وكان (جاليوس) قد قطعها في (٥٠) يوماً حتى وصل إلى مدينة (Negrani) نجران، وتعد أوّل المدن اليمنيّة، وهي منطقة خصبة، ويذكر (سترابو) أن الرومان دمروا المدينة -أعني نجران- وأجبروا ملكها على الفرار. وبعد مسيرة ستة أيام عنها وصل الرومان إلى نهر** جرت عنده معركة، خسر فيها المهاجمون عشرة الآف رجل، أمّا الرومان فلم يخسروا سوى

---

[1]) جواد علي: المفصل، جـ ٢، ص ٣٨٦. ..

*) الحارث Aretas:

ورد في المصادر الاسلاميّة، ذكر لقبيلة (بني الحارث بن كعب) كما جاء ذكرها عند "الهمداني" في كتابه (صفة جزيرة العرب) بأن أراضي " بني الحارث " تقع شمال نجران إلى وادي تشليب وربما تكون هي الارض التي قصدها (سترابو)، وإن الحارث هو من هؤلاء الذين عرفوا (بني الحارث بن كعب).

**) النهر الذي وقعت عنده المعركة وقتل فيها على حد زعم (سترابو) عشرة آلاف من العرب، يرجح المؤرخون أنه (غيل الخارد) في الجوف (أنظر الخريطة رقم ١٥).

رجلين فقط -على حد قوله- ثم سارت الحملة حسب قوله إلى منطقة تدعى: (نسكا Nesca) لعلها (نشق) "خربة البيضاء حالياً" بالجوف، ويضيف: "أن ملكها سلّمها لهم دون أدنى مقاومة"، ثم يذكر مدناً أخرى من مدن الجوف، حتى وصلت الحملة إلى (مارسيبا) او (ماريبا) او (ماريقا)، بالرغم من الاختلاف في كتابة الاسم، إلاّ نّ معظم الدارسين يرون أنّ المقصود بتلك المدينة (مأرب) العاصمة السبأيّة، وكان ملكها حينها يسمّى (Ilasaros) ويعني عند المؤرخين (إلي شرح)، ويبدو جلياً من وصف (سترابو) أنّ المدينة كانت محصّنة، ممّا أضطر الرومان إلى محاصرتها حوالي ستة أيام، ومن ثم تراجعوا عنها بسبب قلّة المياه وتفشّي الأمراض، وذكر (سترابو) أن الحملة لم تتعرّض أثناء تلك الأيام الستة إلاّ لمناوشات من قوات (إيلازاروس Alasaros).

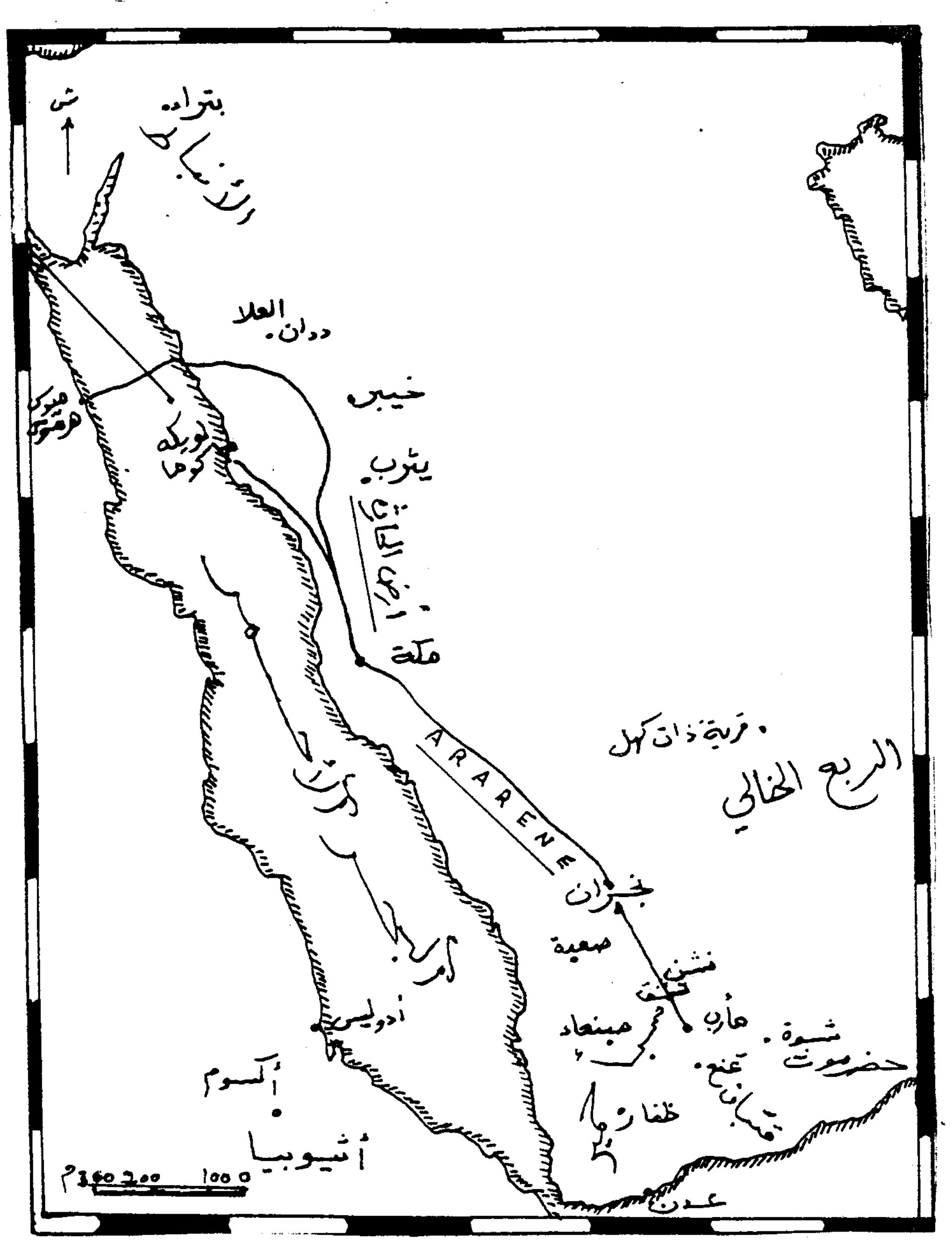
بعد ذلك عاد (اليوس جالوس) بجيشه خائباً من حيث أتى وأول المدن التي مرّ بها عند العودة (نجران) وصلها في تسعة أيام، وهناك وقعت معركة بين الرومان والعرب، ثم غادرها (جالوس) فوصل بعد مسيرة أحد عشر يوماً، إلى موضع يعرف بـ (الآبار السبع) وسار عدة مواضع حتى وصل إلى منطقة تسمى (Egra)* "ايجرا" او (نيجرا) من قرى أرض (عبادة الثالث) تقع على ساحل البحر وقد قطع المسافة كلها في (٦٠) يوماً ومنها أتجه إلى مصر (أنظر الخريطة رقم ١٦).

- **أسباب فشل الحملة**

١-يعزو (سترابو) فشل الحملة إلى خيانة الوزير النبطي (صالح)، حينها طلبت روما من الأنباط محاكمة الوزير، وفعلاً تمت محاكمته بتهمة الخيانة العظمى، وحكم عليه بالاعدام، ونفذ فيه الحكم بقطع رأسه علناً بأحدى ساحات مدينة روما.

٢-لم يتحرّ (سترابو) الأمانة العلميّة في التدقيق لمعرفة أسباب فشل الحملة، بل إنّه لم يعترف بفشلها منذ الوهلة الأولى من انطلاقها، خاصة وأنّ قائدها كان

(*) Negra او Egra، يرى بعض المؤرخين أنه ميناء (ينبع) ثاني ميناء في الحجاز.



(خريطة رقم 16) سير الحملة الرومانية إلى اليمن

يجهل كل شيء عن طبيعة البحر الأحمر، فلم يوفّق في اختيار أسطوله الحربيّ، ممّا أدى إلى فقدانه كثيراً من سفنه قبل أن يصل إلى الميناء النبطيّ، كما كان يجهل أيضاً الطبيعة الجغرافيّة للمنطقة، فقد كان من أسباب هزيمتهم قلّة المياه، وتفشّي الأمراض، والتحصينات المنيعة للمدن اليمنيّة.

٣-وصلت القوات الرومانيّة منهكة القوى بعد ستة أشهر سيراً على الأقدام فقد قطعوا مسافة طويلة، حتى وصلوا إلى الأراضي اليمنيةّ، فطالت الرحلة عن الموعد المخطط لها.

٤-امتازت المدن اليمنيّة القديمة بتحصيناتها القويّة، ومدينة (مأرب) بالذات من العواصم المشهورة بتحصيناتها، التي أكدتها التنقيبات الأثريّة.

٥-المقاومة اليمنيّة التي لم يذكرها (سترابو)، والتي كان لها دور فعّال في إلحاق الهزيمة بالقوات الرومانيّة، مثال على ذلك: تلك المعركة التي أشار إليها (سترابو) ودارت رحاها حول نهر في منطقة (الجوف) ولعله "وادي الخارد".

وبالرغم من المغالطات التّاريخيّة التي أوردها (سترابو)، إلاّ أنّ هناك معلومات مفيدة يمكن استخلاصها من سياق ذلك الوصف، فقد ذكر بأن (ماريبا) =(مأرب) مدينة تابعة للملك (إيلازاروس Ilasarus) الذي قد يقابل في العربيّة اسم (إلي شرح)، وهو ماذهب إليه عالم النقوش (Jamme) وبني عليه تاريخ عهد الملك (إلي شرح يحضب) ملك (سبأ وذي ريدان)، كما أفاد (سترابو) بأن البخور أثمن الطيوب، يزرع في المنطقة الواقعة على ساحل حضرموت الشرقي، وليس في بلاد سبأ كما كان يعتقد[١] .

ويتبدى لنا واضحاً أنّ "سترابو" لم يكن مرافقاً لصديقه (جالوس) في حملته إلى اليمن، وإلاّ لما أهمل - وهو المؤرخ المعروف كثيراً من المناطق، فهناك جهل مطبق بالمناطق، وخلط كبير في أسمائها، وهذا يفسّر حقيقة واحدة: أنّ (سترابو) قد استقى معلوماته من الجنود الرومان الذين شاركوا في الحملة.

(١ Strabo: op. - cit , Sec 25

ثانياً: انتعاش الملاحة البحريّة

لقد تأثرت الأوضاع السياسيّة والاقتصاديّة لليمن القديم بمجريات الأحداث العالميّة، فباقتراب العصر الميلادي، وخاصة القرن الأول قبله، حدث تطوّر مطّرد في الحياة الاقتصاديّة العالميّة، نتيجة للاستقرار السياسيّ الذي شهدته دول البحر المتوسط -كما ذكرنا ذلك آنفاً- فانعكس ذلك الانتعاش على الدول التي لها صلات تجاريّة مع العالم، ومنها اليمن القديم، فقد نقلت لنا المصادر الكلاسيكيّة (اليونانيّة والرومانيّة) صورة برّاقة عن الأوضاع الاقتصادية المزدهرة التي شهدها اليمن آنذاك، بسبب الإقبال المتزايد على السلع اليمنيّة النفيسة كالبخور والعطور... وغيرها من السلع التي كانت تجلب من والهند وشرق أفريقيا[1].

وللحصول على تلك المنتجات أخذت السفن الرومانيّة تجوب البحر الأحمر والمحيط الهندي، ذهاباً وإياباً دون حاجتها لوساطة اليمنيّين الذين كانوا يسيطرون على الطريق البريّ، وقد تحقق للرومان ذلك، بعد أن اهتدى اليونانيّ (هيبالوس) إلى استخدام الرياح الموسميّة الجنوبيّة الغربيّة خلال الصيف، ممّا ساعد في تقصير أمد الرحلة من البحر الأحمر إلى مداخل الهند في عرض المحيط مباشرة دون الإلتزام بخطوط السواحل الطويلة، وبفضل انتعاش تلك السواحل نجد الموانئ الواقعة على طول ذلك الطريق البحريّ تعيش حالة من الازدهار، لم يشهد لها مثيل من قبل[2]، وهاكم مؤلف كتاب "الطواف حول البحر الارتيريّ" يحدثنا عن حركة الملاحة البحريّة في تلك الموانئ كميناء: "موزع"، و"عدن"، و"المخا"، و"قنا"، و"موشا" [3].

---

(١) Groom: op. - cit , pp. 55 - 95.
(٢) Bafaqih: L' unification. .. pp 319 - 324.
(٣) The Periplus. .. , Secs , 27-32

ثالثاً: الأوضاع الداخليّة للكيانات السّياسيّة في اليمن القديم

بالقدر الذي برزت فيه المناطق المطلّة على الثغور البحريّة، بفضل انتعاش الملاحة، إلاّ أنّ الضعف والوهن مالبثا أن دبّا في أوصال المناطق الداخليّة المعتمدة على الطريق البريّ "طريق القوافل"، وقد كان لتفوق البحر على البر عدة أسباب، منها: سهولة الاتصال، وانخفاض تكاليف النقل. كما أنّ الإتصال المباشر للرومان بمناطق إنتاج السلع المرغوبة لديهم، قد فوّت على اليمنيّين فرصة القيام بدور الوسيط التجاريّ، كل ذلك كان له أثره الخطير على الكيانات السّياسيّة التي كانت تتمركز على الطريق البريّ، ممّا جعلها تفقد مواردها الاقتصاديّة الآتية من تلك الطريق، وسادها الضعف، فقلّت هيبتها وغدت عرضة للأطماع الدوليّة والمحليّة

سبأ:

بالرغم من فشل الحملة الرومانيّة على اليمن القديم، إلاّ أنها تركت آثاراً سلبيّة على الدولة السبأيّة، فهزّت كيانها السّياسيّ وجعلتها عرضة للاطماع الداخليّة والمتمثلة في الهجمات المتكرّرة التي كانت تقوم بها القبائل البدويّة القادمة من الصحراء الشماليّة، خاصة بعد أن فقدت تلك القبائل مواردها الاقتصاديّة التي كانت تجنيها من تلك الطريق، فوجّهت نظرها صوب عواصم الممالك اليمنيّة، لتصبح هدفاً لها، تشنّ عليها غاراتها كلما مسّها الجوع وآنست ضعفاً من أهلها[١]، ممّا دفع بالسكان في تلك المراكز إلى ترك أراضيهم باتجاه المرتفعات الغربيّة. ولا شك إنّ تلك الهجرات الداخليّة شكّلت رافداً بشرياً ساعد على نمو وازدهار مناطق القيعان في تلك المرتفعات، ووفّر لدولة "حمير" الفتيّة عاملاً مساعداً لبسط نفوذها على الأراضي المجاورة، علاوة على الأسباب الآنفة الذكر، والتي كانت سبباً في معاناة الدّولة السبأيّة، نجد أن بروز قوة الريدانيين في الجنوب -هو الآخر- كان يشكّل تهديداً صارخاً يداهم السبأيّين، كما برز حينها خطر داخلي آخر هو: بروز مؤسسة

---

[١]) يوسف محمد عبدالله: "حمير بن الخبر والأثر"، مجلة دراسات يمنية، العدد ٤٢، مركزالدراسات والبحوث اليمني، صنعاء ١٩٩٠ ص ٤٠.

الأقيال الذين تلقبوا بلقب "ملك". ففي تلك الأجواء المضطّربة انتهى حكم الأسرة التقليدية في مأرب ونشط الأقيال* والأذواء[1]، واصبحوا ينافسون السلطة، فكان كل "قيل"، ينشد أن يكون ملكاً على سبأ. وأبرز القبائل في الهضبة السبأيّة، تلك التي كان يضمها إتحاد (سمعي) وهو اتحاد قبائلي تقع اراضية بين "خولان وصرواح" من الشرق، وبكيل القديمة من الغرب. ويضم هذا الاتحاد في الأساس ثلاث قبائل، همدان ومركزها (ناعط)، وحملان ومركزها (حاز)، ويريم ومركزها (هجر) أو (شبام سخيم)، ويشكّل كل شعب من تلك الشعوب (ثلثاً) "من سمعي"[2]، وهناك قبائل (شعوب) أخرى أرتبطت بالدولة السبأيّة بروابط أسريّة كقبيلة (مرثد) في "شبام اقيان"** وقبيلة (بني جرة) ومركزها (كنن)*** .

في ظل هذه الأجواء المضطّربة والتي كانت تعاني منها دولة "سبأ"، نجد دولة "حمير" تشقّ طريقها وتبسط نفوذها على أجزاء واسعة من المناطق الجنوبيّة لتصل إلى أطراف الهضبة السبأيّة.

حضرموت:

كانت حضرموت في تلك المرحلة تعيش حالة من الانتعاش الاقتصاديّ بفضل موانئها، وبفضل الطلب المتزايد على منتجاتها: (اللبان والمر) في الوقت

---

*) الأقيال: مفرده (قيل) وهو لقب يطلق على زعيم "شعب" مستقل عن الملك الرسمي للدولة، ويلقب بلقب ملك من الحين إلى الآخر، بل نجد بعض ملوك سبأ الشرعيين يلقبون بمثل ذلك اللقب للأقيال على مضض حتى يحتفظوا بمساعدتهم لهم في ظروف سياسية خاصة.

1) محمد عبدالقادر بافقيه: "الاقيال والاذواء ونظام الحكم في اليمن القديم"، مجلة دراسات يمنية،العدد (٢٧)، مركز الدراسات والبحوث اليمنيّ، صنعاء ١٩٨٧م، ص ١٤١- ١٥٤.

2) Robin. Ch: " les hautes terres du nord Yémen avant l'Islam " , tome I , Istanbul , 1982 , pp. 41 - 45

**) شبام اقيان: نسبة لبني اقيان وهم أسياد قبيلة شبام، والتي تعرف حاليا بشبام كوكبان، تقع على بعد حوالي (٣٥) كم شمال غرب صنعاء.

***) كنن: جبل كنن يقع على بعد (٤٠) كم تقريبا، جنوبي صنعاء، حيث تقوم عليه قرية (نعض) الأثريّة حاضرة (بني جرة)، جاء ذكرها في كثير من النقوش منها: (631 , 577 , 576 , Ja) و (CIH 350) .

ذاته، نجدها تنظر لدولة حمير – القوة الناشئة– بعين الحذر، فقد عثر على نقش (RES 2687) في موقع (البنا) شمال "بير علي"، بقلب دولة حضرموت، يتحدث عن أحد مكربي حضرموت، الذي قام ببناء سور في ذلك الموقع تحسباً لاي هجوم حميريّ، علماً بأن موقع (البنا) يبعد حوالي (٤٠٠) كم شرق العاصمة الحميريّة. وقد أرخت "جاكلين بيرن" ذلك النقش بحواليّ القرن الاول ق.م[١].

قتبان:

على العكس من حضرموت، نجد دولة قتبان تعيش حالة من الوهن والخور، بسبب تدهور الطريق البريّ الذي كان يدرّ عليها موارد اقتصاديّة كبيرة، وبسبب موقعها الجغرافيّ المتوسط لاكبر الممالك اليمنيّة، حضرموت من الشرق، وسبأ من الشمال الغربيّ، وحمير من الغرب والجنوب الغربيّ، وكان يتوجب عليها مقاومة تطلّعات تلك الممالك، ذلك الوضع الصعب جعلها تغلق على نفسها بعد أن غدت لقمة سائغة لكل من تلك الممالك، فسبأ تحاول استقطاع جزء من الاراضي القتبانيّة خاصة مقاطعة (ردمان) * و (مضحى) ، لحماية نفسها من المدّ الريدانـي، أمّا "حمير" فكانت تناوشها من الغرب وتبسط نفوذها على أجزائها الجنوبيّة وبالذات المنافذ البحريّة؛ أمّا "حضرموت" فنجدها تدخل معها – أعني قتبان– في علاقات دبلوماسيّة وتحالفات حيناً، وفي حروب ومناوشات حيناً آخر. وبالرغم من تلك الاجواء المعتمة، نجد دولة قتبان تواصل نشاطها التجاريّ، كما أشار إلى ذلك المؤرخ الرومانيّ (بليني) [٢]. وفي الوقت ذاته نجدها تقاوم تلك الاخطار المحدقة بها بصعوبة بالغة.

---

[١]) Pirenne.J: les témoins écrits , p. 135.

*) ردمان: قبيلة هامة تضم أراضيها كل من 'قيفه، ورداع، والسواديّة بذلك فهي تحتل موقعاً متوسطا بين سبأ وحمير وحضرموت لعبت ردمان دورا مؤثرا في الاحداث السياسيّة لليمن القديم منذ مطلع الميلاد .. جاء ذكرها في عدد من النقوش، لاتزال 'ردمان' معروفة اليوم في (اسافل قيفه) وهي مقاطعة كبيرة تمتد إلى السواديّة والمعان، وسارع، ونجد الحاج. انظر يوسف عبدالله: أوراق .. ص ٨٧.

[٢]) Pliny : op. - cit , Sec 32.

أوسان :

في تلك الاونة، نجد أوسان تستعيد نشاطها بعض الشيء، ربما استغلت ضعف دولة قتبان، كما سبق وأن عرفنا، إنّ الاراضي الاوسانيّة خضعت لدولة قتبان، وقد عثر مؤخراً على العديد من الاثار الاوسانيّة: كالتماثيل الملكيّة وعدد من القطع الأثريّة المتنوعة، ممّا دفع بالعالمة (جاكلين بيرن) إلى الافتراض ببقاء (أوسان) كدولة إلى ماقبل ميلاد يسوع عليه السلام[1]. ومنذ مطلع الميلاد آلت كل تلك الاراضي لدولة "سبأ وذي ريدان".

معين:

ارتبط وجود معين منذ بداية عهدها بالتجارة البريّة، فكان موقعها الجغرافيّ بمثابة نقطة التقاء، أو حلقة وصل تربط بين شمال وجنوب شبه الجزيرة العربيّة، ولكن ضعف الطريق البريّ أفقدها أهم مواردها الاقتصاديّة، كما ان بروز دولة الانباط في شمال الجزيرة واستحواذها على المراكز التجاريّة الواقعة على طريق القوافل – والتي كانت في السابق مراكز معينيّة– أفقدها تواجدها في الشمال ووسط شبه الجزيرة واستغلت دولة سبأ ذلك الضعف ولم يأت القرن الاول ق.م إلا وتختفي معين كدولة بدخولها في إطار الدولة السبأيّة فتفقد إستقلالها السّياسيّ، لكن هذا لايعني على الاطلاق – وقف نشاطها التجاريّ، بل أستمر المعينيّون في ممارسة تجارتهم، تحت سيطرة الدولة السبأيّة، وهاكم (بليني) يتحدث عنهم بقوله: (المعينيون منطقتهم يمر بها ترانزيت الكندر عبر طريق ضيق، وهم الذين بدأوا التجارة، وأهم من مارسها، وهناك نوع مَنْ البخور سمي باسمهم هو "البخور المعينيّ")[2].

رابعاً: بروز دولة حمير أو بني ذي ريدان.

تعد دوّله حمير من أشهر الدويلات اليمنيّة القديمة وآخرها ظهوراً، وذلك

---

[1] – Pirenne: prospéction historique , pp. 213- 255 .

[2] Pliny : op. - cit , Sec 32.

في أواخر القرن الثاني ق.م، فقد رافق ظهورها بداية التقويم الحميريّ عام (١١٥ ق.م)[١]، ويرى العلماء أن هناك علاقة التقويم الحميريّ واستخدام اللقب المزدوج "ملك سبأ وذي ريدان"[٢]، وقد جاء ذكر (حمير) في الكتابات الكلاسيكيّة، فعند (بليني) – الذي يعود عهده إلى القرن الاول ق.م– تعد "حمير" من أكثر القبائل اليمنيّة عدداً، وأنّ عاصمتهم (ظفار)[٣] كما ظهرت ' حمير ' في خريطة بطليموس، أمّا مؤلف كتاب "الطواف حول البحر الارتيري" فقد حدثنا عن النشاط البحريّ للموانئ التابعة لملك حمير، كما أفرد الكتّاب المسلمون جزءًا واسعاً من كتاباتهم للحديث عن حمير وملوكها وأنسابها، ومِنْ أبرز مَنْ أهتم بالحديث عن نسب حمير ولغتهم وآثارهم هو (الحسن الهمداني)[٤] في أغلب مؤلفاته، وبشكل خاص في كتابه (الاكليل)[٥]؛ ثم يليه (نشوان الحميري) ويكرّس قصيدته (النشوانيّه) للحديث عن مآثر ملوك حمير.

والملاحظ من خلال النقوش إنّ اسم (حمير) يقترن دوماً باسم (ذي ريدان)، فماهي –يا ترى– العلاقة بين الاسمين؟! عند العودة لاصل اللفظين نجد أن اسم حمير يأتي في النقوش (حميرم)، كما نجد لفظة (حمرم) التي تعني في (المعجم السبأيّ)[٦]، "حلف" من الفعل "حمر" الذي يعني تحالف قبلي، أمّا أقدم [illegible]

---

١) - Beeston:"New Light on the Ḥimyaritic Calender in Arabian Studien" , 1974 pp. 1- 6.

٢) – Bafaqih: L` unification .. p.19- 20 .

٣) – Pliny: Natural History , transtated by H. Rackham London , and Cambridge , 1969 .

٤) – AL- Garoo. A: L`antiquité's du Yémen dans L`ouvres d`al- Hamdānī (thèse) Paris , 1986 , pp. 35- 48 .

٥) راجع الجزء الثاني من (الاكليل) يتحدث فيه "الهمداني" عن أنساب ولد الهميع بن حمير، وفي "الجزء الرابع" يتحدث عن السيرة القديمة من عهد يعرب بن قحطان إلى عهد أبي كرب اسعد الكامل (كتاب مفقود) وفي "الجزء الخامس" تطرق إلى السيرة الوسطى من عهد أبي كرب إلى عهد ذي نواس (مفقود) كما يتحدث عن محافذ اليمن ومساندها ومراثي حمير والقبوريات في (الجزء الثامن) أمّا الجزء التاسع، فضمنه الحديث عن الاقيال الحميريّة وحكمها باللسان العربي (كتاب مفقود).

٦) المعجم السبأي: ص ٦٨، ماده (حمر ٢) أنظر ايضا: يوسف عبدالله: حمير ... ص٣٥.

حميراً فهو نقش حضرميّ سبق وان أشرنا اليه (RES 2687/3)، سجّل على سور موقع (البنا) يعود تاريخه إلى القرن الاول ق.م. فحمير لم تظهر في النقوش كقبيلة واحدة بل تجمّع قبليّ، وما يؤكد ذلك تلك النقوش التي تتحدث عن حمير فتذكرها كشعوب "أشعب حميرم" (Ja 576) أيّ "شعوب حمير" وليس "شعب حمير" كما نجد ذلك عند ذكر" قتبان وسبأ وحضرموت"[1].

أمّا كلمة "ريدان" فهي من (ريد) التي تعني في المعاجم العربيّة، حافة الجبل، فريدان إذاً إسم لجبل أقام فيه أسياد حمير قصراً لهم حمل نفس الاسم، ومن ثم عرفوا أصحاب ذلك القصر باسم (بني ذي ريدان) أيّ أصحاب قصر ريدان، ولا غرابة في ذلك فهناك كثير من أسياد اليمن ينتسبون إلى قصورهم، إلا أنّ اسم (ذو ريدان) غدا بعد ذلك اسماً يطلق على الكيان السّياسيّ لقبائل حمير[2].

من هم الحميريون إذاً وأين تقع أراضيهم؟! يرى الكثير من المؤرخين ان الحميريّين كانوا اذواء صغار يدورون في فلك الدولة القتبانيّة، ثم انفصلوا عنها مكوّنيين كتلة سياسيّة مستقلّة، وقد أعتمد هؤلاء المؤرخون في زعمهم هذا على نقشين جاء فيهما بما معناه: انّ الحميريّين "اولاد عم" أي "أبناء الاله عم" والاله "عم" كما هو معروف المعبود الرئيس للقتبانيين، فنسبة حمير تابعة لاولاد عم يبرر ما ذهب إليه هؤلاء المؤرخون إلى أنّ حميراً تابعة لقتبان؛ إلا أنّ هناك رأياً معارضاً: يرى أنّ الاله الرئيس لحمير هو (عثتر) ولاتوجد أيّة إشارة -في اعتقادهم- إلى ان الحميريين قد عبدوا الاله (عم) باستثناء النقشين السابقين، لذلك فهم لا يجدون مبرراً لان يسمّى الحميريون بأولاد عم[3].

---

[1] Robin. ch: Aux origins de L'Etat Ḥimyarite: Ḥimyar et du- Raydān, dans , Arabian studies in Honour of Mohmoud al- Ghul , Yarmaut University , Wiesbaden , 1989 , p. 104 .

[2] Von Wissmann: Ancient History of Ḥimyar , dans le Muséon , LXXVII , 1964 , p. 451.
انظر ايضا: يوسف عبدالله: حمير ... ص٣٨.

[3] راجع النقش (Ja 577/2) جاء فيه (شمر ذي ريدان وشعب حميرم ولد عم) والنقش الثاني (Ja 578/7)جاء فيه (الجيش والقبائل والجيش الملكي لحمير أولاد عم).

إننا نرجّح ما ذهب اليه أصحاب الرأي الاول، خاصة إذا ما علمنا بان النفود القتباني قد امتد -في فترة ازدهاره- إلى أجزاء واسعة من جنوب الهضبة الغربيّة، وربما شمل أراضي حمير التي سنأتي لتحديدها لاحقاً.

أمّا أقدم ذكر لـ (ذي ريدان) في النقوش -التي توافرت لدينا حتى الان- فيعود إلى القرن الاول الميلادي، أي أنّ ذكر "حمير" كان الاقدم، فأول ما ظهر اسم (ذي ريدان) جاء مقروناً باللقب الملكي لملك سبأ (ذمار على وتر يهنعم)، ملك سبأ وذي ريدان ابن (سمه على ذريح) أحد ملوك الاسرة التقليديّة الحاكمة في مأرب، حيث يرى بعض المؤرخين أنّ: (ذمار على) هو أوّل ملك سبأي استخدم اللقب المزدوج[1]. أمّا أقدم من استخدم هذا اللقب من الجانب الحميريّ، فهو الملك (ياسر يهصدق) ملك سبأ وذي ريدان، في نهاية القرن الاول أو بداية القرن الثاني الميلادي تقريباً [CIH 30 , 41].

ومع توسع النفوذ الحميريّ يتوسع اللقب الملكيّ، وتدخل إليه إضافات جديدة مثل: (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة) وأصبح واضحاً أنّ (ذي ريدان) اسم يطلق على الكيان السياسيّ لدولة (حمير)، أمّا شعبها فيسمّى (بشعوب بني ذي ريدان) أو (شعوب حمير).

كل السبأيّون يلقبون ملوك حمير بـ (ذي ريدان) لفترة طويلة، ففي عهد الملك السبأيّ (إلى شرح يحضب الثاني) وأخيه (يأزل)، أطلق على الملك الحميريّ المعاصر لهم (شمر يهحمد ذي ريدان)[2]، نجد ذلك في نقش [Ja 577/2] (شمر ذي ريدان، وشعب حميرم ولد عم). اذًا فإسم "حمير" يرادف دوماً اسم (ذي ريدان)، وقد يحلّ محله، كما جاء في نقش [Ja 665] (وأعراب سبأ وحميرم وحضرموت ويمنة)؛ أيّ (أعراب سبأ وحمير وحضرموت ويمنة)، ففي هذا النقش استبدل اسم (ذي ريدان) بـ (حمير).

---

[1]) Wissmann : Ḥimyar ... :, p. 120. 125

[2]) الارياني: نقوش مسنديّة ص ٢٥٢- ٢٥٥، أنظر نقش [إرياني ٤٩]

أرض حمير:

جاء في أكثر من نقش ذكر لارض حمير[أنظر Ja 675, 578, 579 580] و [CIH 140/4]، (أرض حميرم) ويمكننا من خلال تلك النقوش، تحديد النطاق الجغرافيّ لدولة حمير: فهي تقع إلى الغرب من دولة قتبان، وتشمل مرتفعات يافع (دهس) في النقوش، وإقليم (ذمار) و (يريم)، وقد أطلق "الهمداني" على ذلك النطاق الجغرافيّ اسم: (سرو حمير) ويحدده بقوله: "العر وثمر وحبة وحطيب ويهر وذو ناخب وذو ثاوب وسلفه وشعب، قرى ومساكن ليافع"[١].

ومن الملاحظ أن النقوش لا تفرّق بين أراضي حمير والأرض الريدانيّة فأرض حمير وشعوبها هي أرض وشعوب "ذي ريدان"؛ وما يؤكد ذلك النقش الذي عثر عليه في (يافع) بمنطقة "علا" من (بني بكر)، يتحدث النقش عن حرب قامت بين جيش الملك السبأيّ (يهقم بن ذمار على ذريح) ملك "سبأ وذي ريدان وحمير" في أرض "ذي ريدان"[٢].

لقد امتدت الاراضي الحميريّة في عهد ملكها (ياسر يهصدق) ملك (سبأ وذي ريدان) حتى منطقة (ضاف) الواقعة شمال (قاع جهران) جنوب "نقيل يسلح" فشملت أجزاء واسعة من الهضبة الغربيّة [٣] (أنظر الخريطة رقم ١٧). أمّا بليني فيقول: "أن الحميريين قبائل كثيرة العدد ..."[٤].

وقد اتخذ الحميريون من منطقة (ظفار) عاصمة لهم أنشأوها في "قاع الحقل" بسند جبل ريدان الذي يبعد بضعة كيلومترات جنوب منطقة (يريم) الحالية.

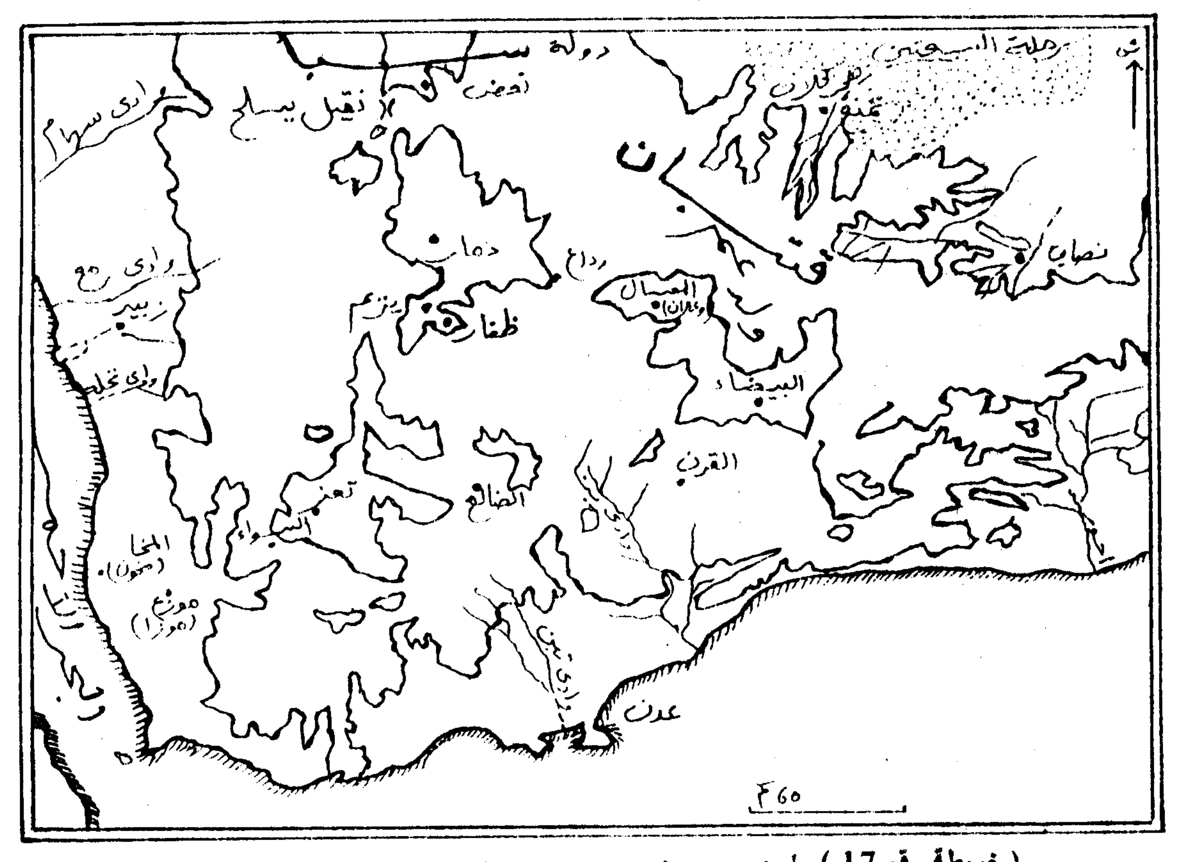
---

[١]) الهمدانيّ: صفة جزيرة العرب، ص ١٧٦-١٧٧، أنظر أيضا: يوسف عبدالله: حمير.. ص٣٦.

[٢]) Robin. Ch , et Bron. F: Deux inscriptions du Haut- Yāfiʿ , dans – Semitica , XXIX , 1979 , pp. 132- 145 et pt. VIII.
النقش (روبان- برون بني بكر ١)

[٣]) Bafaqih: L ' unification. pp. 175- 177 . –

[٤]) Pliny: Natural History , BK. VI , xxxii , 159- 162.



(خريطة رقم 17) أرض حمير في عهد ملوك سبأ وذي ريدان



الفصل الثاني
دولة سبأ وذي ريدان

[القرن الأول – حتى نهاية القرن الثالث الميلادي]

أولاً: من أوّل من تلقّب باللّقب المزدوج (ملك سبأ وذي ريدان)، هل هم ملوك سبأ أم ملوك حمير؟

ثانياً: الصدام العسكري بين الكيانيين السياسيين السبأي والريدانيّ.

ثالثاً: أقيال يصلون إلى سدة الحكم في مأرب.

رابعاً: تشعّب الصراع العسكري ودخول الأحباش طرفاً فيه.

خامساً: سياسة "شعر أوتر" (ملك سبأ) وعلاقته مع الأحباش وحضرموت.

سادساً: "إلي شرح يحضب الثاني ملك سبأ وذي ريدان في (مأرب) ومنافسة العنيد "شمر يهحمد" ملك سبأ وذي ريدان في (ظفار).



الفصل الثاني
دولة سبأ وذي ريدان

أولاً: من أوّل من تلقب بلقب "ملك سبأ وذي ريدان" هل هم ملوك سبأ أم ملوك حمير؟

لقد توافرت لدولة "حمير" كل المناخات الملائمة لبروزها على الخريطة الجغرافيّة، ككيان سياسيّ مستقل، هذا الكيان الجديد الذي أصبح يشكّل خطراً يهدّد الكيانات السّياسيّة السائدة على الساحة. وقد مرّبنا آنفاً، كيف قام مكاربة حضرموت بتحصينات على مداخل أوديتهم الجنوبيّة تحسباً لأيّ هجوم حميريّ مباغت[1]، في الوقت ذاته نجد دولة سبأ العتيدة تصطدم عسكرياً بالدولة الجديدة في أراضيها أعني -أراضي حمير- وهي مرتفعات (يافع)[2]، ومنذ ذلك الوقت تلقّب ملوك سبأ بلقب "ملك سبأ وذي ريدان"، كما تلقّب ملوك حمير أيضاً بنفس اللقب.

اختلفت رؤى المؤرخين حول أول من تلقّب بذلك اللقب المزدوج هل هم ملوك سبأ أم ملوك حمير؟ هناك من يرى إنّ وصول ملوك حمير إلى مأرب واحتلالهم للقصر الملكي "سلحين" كان دافعاً قوياً لأن يلقبوا أنفسهم بذلك اللقب، فذهبوا إلى أنّ أوائل الريدانيّين هم أوّل من عرفوا بملوك (سبأ وذي ريدان)، بعد أنْ حقّقوا انتصاراً عسكرياً على دولة سبأ التي كانت تعيش حينها في حالة من الوهن الشديد[3]، ويتبدى لنا أن ذلك الرأي معقول فلولا قوة "حمير" لما اعترف السبأيّون بهم ككيان سياسيّ، وأضافوا اسم دولتهم إلى لقبهم الملكيّ.

---

[1] - Pirenne : J : Les témoins écrits .. p. 135 .

[2] -Ribon . et Bron : Deux inscriptions , p. 137

- Wissmann H . von : Ḥimyar .. p . 451 .

[3] أنظر أيضا : - Bafaqih : l' unification... , p .21

ويبقى سؤالٌ محيّرٌ؛ هو: لماذا تلقّب الملك الحميري نفسه بملك "سبأ وذي ريدان" وليس ملك "ذي ريدان وسبأ "؟ يجيب (فان وايزمن) على هذه المعضلة، ففي رأيه عندما انتصر الملك الحميريّ على سبأ أضاف للقبه "ملك سبأ قبل ملك حمير، وسبب ذلك –في تقديره– يعود إلى المكانة التاريخيّة والدينيّة، التي تحتلها دولة سبأ، تلك الاعتبارات جعلته يقدّم اسم سبأ في مقدمة اللقب، وإن لم يطل حكمه في مأرب طويلاً، خاصة وأنّ القبائل المحيطة بمأرب عزّ عليها مآلت إليه دولة سبأ، فعملت على إجلاء الملك الحميريّ عنها، وأعادت إليها الملك السبأيّ المهزوم أو شخصاً آخر من أسرته، وهو الذي أتخذ لقب ملك "سبأ وذي ريدان" في الوقت نفسه لم يتنازل ملك حمير في (ظفار) عن لقبه المزدوج أيضاً[١].

ثانياً: الصدام العسكريّ بين الكيانيين السبأيّ والريداني

تتّسم هذه المرحلة التأريخيّة بالصراعات السّياسيّة الدامية، التي شهدتها المنطقة، فقد دبّ الاضطراب والضعف في أوصال الدولة السبأيّة وقد أشار نقش (Ja 644) ونقش (روبان – برون، بني بكر ١) إلى أنّ "سبأ" دخلت في حروب مع حمير في عهد ملكها "يهقم بن ذمار على ذريح" الذي يرجع أنّه أوّل من تلّقب باللّقب المزدوج، تلك المعركة الّتي دارت رحاها في" أرض حمير "، وربما استغلت بعض القبائل القويّة في الهضبة السبأيّة انشغال الملك بتلك الحرب، فاستطاعت الوصول إلى القصر الملكي "بمأرب"، وبالذات قبيلة (شداد)[*]، إلاّ أنّ احتلالها للقصر كان مؤقتاً، وبالرغم من فشل ذلك الهجوم؛ إلاّ أنه –دون شك– خلق كثيراً من المتاعب للأسرة الملكيّة (Ja 643)، عندما بلغت الاضطرابات أوجها، فدولة حضرموت –من جانبها– كانت تخوض حرباً ضاريّة في (الجوف) ضد السبأيّين في عهد الملك

---

(١) Bafaqih : l' unification .. p . 181 .

(*) شدّاد: أحدى قبائل "شبام كوكبان" أو (شبام أقيان) التابعة (لبني أقيان) الذين يتبعون بدورهم أقيال قبائل (بكيل)، كان زعيمهم انذاك يدعى (لحي عثت) [Ja 644]، أنظر أيضاً: الإرياني: نقوش مسنديّة، ص ٧٨.

السبأي (كرب إل بيّن)، في تلك الظروف برز قائد يسمّى (نشأ كرب) من قبيلة (بني جرة)، نجده يتولى بتفويض ملكيّ إجراء مفاوضات مع ملك حضرموت (يدع إل) الذي جاء بقوات كبيرة إلى إقليم (الجوف). بعد ذلك تحدّثنا النقوش عن مشاركة (نشأ كرب) عينه، في الحرب التي نشبت بين سبأ وحمير بعد فشل المفاوضات[1].

بعد تلك الأحداث نجد على عرش الدولة السبأيّة ملكاً يدعى (نشأ كرب يهأمن بن ذمار على ذريح)، ربّما هو نفسه القيل الذي ينتسب لشعب (بني جرة)، والذي جاء ذكره آنفاً، والملاحظ أنّ هذا الملك يلقّب نفسه بملك سبأ فقط، دون إضافة (ذي ريدان)[2]، ربمّا لكونه لا ينتسب للسلالة الملكيّة الحاكمة، أو ربّما اكتفى طموحه بسبأ وتخلى عن المشروع الكبير (سبأ وذي ريدان)، في فترة اشتد فيها الاصطدام الفكريّ بين الكيانيين السبأي والحميريّ، أمّا تسميتة بابن الملك (ذمار على ذريح) فربّما لإضفاء نوع من الشرعيّة لحكمه، كما هو سارٍ عند كثير من الملوك الذين لا ينتمون إلى العائلة الملكيّة، إلاّ أنّ ذلك يظل احتمالاً غير مؤكداً.

وفي الوقت الذي انشغلت فيه سبأ بحربها مع حضرموت، نجد حمير تغتنم الفرصة فتشنّ هجوماً على المناطق الجنوبيّة في عهد ملكها (ياسر يهصدق) الملك الحميريّ، الذي استطاع الوصول إلى منطقة (ضاف) جنوب (نقيل يسلح)، وكان باستطاعته الزحف باتجاه الشمال، لولا صمود (بني جرة) القبيلة السبأيّة الواقعة أراضيها على خط التّماس مع حمير شمال "نقيل يسلح"[3] كما أنّ (حضرموت) استمرت في ضغطها على (سبأ) مع قبائل (ولد عم) وقد تمخّضت تلك الحروب –على ما يبدو– عن قيام أسرة ملكيّة جديدة مؤسسها "إلي شرح يحضب" (الأوّل) الذي قدّر (فان وايزمن) عهده بحوالي عام (٨٥ للميلاد)، اتخذ (إلي شرح) لنفسه لقب ملك "سبأ وذي ريدان" وكان على علاقة وطيدة مع قبائل (بني جرة)، وما

---

[1]) محمد عبدالقادر بافقيه: "في العربيّة السعيدة"، دراسات تأريخيّة قصيرة الجزء الأوّل، مركز الدراسات والبحوث اليمنيّ، صنعاء ١٩٨٧ م، ص ٦٤-٦٥.

[2]) الإريانيّ: نقوش مسنديّة، ص ٣٠٤.

[3]) الإريانيّ: نقوش مسنديّة، ص ٣٠٤.

يؤكد ذلك تبنّيه لقيلين من أقيال (بني جرة) هما (سعد شمس أسرع) وابنه (مرثد يهحمد)، وربّما جاء ذلك كضرورة فرضها تردي الأوضاع السّياسيّة، فهناك نقش (Ja 853) سجّله الملك (إلي شرح يحضب) يتعهّد فيه نيابة عن القيلين، بتقديم قربان للإله (المقه) ليرعاهما[1]، كما نجد نقش (Ja 568) يتحدث فيه القيلان عن ولائهما لملوك سبأ، دون تحديد، كلّ ذلك يؤكد حقيقة ماحظي به القيلان بولائهما من مكانة مرموقة في الدولة السبأيّة.

ثالثاً: أقيال يصلون إلى سدة الحكم في مأرب

بعد الملك (إلي شرح يحضب "الأول") يأتي ابنه (وتار يهأمن) الذي يبدو أنه لم يستطع مواجهة التحديّ الريدانيّ، ولم يكن بالقوة التي تسمح له بإدارة دفّة أمور السّياسة، في تلك الظروف الصّعبة يواجه (وتار) تمرداً قامت به قبائل "خولان الجديدة" في (صعدة)[2]، أضف إلى ذلك الضغط الحميريّ المتواصل على دولة سبأ، إلاّ أن "وتار" لم يكن بمفردة، بل كان يقف إلى جانبه القيلان (سعد شمس اسرع) وابنه (مرثد يهحمد) من أقيال "بني جرة" -كما سبق وان أشرنا إلى ذلك- فجأة يتولى القيلان (سعد شمس) وابنه (مرثد) السلطة في مأرب، بقبول من جميع الأطراف ذات الشأن وهم: (الأسبؤ) كما جاء في النقوش ويقصد بذلك (السبأيّون)، والأقيال، (والخميس) وتعني "الجيش"، وقد نسبا نفسيهما إلى الملك السبأيّ (إلي شرح يحضب "الأول")، وربما جاء ذلك تلبية للأوضاع السّياسيّة، ولإضفاء الشرعيّة على حكمها.

إنّ إختيار "قيل" ليكون ملكاً ليس بالشيء الغريب في تاريخ اليمن القديم، فقد جاء عند (نشوان الحميريّ) تفسير لتلك الظاهرة، ففي رأيه، أن (وتّار) لم تطل مدة حكمه، بل ولم تثبت قدمه في المُلك، خاصة بعد أن حدث خلاف كبير على ولاية

---

[1]) محمد عبدالقادر بافقيه: "موجز تاريخ اليمن قبل الإسلام"، الفصل الأوّل من كتاب "مختارات من النقوش اليمنيّة"، ص ٣٣.

[2]) راجع نقش [Ja 601]

العرش، لكن أصحاب الحل والعقد في الدولة السبأيّة توصلوا إلى قرار أتفق عليه الجميع يقضي: بإبعاد "وتار" وكل المتنازعين على الحكم، وإختيار شخص، وإن لم يكن من الأسرة الحاكمة -بل يمكن ان يكون قيلاً- ويظل ذلك حلاً مؤقتاً ينتهي بعودة الملك غير الرسمي إلى مرتبة القيالة عند بلوغ الوارث الشرعيّ أشده[1].

كل ما جاء به "نشوان" يتطابق مع ما ذكرته النقوش، فقد فرضت الظروف السّياسيّة السائدة حينها، اختيار ملك آخر جدير بمواجهة التحدّيات العسكريّة، فجاء اختيار (سعد شمس أسرع) وابنه (مرثد يهحمد) (منتصف القرن الثاني الميلادي)، اللذين توافرت لهما صفات قياديّة، جعلت كل الأنظار تتّجه اليهما، وبالفعل تولى القيلان حكم الدولة السبأيّة، وكانت أوّل مهمة يواجهانها هي الحرب التي شنّها (الحلف الشرقي) الذي يضم كلاً من (حضرموت وقتبان وقبائل ردمان وخولان ومذحج) ضد سبأ، ويشير النقش(Ja 629) إلى أنّ (سعد شمس) وابنه الحقا بذلك الحلف هزيمة نكراء في أنحاء منطقة (وعلان)*، وفي مناطق بعيدة من أرض (أوسان)، غير أنّ فرحة الانتصار لم تدم طويلاً خاصة بعد أن تطوّرت الأحداث بصورة لم ترضِ السبأيين فتشعّبت المعارك، وشملت أغلب المناطق اليمنيّة القديمة. في تلك الظروف الساخنة، نجد أحد أقيال (همدان)، اسمه "يريم أيمن" يتوسط بين المتحاربين (CIH 315/5-11)، سبأ من جانب، والتحالف الشرقي من جانب آخر ويتحقق على يديه الصلح، إلاّ أنّ النقش لم يذكر تفاصيل شروط ذلك الصلح. بعد تلك الحرب الشاملة، نجد (ذمار على يهبئر وابنه ثأران يعوب) ملكا سبأ وذي ريدان "من الجانب الحميري" يصلا إلى القصر الملكي بمأرب، وربما جاء ذلك بسبب انحياز بعض أقيال سبأ اليهما[2].

---

[1]) نشوان الحميريّ: المرجع السابق، ص ٥٦ – ٥٧.

*) وعلان: عاصمة (ردمان) قديما هو ما يسمّى اليوم (المعسال) إقليم يقع إلى الشرق من رداع ناحية السواديّة، ويعد من المواقع الأثريّة الهامة، التي تحتوي على كمّ كبير من الآثار والنقوش راجع . AL- Garoo . A : les antiquités .. pp . 319 - 320 -

[2]) بافقيه: موجز تاريخ اليمن، ص ٤٠.

لكن هذين الملكين لم ينعما بالاستقرار في قصر (سلحين)، إذ تصدّت لهما كل قبائل (سمعي) بما فيهما (حاشد) وأقيالها من "بني همدان"[1]، تحت قيادة (وهب إل يحوز)، الذي خاض حرباً عاتية ضد (ذمار علي)، أمّا القيلان (سعد شمس أسرع) وابنه (مرثد) فنجدهما قد عادا إلى حالة القيالة، لكن إلى جانب الملك (ذمار على وابنه ثأران)، فالسؤال الذي يبرز أمامنا، ما هو السبب الذي جعل (سعد شمس أسرع) وابنه يغيّران موقفهما؟ فهل تحوّل موقف "بني جرة" بشكل كامل إلى الصّف الحميريّ بعد تخليّها عن القبائل السبأيّة؟ وماهي الدوافع القويّة التي جعلتها تنحاز إلى الصف الريدانيّ؟ هل حصل ذلك بسبب خلافات دبّت بين أقيال الهضبة السبأيّة؟ ! لقد حقّق (وهب إل) انتصاراً كبيراً على ملوك حمير وأعتلى عرش الدولة السبأيّة، وقد سانده في ذلك النصر الكبير، القيل الهمداني (يريم أيمن)، ولم يتخذ (وهب إل) اللقب المزدوج، بل لقّب نفسه بملك "سبأ" فقط دون أيّ إضافة[2].

في تلك الفترة نلمس تصاعد قوة الحميريّين المتحالفين مع حضرموت[3]، فيتضاعف نفوذهم وضغطهم على الدولة السبائيّة، ولم يكن (وهب إل) بالقوة التي تسمح له بالمواجهة فيتقوقع في (مأرب). بعد (وهب إل) تولى عرش الدولة ابنه (كرب إل يهنعم الثاني) الذي اكتفى بلقب ملك سبأ (Ja 564)؛ فقد أعتلى العرش في ظروف سياسيّة مضطربة للغاية، ثم أتى أخوه (أنمار يهنعم) إلى الحكم في ظروف أكثر سوءاً (Ja 562)، ولعل ذلك يبرر وصول القيل الهمداني (يريم أيمن) إلى سدة الحكم في مأرب، ويعتبر المؤسس الأوّل للأسرة الهمدانيّة[4].

أستمرت حمير في الضغط على الدولة السبأيّة، وتوسع خطرهم عليها، ولم يكن أمام ملوك (سبأ) سوى صدّ الزحف الريدانيّ بكل ما أوتوا من قوة، وعندما أستأنسوا في أنفسهم ضعفاً أخذوا يبحثون عن تحالفات، لتعزيز موقفهم العسكريّ.

---

[1]) بافقيه: في العربيّة السعيدة، جـ ١، ص ٦٩ -٧٠.

[2]) الإرياني: نقوش مسنديّة، ص ٩٢، راجع نقش (إرياني ٩).

[3]) الإرياني: نقوش مسنديّة، نقش إرياني ٨.

[4]) Bafaqih : l ` unification 308 ... p . 34 . -

رابعاً: تشعب الصراع العسكريّ ودخول الأحباش طرفاً فيه

إن استمرار الضغوط العسكريّة والاقتصاديّة، على سبأ جعلت "علهان نهفان" ابن "يريم أيمن" الذي يعود عهده لعام (٢٠٠ م) يبحث عن حليف لمواجهة التحدي الريدانيّ، فوجّه نظره صوب (حضرموت) الدّولة البحريّة المزدهرة، والبعيدة عن المدّ الريدانيّ[1]، فعقد "علهان نهفان" حلفاً مع ملكها آنذاك (يدع إل) ويذكر النقش السابق، إنّ التحالف عقد على أثر لقاء تم بين الملكين في منطقة (ذات غيل) بأرض قتبان، والغريب في الأمر أننا نجد ملك الحبشة (جدرة) يدخل في هذا الحلف، وقد أكّد النقش عينه أنّ "علهان نهفان" استقبل وفداً حبشياً بعث به ملك الحبشة للتوقيع على إتفاقية سلام ووفاء، وتعاون بين الملك الحبشيّ والملك السبأيّ، تلك الوثيقة تعد البداية الأولى للتّدخل الحبشي في الشؤون الداخلية لليمن.

قد يتساءل المرء، ما هي أهداف ذلك التحالف الثلاثي؟ من البديهيّ، أنّ لكل دولة من دول التحالف هدفاً سياسياً مرجواً، فبالنسبة "لسبأ" كان هدفها يكمن في إيجاد قوة تساعدها على صد الهجوم المتواصل من حمير، الذي كان يقلق أمنها وسلامتها، خاصةً وأنّها قد فقدت كثيراً من أراضيها، ومواردها الاقتصاديّة، بسبب فقدانها لعدد من منافذها البحريّة، فهي تطمح من ذلك الحلف تحجيم الريدانيين وإستعادة بعض ممّا سُلب منها؛ أمّا "حضرموت" فقد كان هدفها الحصول على موطأ قدم لها في الهضبة الغربيّة، والحيلولة دون التوسّع الريدانيّ، وبالنسبة "للحبشة" فهدفها يكمن في: إضعاف (حمير) المنافس الرئيسي والوحيد لها في تجارة البحر الأحمر[2]، وأنّ يكون لها نفوذ في الأراضي اليمنيّة الحلم القديم والأمل المنتظر.

بعد مواجهة عسكريّة، تمكّن الحلف الثلاثيّ من تحقيق أهدافه، فاستطاعت حضرموت الوصول إلى الهضبة الغربيّة باحتلالها أراضي "ردمان"، وغدت حينها جاراً وشريكاً لكل من سبأ وحمير في الهضبة، بل وأصبحت حدودها الغربيّة في

---

[1]) راجع النقش (CIH).

[2]) محمد عبدالقادر بافقيه : كريستان روبان : " أهميّة نقوش المعسال "، مجلة ريدان العدد ٣، لوفان ١٩٨٠، ص ٩ – ٢٩ .

خط التماس مع الحدودالسبأيّة والحميريّة* أمّا الحبشة فنجدها تسيطر على أجزاء من تهامة اليمن، ما بين "نجران" و "عدن"، وتصبح نتيجة لذلك قوة رئيسيّة، وأستطاعت سبأ بعد ذلك النصرأن تستعيد بعضاً من أراضيها التي استحوذت عليها دولة حمير[1].

بعد تلك الانتصارات التي حقّقها الحلف الثلاثيّ، نجد الملك (شعر أوتر) ابن (علهان نهفان) يشارك والده في الحكم، متخذاً لقب ملك "سبأ" فقط؛ يظل بذلك اللقب حتى أواخر عهده عندما لقّب نفسه بلقب (ملك سبأ وذي ريدان)، وأصبح له خميسان (جيشان) أحدهما سبأيّ والآخر حميريّ؛ وما كان ذلك ليتحقق لو لم يكن قد ضمّ بعض الأراضي الحميريّة إليه.

خامساً: سياسة شعر أوتر "ملك سبأ" مع الأحباش ومع حضرموت

لم يدم الوئام بين السبأيّين والأحباش طويلاً، فقد هاجم الأحباش بعض المناطق اليمنيّة، ممّا جعل الملك "شعر أوتر" يأمر قادته بمرابطة فرقة من الجيش على حدود حاشد لصد العدوان الحبشي والمتواطئين معهم[2]، خاصة بعد أن وصل الأحباش إلى نجران (Ja 635)، وشرق حاشد (إرياني ١٢)، وأصبحوا يشكلون خطراً يهدد حصون وقلاع بني (سؤران) أقيال ريده (Ry 5330)، في ظل تلك المستجدّات الخطيرة، اتخذ "شعر أوتر ٢١٠-٢٣٠" من (صنعاء) عاصمة ثانية له، ومنها كانت قواته تنطلق لتأديب القبائل المتمرّدة والمتواطئة مع الأحباش، كقبائل (خولان الجديدة)*، كما أصدر الملك في الوقت ذاته مرسوماً بتعيين (وافي أذرح) قائداً للقوات المرابطة في حدود قبيلة حاشد، بسبب الحرب التي شنها الأحباش ومن

---

[1]) - Bafaqih : l' unification .. p. 111 .

[2]) الإرياني: نقوش مسنديّة، ص ٤٨٢ – ٥٠٦، نقش "أم ليلى" (إرياني ٧٦).

*) خولان قضاعة: جاءت في النقوش بإسم خولان الجديدة "خ و ل ن ج د د ن، ج د د م، أج د د ن، ج د د ت ن"، كما تسمى خولان العالية، تقع أراضيها في إقليم صعده اليوم، أمّا أهم النقوش التي ذكرت هذه القبيلة (Ja 2109)، (Robin - Umm Laylà 1). وهناك قبيلة أخرى تحمل الاسم نفسه (خولان قضاعة) وتسمّى أيضا (خولان الطيّال) أو (خولان خضلم) وتقع أراضيها بين صنعاء ومأرب، أنظر: . Robin : les hautes terrs... . 1, p. 27

معهم من قبيلة "السواهر"، وقبيلة "خولان"، ولقد ظلّ ذلك القائد مرابطاً بقواته حتى سلّم الأحباش ما استولوا عليه من الدور في عدد من المناطق، كما هاجم الأعراب أيضاً قوات الملك في وادي (ذي وعر) بمغارب "حاشد"، وأنتصرت قوات الملك على الأعراب، وهناك نقش آخر يعود إلى نفس الفترة الزمنيّة لجماعة من شعب "خولان"، يذكرون فيه ولاءهم لملك سبأ، من خلال اعترافهم بسيادة القائد (وافي أذرح)، وإعلانهم التّجمّع والتحصّن من الأحباش.

كما أن قبائل كندة قد تمرّدت-هي الأخرى-على الملك السبأيّ "شعر أوتر" فواجهها الملك بحزم، كما يظهر من غارات قواته التي بلغت منطقة "قرية ذات كهل"* عاصمة (كندة) في موقعها المتوسط في شبه الجزيرة العربية[١].

لم تكن خولان الجديدة، وكندة وبعض قبائل المناطق الجبليّة من السّراة والمنخفضات بتهامة، هي المناطق الوحيدة التي حشد لها (شعر أوتر) القوات لتأديبها، بل نجد أنّ علاقته بدولة "حضرموت" أيضاً، قد تغيّرت إلى النقيض فبعد أن كانت علاقة "سبأ" و "حضرموت" في غاية الودّ، حيث توّجت-كما مر بنا آنفاً- بزواج ملك "حضرموت" (إل عزيلط) من ابنة الملك السبأيّ (علهان نهفان)-التي كانت تسمّى (ملك حلك) في عهد حكم الأب- نجدها تتدهور في عهد الابن (شعر أوتر) تدهوراً كبيراً، ولعل السبب في ذلك: حربٌ سبق أن شنها الملك (إل عزيلط) ضد الملك (شعر أوتر) ملك سبأ وذي ريدان، والحقيقة أن هناك نقشاً آخر[٢] يتحدث عن تحالف تم بين ملك حضرموت وملك حمير العدو اللدود لسبأ، في عهد الملك الحميريّ، (ثأران يعوب يهنعم)[٣]. لهذا نجد (شعر أوتر) يشن حرباً ضروساً على ملك حضرموت (إل عزيلط) وعلى جيشها النظامي وعلى قبائل حضرموت. دارت المعركة في مدينة (ذات غيل) بأرض قتبان، تمكّنت خلالها القوات السبأيّة من أسر

---

*) "قرية ذات كهل" عاصمة كندة تسمى حاليا "قرية الفاو".

[١]) -Bafaqih: l' unification. .pp. 376-377.

[٢]) راجع نقش إرياني ١٣، في الإرياني: نقوش مسنديّة، ص ١٠٩-١٢٢.

[٣]) Bafaqih: L'unification , pp 370-371.

ملك حضرموت، واصطحابه إلى (مأرب)، كما تمكّنوا من إذلال وإخضاع وإسقاط جميع أتباعه من أولاد عم*، ثم انطلقوا إلى قصر (شقير) بمدينة (شبوة) تنفيذاً لأوامر سيدهم (شعر أوتر)، بهدف تحصين القصر والمرابطة به لحماية وحراسة سيدتهم (ملك حلك) أخت الملك (شعر أوتر)، كما يحدّثنا النقش -عينه- عن عدد القوّات وعن سير الحرب، فيوصف الأعمال التي قامت بها القوات السبأيّة عند وصولها إلى أرض ملك حضرموت، ويذكر النقش: أنّه عند وصولهم قتلوا أولاد (إل عزيلط)، ووزراءه، ونوابه داخل القصر، كما قتلوا حكّام وبعض أقيال ورؤساء وأسياد مدينة (شبوة)، فرابطوا بالقصر الملكي (شقير) بشبوة مدة خمسة أيام، ظلوا خلالها يعانون من العطش، حتى وصل إليهم الملك (شعر أوتر) وجموعه الغفيرة، بعد استئصال القوة العسكريّة الحضرميّة في منطقة (ذات غيل)، وعند وصوله (شبوة) هاجم المدينة واستباحها وخرّبها، ولقي أخته (ملك حلك) بسلام، وفي نهاية النقش نجدهم يحمدون الإله على تلك الانتصارات ويعددون الأسرى والغنائم التي اغتنموها من تلك الغزوة[1].

على أثر تلك المعركة هدّمت (شبوة)، واتجهت القوات السبأيّة بعد ذلك إلى ميناء حضرموت الرئيسي (قنا)، ودمروا السفن الراسيّة فيه، والميناء بشكل عام، وعادوا سالمين. فالملك (شعر أوتر) لم يكتف بالانتصارات العسكريّة التي حققها على حضرموت بعد أن هزم ملكها وأسره ودمّر قصرها ومدنها، بل أراد أن يقضي عليها اقتصادياً حتى لا تقوم لها قائمة، فنفّذ هجومه العنيف على مينائها الشهير[2].

فبعد تلك السياسة العنيفة التي اتّبعها (شعر أوتر)، عادت للدولة السبأيّة هيبتها، فمن خلال تلك الحملات تمكّن ملك (سبأ) من تحرير الأراضي التي سيطر عليها الأحباش، وبذلك يكون قد حقّق طموحه الكبير من خلال بسط نفوذه على كل اليمن القديم شماله وجنوبه، شرقه وغربه. إنّ الوحدة التي حقّقها "شعر أوتر" لم تدم

---

*) أولاد عم: قبائل " قتبان وردمان وخولان، وأوسان وقسم "

[1]) أنظر نقش (الإرياني ١٣) في كتابه نقوش مسندية، ص ١٠٩-١٢٢.

[2]) راجع نقش (ارياني ١٣). أنظر أيضا :- Pirenne. J: lés temoins écrits. ..p.135.

إلاّ بضعة أعوام فقط[١] فقد كانت مرهونة بشخصه، وبعد وفاته جاء الملك (لحيعث يرخم) ملك (سبأ وذي ريدان)، إلاّ أنّ النقوش لم تتحدّث بشيء يذكر عن إنجازاته، ربما لقصر فترة حكمه.

في (ظفار) واصل ملوك "ذي ريدان" استخدام اللقب الملكيّ المزدوج "ملك سبأ وذي ريدان" وكان من بينهم الملك (لعزم يهنف يهصدق) الذي يحتمل أن يكون معاصراً للملك السبأي (لحيعث يرخم)، أمّا أهم الأحداث التي تذكرها النقوش في عهده، فتتمثّل في الغارات الحبشيّة المتكرّرة على (ظفار) العاصمة الحميريّة، والتي كادت أن تقوّضها، لولا أقيال (سبأ) الذين وقفوا إلى جانب الريدانيّين ضد الأحباش؛ وخاصة أقيال بني جرة في مقرهم (نعض) وليس في ذلك أيّة غرابة، فقد سبق وأن مرّ علينا، أنّ أقيال "بني جرة" عندما اختلفوا مع أخوتهم السبأيّين في عهد ملكهم (سعد شمس اسرع). وابنه، انضموا إلى حمير، وربما ظلّت علاقة "بني جرة" الحميريّين تتأرجح بين الود، والنزاع حسب ما تقتضيه المصلحة، وبفضل ذلك التعاون السبأي –الحميريّ، أجبر الأحباش على الإنسحاب بعد معارك طاحنة، وعلى أثر نفاذ مؤن الاحباش من الأغذية[٢].

سادساً: إلي شرح يحضب (الثاني) ومنافسه العنيد شمرّ يهحمد

تولّى (إلي شرح يحضب) "الثاني" وأخوه (يأزل) في عام (٢٤٠–٢٥٠م) –تقريباً– زمام أمور الدولة السبأيّة، بلقب ملكي "سبأ وذي ريدان" ؛ وكانا حينها معاصرين للملك (شمر يهحمد) ملك "سبأ وذي ريدان" أيضاً بظفار "العاصمة الحميريّة"، وقد كشفت لنا النقوش الخاصة بتلك الفترة، عن الخصومة الكبيرة الّتي كانت سائدة بينهما –أعني الملك الحميريّ والملك السبأي– ونستشف ذلك العداء من خلال المعارك الطاحنة التي كانت قد نشبت بينهما، فكل منهما يطمح في التفرّد

---

[١]) Robin. ch: Aux origines de l'état de Himyar... p. 111

[٢]) Ibid.

بالسّلطة، وتحقيق الوحدة السّياسيّة، ويبدو أنهما كانا متكافئين بالقوة والمكانة، بدليل أنّ أحداً منهم لم يتمكّن من تحقيق النصر على الآخر، فأغلب النقوش المكتشفة لتلك الأحداث، هي: نقوش سبأيّة، بلغ عددها قرابة (٤٠) نقشاً، بينما لانجد لـ (شمر يهحمد) سوى نقش واحد، وهو: نقش (بيت ضبعان-إرياني ٤٩)، ففي عهد الملك "شمر يهحمد " يمتّد النفوذ الحميريّ إلى مناطق (ردمان)، التي ربما تكون قد خرجت من يد حضرموت، عندما وجه اليها الملك (شعر أوتر) ضربته القويّة، وعلى ضوء ذلك التوسّع، تصبح حدود دولة حمير ممتدة من "ردمان" شرقاً، إلى "إلهان" غرباً، ويظلّ "نقيل يسلح" والنقايل او (المناقل)[١] الحد الشمالي بين سبأ وحمير، أمّا جنوباً فتمتد أراضيها حتى خليج عدن، والبحر العربيّ. (أنظر الخريطة رقم ١٧).

في أحد نقوشه[٢]، يحدثنا "إلي شرح يحضب" عن الانتصارات الساحقة التي حقّقها، على أعدائه من "بني ذي ريدان" والأحباش والأعراب وكيف أوقف زحفهم وتقدمهم باتجاه (صنعاء)، ممّا جعلهم يتقهقرون إلى مناطق اطلاقهم، ويبدو أن الملك (إلي شرح) يقود الجيوش بنفسه، فقد انطلق مرة بجيوشه إلى (تهامة)، لملاقاة الأحباش الأكسوميّين وأحابيش العرب[*]، فلا يكاد يدحرهم ويقتل قادتهم ويعود إلى (صنعاء)، حتى يأتيه خبر وصول حملة حبشيّة أخرى إلى "نجران"، ممّا يضطرّه للانطلاق لتأديبهم وإخضاعهم لسلطته، بتعيين والياً عليها من قِبله، ثم يحدثنا عن حملة قام بها ضد مملكة "كندة" بمهاجمة عاصمتها (قرية)، ويبدو أنّ الهدف من تلك الحملة إعادة الملك السابق لكندة على رأس الدولة وإزاحة الملك الجديد الذي نصّبوه، ولضمان عدم التّمرّد نجده يصطحب معه عدداً من الرهائن إلى مأرب. من جانب آخر نجد "إلي شرح" يواصل الاقتتال ضد الحميريّين في الجنوب، وهكذا نجد أن

---

[١]) بافقيه-روبان: أهميّة نقوش المعسال ص ١٨.

[٢]) الإرياني، نقوش مسنديّة، ص ٢٥٨-٢٥٩، أنظر نقش (إرياني ٤٩).

[*]) أحابيش العرب: يقصد به القبائل اليمنيّة المختلطة بالأحباش (الإرياني: نقوش مسنديّة، ص ٢٥٩).

أكثر نقوش الملك (إلي شرح يحضب الثاني) وأخيه، يغلب عليها الطابع العسكري، فهي تحدثنا عن الحروب التي خاضاها، والغارات والحملات والانتصارات والهزائم التي لحقت بهما، كما تذكر الوفود التي سيّراها، والمفاوضات والمصالحات التي تمت في عهديهما[1].

إلى جانب ذلك النوع من النقوش، ترك لنا "إلي شرح يحضب" نقوشاً أخرى تتحدث عن الصلات الوديّة، والعلاقات التجاريّة التي تمت بين ملوك سبأ (إلي شرح يحضب وأخيه) وبين عرب الشمال[2].

من الجانب الحميريّ، يحدثنا الملك "شمر يهحمد" في نقش "بيت ضبعان" [3] عن إعادة تعمير موقع "التعارم"[*]، ويبدو أنّه عبارة عن مصنعة عسكريّة كانت تابعة للملك (إلي شرح)، أيّ أن "شمر" قد توغل في الأراضي السبأيّة، وتجاوز بذلك سلسلة الجبال التي كانت تعتبر التحصين الأوّل لمدينة (صنعاء)، لهذا نلاحظ الاهتمام المتزايد (لشمر) بهذا التحصين استعداداً لاستئناف القتال.

بعد تلك الأحداث العسكريّة العنيفة، نستشف من النقش -عينه- رغبة الطرفين في التوقيع على هدنة، يستطيعون خلالها التقاط أنفاسهم وإعادة ترتيب صفوفهم، إلاّ أنّ الهدنة لم تدم طويلاً، فيتّهم "إلي شرح" عدوه "شمر يهحمد" بالاخلال بالمواثيق والاستعانة بالأحباش.

أمّا نقش (إرياني ٦٩)[4] فيتحدث عن الصلح والسلم والتآخي الذي تم بين الفريقين السبأيّ والحميريّ، يحدثنا هذا النقش عن أنّ الملك (شمر يهحمد) قد أرسل وفداً للملك السبأيّ (إلي شرح ولأخيه يازل)، طلباً للسلام ولتحقيق التآخي واندماج

---

[1]) الإرياني: نقوش مسنديّة، ص ٢٥٨-٢٥٩.
[2]) بافقيه-روبان: "نقوش محرم بلقيس" ، مجلة ريدان، العدد الأول، لوفان، ١٩٧٨ م ص ٥٤٥.
[3]) الإرياني نقوش مسنديّة، ص ٢٥٢.
[*]) التعارم: يقع على بعد بضعة كيلومترات إلى الشرق من قمة "نقيل يسلح" كان يعد أحد المواقع التابعة للسبأيّين، ضمن أراضي " بني جرة " وبعد أن تجاوزها "شمر يهحمد" أصبح موقعاً متقدما للحميريّين في الأراضي السبأيّة.
[4]) الإرياني: نقوش مسنديّة، ص ٣٤٥.

الكيانين ممثلين باندماج القصرين قصر "سلحين" وقصر "ريدان" في كيان واحد مربوط برباط لا انفصال فيه.

ويبدو أنّ تلك الرغبة المشتركة في الصلح قد تحققت ونتج عنها :

(١) توحيد القوّتين العسكريّتين السبأيّة والحميريّة.

(٢) وقوف القوة الموحّدة في وجه الأعداء الخارجيّين؛ وبالذات الأحباش وعملائهم.

وعلى الواقع قام الملكان بتشكيل قوة قوامها (سبأي-حميريّ)، وتزعماها ضد بقايا الأحباش في تهامة، وأعوانهم المحليين من قبائل (سهرة)، وغيرهم من المناوئيين للأحباش في سهول المناطق الشماليّة من تهامة [1].

بعد (إلي شرح وأخيه) نجد على عرش سبأ، الملك (نشأ كرب يؤمن يهأمن) ابن (إلي شرح يحضب الثاني) وأخاه (يأزل بيّن) ملكي سبأ وذي ريدان. والملفت في اسم الملك الجديد إنّه ينتسب للأب وللعم معاً -ولم نجد تفسيراً لهذه الظاهرة حتى الآن- ويرجّح أنّ التسمية الملكيّة تركّز على النسب الملكيّ كنوع من إضفاء الشرعيّة في الحكم، وقد يكون أمّا ابن (إلي شرح) الحقيقيّ، أو إبن أخيه (يأزل).

يعود لهذا الملك قرابة (٣٠) نقشاً طويلاً، يغلب عليها الطابع الحضاريّ السلميّ، ونلاحظ من خلالها اهتمامه اللامحدود بالقضايا المحليّة وبالشؤون المتعلقة باقتصاد البلاد، فقد اهتم بالغلال والأمطار والسيول ومنشآت الري، ويذكر أموراً شخصيّة أخرى، فنجده دوماً حامداً وشاكراً الآلهة لما قدّمته له من خيرات، وماحقّقت له من آمال ونجاحات[2]، اذاً فنقوشه بشكل عام تعكس واقعاً يسوده الهدوء والاستقرار بخلاف والديه، ربما كان ذلك ثمرة الصلح الذي تم بين الكيانيين السبأي والحميري[3].

تتحدث بعض النقوش عن حملات بسيطة وجّهها (نشأ كرب) ضد قبائل

---

[1]) المرجع نفسه، ص ٣٤٥. ...

[2]) راجع النقوش التالية (Ja . 616 . 608 . 625)

[3]) الإرياني: نقوش مسنديّة، ص ٣٦١.

وعشائر (خولان) الجديدة، لفض النزاع الذي كان ناشباً بينهما، ويحدثنا النقش عن عودة قواته إلى (صنعاء) بالضمانات والرهائن[1]، وكان هدفه من وراء تلك الحملات الحفاظ على الاستقرار والأمن السياسيّ، حتى يتسنى له التفرغ للإنجازات الاقتصاديّة والحضاريّة بشكل عام.

أمّا في "حمير" فقد جاء بعد (شمر يهرعش) الملك (كر ب إل أيفع) والذي لم تحدثنا النقوش بشيء يذكر عن إنجازاته.

ظلّت الأوضاع السّياسيّة في اليمن حتى نهاية القرن الثالث الميلادي بشكل عام في حالة من التمزّق والفوضى، فملوك سبأ يخوضون حرباً ضد الأحباش وضد القبائل المتمردة، كما نجد "حمير" تواصل الاقتتال في أكثر من جبهة، الأحباش على الشريط الساحلي من جهة، وسبأ من جهة الشمال وحضرموت من جهة الشرق، هذا إذا استثنينا بعض الفترات القصيرة التي تعيشها تلك الكيانات في أمن وهدوء نسبيين.

أمّا الأحباش فنجدهم في تلك المرحلة، يواصلون توغلهم إلى المناطق الداخليّة، في محاولة يائسة منهم للسيطرة على (ظفار) العاصمة الحميريّة، عن طريق (المعافر) التي كان أميرها (ذو معافر) موالياً لهم.

ظلّ الوضع كذلك حتى جاء الملك الحميري "ياسر يهنعم" (٢٦٠-٢٧٠ م) واشترك معه ابنه (شمر يهرعش) في الحكم، وبفضل ذلك الملك وابنه تمكّنت القوات الحميريّة من الوصول إلى سدة الحكم بمأرب[2]، في نهاية القرن الثالث الميلادي، وبذلك النصر تحقق الحلم الكبير وأصبح لقب ملك "سبأ وذي ريدان" لقباً حقيقياً، وتم بالفعل توحيد الكيانيين السياسيّين السبأي والريدانيّ، بعد صراع طويل دام حوالي ثلثمائة عام، وبذلك انطوت مرحلة من تاريخ اليمن القديم، اتّسمت بالصراعات العسكريّة والمتشعّبة. ويجب الإشارة هنا إلى أنّ هذه المرحلة

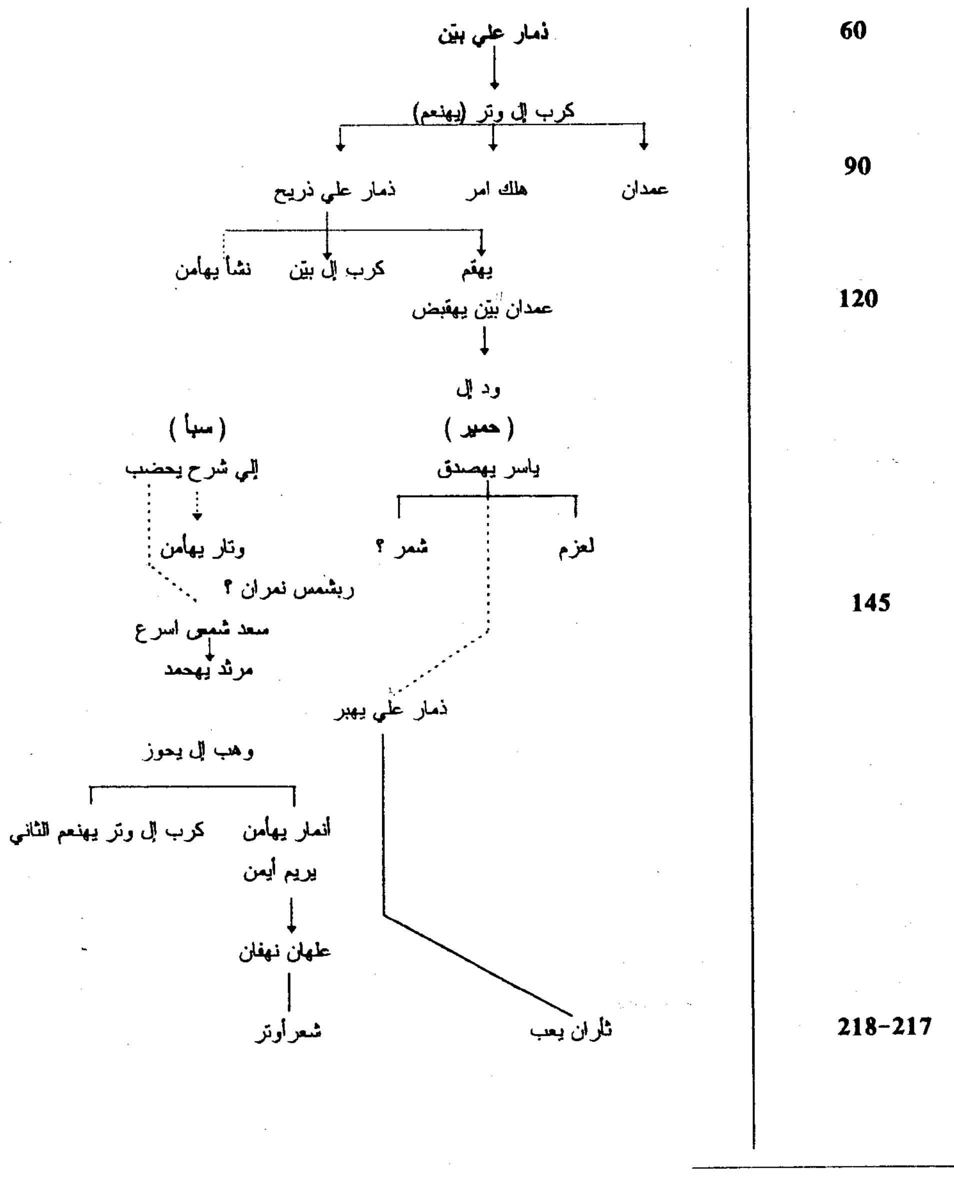
---

[1]) المرجع نفسه، ص ٣٥٨-٣٦٠.

[2]) راجع نقش (ارياني ١٤).

تفتقر إلى النقوش الحضرميّة والحميريّة، فما توفر من نقوش في الغالب سبأيّة مما يؤثر سلباً في الوقوف على الحقيقة الكاملة للأوضاع السّياسيّة والعسكريّة، ويجعل المقارنة غير إيجابيّة، والاستنتاج يحتاج إلى كثير من الحذر. إذاً فالبحث عن النقوش الحضرميّة والحميريّة لتلك المرحلة ضروري جداً، لأنّه قد يسلّط الضوء على أحداث أخرى، ويكشف لنا النقاب عن معلومات وحقائق لازال يكتنفها الغموض.

كرونولوجيا ملوك سبأ وذي ريدان
كما جاء عند (كريستيان روبان)[1]



- Robin, ch : Gurre et épidémie ... , P , 229 ([1]

كرونولوجيا ملوك سبأ وذي ريدان

كما جاء عند (بافقيه)[1]

ميلادي	سبـــــأ		ذو ريدان / حمير	
	ذمار علي وتر يهنعم			
	ذمار علي بين (؟)			
	كرب إل وتر يهنعم (الأول)	السلالة السبأية التقليدية		
	هلك امر / عمدان بين يهقبض		الأنواء بنو ذي ريدان	
	ذمار علي ذرح			
	كرب إل بين / يهقم		ياسر يهصدق	
	نشأ كرب يهأمن يهرحب			
	يشمس نمران	بداية حكم ملوك الاقيال		
	إلي شرح يحضب (الأول)			
	وتار يهأمن			
242-241	سعد شمس اسرع + مرثد يحمد			
	وهب إل يحوز		ذمار علي يهبئر + ثاران	
	كرب إل وتر يهنعم (الثاني)			
	أنمار يهأمن	المرحلة الهمدانية		
	يريم أيمن + كرب إل أوتر			
	علهان نهفان			
218-217	شعر اوتر			
	لحيعة يرخم			
	فارع ينهب			
249-248	إلي شرح يحضب (الثاني) + يأزل بين		ثاران يعب يهنعم	الأحباش في المعافر وتهامة
265	نشأ كرب يأمن يهرحب		لعزم يهنف يهصدق	
			شمر يهحمد	
			كرب إل أيفع	
			ياسر يهنعم	
281	نهاية حكم الأسر القبلية في سبأ وتوحيد سبأ وحمير علي يدي ياسر يهنعم وشمر يهرعش			
295	ضم حضرموت وقيام دولة التبابعة : شمر يهرعش ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة.			

---

[1]) بافقيه : المستشرقون ....، جـ2 ، ص 999

الفصل الثالث

دولة سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة
(أحداث القرن الرابع الميلادي)

أولاً: شمر يهرعش يضّع الأسس الأولى لدعائم الدولة المركزيّة، دولة: (سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة).

ثانياً: تاريخ الأطماع الحبشيّة في اليمن.

ثالثاً: اليزنيون ودورهم السّياسيّ في تثبيت دعائم الدولة الجديدة.

رابعاً: الأعراب جزءٌ لا يتجزأ من القوة العسكريّة للدولة المركزيّة.

خامساً: التحوّلات الدينيّة وأثرها على الوضع السّياسيّ.



الفصل الثالث

دولة سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة
(أحداث القرن الرابع الميلادي)

أولاً: شمر يهرعش يضع الأسس الأولى لدعائم الدولة المركزيّة دولة "سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة"

بعد أن تحقق لشمر يهرعش ولوالده "ياسريهنعم" وحدة الكيانين السياسيّين، سبأ وحمير، وأصل "شمر يهرعش" تصفية الجيوب الحبشيّة في تهامة[1]. وقد شكّلت تلك الخطوة العسكريّة حماية أكيدة للجيش الحميريّ من الغرب، ثم وجّه نظره صوب دولة حضرموت شرقاً وتمكّن بالفعل من ضم أجزاء منها، وفرّ ملوكها إلى المناطق الداخليّة، ومن هناك ظلّوا يقاومون الهجوم الحميريّ - السبأي[2] واستمرت مقاومتهم إلى ما بعد عهد (شمر يهرعش)، حتى عهد الملك الحميريّ (ذمار على يهبر) ملك "سبأ وذي ريدان "[3].

بعد أن ضمّ (شمر يهرعش) أجزاء من حضرموت، لقّب نفسه (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة)، لذلك اعتبره الإخباريون أوّل التبابعة. وأحاطوه بهالة من التمجيد والتعظيم.

ولتوطيد دعائم الحكم وضمان الاستقرار، وجّه (شمر يهرعش) قواته غرباً

---

[1]) أنظر نقش (CIH 407) .

[2]) أنظر نقش (977 , Ja 656)

[3]) محمد عبدالقادر بافقيه: "اليزنيون وخلفية الأحداث التي أدت إلى قيام؟ وسقوط حكم الأحباش في اليمن قبيل الاسلام" في كتاب العربيّة السعيدة، ج١، ص ٨٧.

فعل على ذلك الهجوم[1]، أمّا أهم نقش حميريّ يتطرق لغزوات (شمر يهرعش) شمال شبه الجزيرة، فهو نقش (شرف الدين ٣١)، يذكر النقش ان عامل "شمر يهرعش" في صعده ويدعى (ريمان ذو حزفر)، اشترك في عدة حملات وجّهها ملكه إلى الشمال، ثم استمر غازياً في سريّة حتى وصل إلى (طسيفسة) و (كوك) و (المدائن)[*]، وبلغ أرض تنوخ (دولة اللخميين) في الحيرة[2]. فهل وقف "امرؤ القيس" في طريق تلك الحملة دفاعاً عن الدولة الساسانيّة، ومن ثم حدث الصدام العسكريّ؟[3].

هناك احتمال آخر يرى (بيستون Beeston)[4] أنّ حكم "امرئ القيس" قد ... حوالي عام (٢٩٧م) فترة سلام بين روما وفارس، لهذا نجد ان "امرأ القيس" يحتفظ بعلاقة جيدة مع الامبراطوريتين كما جاء في نقشه، ولكن بعد ان شبّ الخلا... جديد بين روما وفارس، نجده يقف إلى جانب روما، أمّا سبب ذلك فيوضحه على) بقوله: "أن امرأ القيس كان من حزب" بهرام الثالث "الفارسي، و... الخلاف بين الفرس على العرش وانتصر (نرسي) خرج (امرؤ القيس) من ... قاصداً بلاد الشام، ومال إلى الروم، فأقروه على عرب بلاد الشام"[5].

اذاً "فامرؤ القيس" لم يكن في تلك الفترة يدافع عن (فارس) بل قد تحوّل إلى الصف الرومانيّ، ويبدو أنه برز حينها كقائد متحرر له استقلاليته، وما هجومه ذلك إلاّ نابع من طموح لايقل عن طموح (شمر يهرعش) في مد النفوذ والهيمنة، وربما

---

[1]) فكتور سحاب: "إيلاف قريش، رحلة الشتاء والصيف"، كومبيو نشر المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٢ م، ص ٩٢.

[*]) مدينتي فارس وعاصمة الدولة السّاسانية على نهر دجلة.

[2]) أ. ج. لوندن: "الموظف والدبلوماسي السبأي"، ترجمة: قائد طربوش، مجلة الإكليل، العدد (٢)، السنة (٣)، ١٩٨٨ م، ص ١٩ – ٢٥.

[3]) محمد عبدالقادر بافقيه: "مملكة نزار وإقليم البحرين"، مجلة دراسات يمنيّة، العدد صنعاء ١٩٨٤، ص ٦٢.

[4]) - Beeston. A:" Nemara and Faw ", dans (BSOAS) . 42 , 1979 . p. 5 -6

أنظر أيضاً: - Bafaqih : l'unification ... p. 306.

[5]) جواد علي: المفصّل ج ٣، ص ١٩...

الوقوف لصد التوسّعات الحميريّة، وعند التمعّن في الأسلوب الذي كتب به نقش نستشف ذلك الطموح، خاصة عندما أطلق على نفسه لقب "ملك كل العرب" وملك قبائل الأسد (الازد) ونزار ومعد"، وبوصوله إلى "نجران" يكون قد حقق ذلك الطموح[1].

أمّا قبائل "كندة" و "مذحج" فهم يعدون منذ ذلك الوقت من ضمن القبائل التي كانت تمثّل جزءاً من القوات العسكريّة الحميريّة، ومن الطبيعيّ أن يواجه "شمر يهرعش" قوات (امرئ القيس) التي وصلت إلى نجران.

وأصل خلفاء "شمر يهرعش" محاولة إخضاع القبائل البدوية المتشاكة في مرتفعات السّراة، الأغوار، التي ظلّت خارجة عن حكم الدولة الحميرية، كما استمروا في حملاتهم على الأجزاء الداخلية لحضرموت، وقد ساندتهم قوات الأعراب في تلك الحملات المتكررة، كما ظلّ يحملون نفس اللقب الملكي الذي اتخذه الملك "شمر يهرعش" (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة) ومنهم (ياسر أيمن) و (ذمار على يهبر) وابنه (ثاران يهنعم) وقد عثر على نقش للملك (ذمار على يهبر) يتحدث عن الإصلاحات التي أقامها لبعض الطرق، إلاّ أنّه كان يلقّب نفسه بملك "سبأ وذي ريدان" فقط. ويرى (فان وايرمن) أنّ الملك (ذمار على يهبر) الذي حكم بين عام (٣٤٥ - ٣٦٠م)، قد دخل في النصرانيّة بتأثير من المبشّر (ثيوفيلس)، ربّما يكون ذلك صحيحاً، فمنذ منتصف القرن الرابع الميلادي، والديانات المسيحيّة واليهوديّة قد وجدتا طريقهما إلى اليمن، إلاّ أنّ حفيده الملك "ملكي كرب يهأمن" والد الملك الحميريّ (أبي كرب اسعد) اعتنق الديانة اليهوديّة، وثار على الأحباش في أوائل الربع الأخير من القرن الرابع الميلادي[3]، وطردهم من اليمن. و سنبحث ذلك بشكل أكثر تفصيلاً في الفصول اللاحقة.

---

[1]) نقش النمارة (RES 483)

[2]) . Beeston: Ramification... - pp. 305 - 314

[3]) الارياني: نقوش مسندية، ص ٤١ - ٤٥؛ نقوش الارياني (...)

ثانياً: تاريخ الأطماع الحبشيّة في اليمن:

قبل الحديث عن الأطماع الحبشيّة في اليمن، يجدربنا أولاً أن نتطرّق لقيام دولة أكسوم، كيف ومتى تأسست؟ وما هي مصالحها في المنطقة؟!

تواصلّت الهجرات التي كان يقوم بها السبأيّون إلى البر الأفريقيّ منذ الألف الأول ق.م، وبالذات إلى الهضبة الارتيريّة، حيث أنشأوا العديد من المستوطنات في أنحاء متفرّقة من تلك الهضبة، ولاغرابة لتلك الهجرات المبكّرة، فالمسافة بين الساحل اليمنيّ –وبالذات عند (باب المندب)– والساحل الأفريقي تضيق بدرجة يسهل رؤية مرتفعات الشاطئ المجاور في أوقات يكون فيها الجو صحواً[1]. فأول ما عرف اليمنيّون الإبحار، وجهوا نظرهم صوب أقرب يابسة، وكان ذلك البرّ الأفريقيّ المجاور، وبفضل النشاط الاقتصادي لتلك الجالية، برزت منها طوائف عرفت "بالجعزيين" أي (الأحرار) الذين حظوا بمنزلة اقتصاديّة مرموقة ومكانة سياسيّة كبيرة[2]، ومع مرور الزمن تمكّنوا من تشكيل مركز حضاريّ راقٍ، تمثّل في تأسيس كيان سياسي مستقل أطلق عليه (دولة أكسوم)، تلك الدولة التي غدت منذ مطلع الميلاد المنافس الخطير لدولة "حمير".

لقد اتسمت الحياة في دولة اكسوم بطابع يمنيّ صرف، فالمعطيات الأثريّة والنقشيّة التي عثر عليها في الحبشة تحمل طابعاً سبأياً، خاصة في المجال اللغوي، والفنيّ، والهندسيّ، أمّا أقدم النقوش التي عثر عليها في الحبشة، فيعود تاريخها إلى القرن الخامس ق.م، وقد كتبت بالخط السبأي، كما نجدهم يطلقون على بعض الأماكن اسماء يمنيّة، مع ذكر (سبأ) و (مأرب)، ويحتلّ الإله "السبأي" (المقة) مكانة هامة بين معبوداتهم القوميّة[3].

---

[1]) بافقيه: تاريخ اليمن ....، ص ١٦٦.

[2]) عبدالعزيز صالح: المرجع السابق، ص ١٢٦.

[3]) الشيبة، عبدالله حسن: "إسهام العرب في قيام وتطور أكسوم"، مجلة الاكليل العدد (٤) السنة السابعة ١٩٨٩م، ص٣١ –٤٤.

منذ القرن الأول الميلاديّ برزت دولة (أكسوم)، كياناً سياسـياً قويـاً، ينـافس دولة حمير الناشئة في الجهـة الأخـرى من الشـاطئ المقـابل، وكـانت تلـك المنافسـة تهدف إلى السيطرة على البحر الأحمر، الذي كان حينها من أكثر الشواطئ انتعاشـاً، وبحكم تلك المنافسة نجد حكام (أكسوم) يدخلون مع ملـوك اليمـن فـي صـراع تـارة، وتحالف تارة أخـرى، حسـب مـا تقتضيـه الظـروف، إلاّ أنهـم ظلـوا يتطلّعـون بعيـن الطامع صوب اليمن القديم، ويترقّبون أيّ اختـلال سياسـيّ ليتسـللوا علـى أثـره، إلـى المناطق الداخليّة -كما سنرى ذلك لاحقاً-.

أمّا أوّل إشارة نقشيّة تتحدث عن العلاقات اليمنيّة - الحبشيّة، فقد جاءت في نقش (CIH 308) الذي يعود إلى عهد الملـك السـبأي (علهـان نهفـان) (القـرن الثـاني الميلادي)، حيث ذكر تقرّب الملك السبأي إلى الإله (تألب ريـام)، إلـه قبيلـة همـدان، وأشار النقش لاستقباله سفير ملك الحبشة (جدرة)، الـذي يتمنـى أن يقيـم معـه علاقـة وديّة[1].

لقد جاءت تلك الأمنية في فترة شهد فيها اليمن حالة من التمزّق، والصـراع العسكريّ المرير والمتشعب، بين سبأ وحمير وحضرموت، في تلك الأجواء الخانقة، كان ملك سبأ يبحث عن منقذ يكون حليفاً له لصد الهجمات الحميريّـة، بـالفعل تمكّن من تشكيل حلف ضمّ كلا من سبأ والحبشة ودخلت حضرمـوت طرفـاً فيـه، فـأصبح حلفاً ثلاثياً ضد حمير، وكان لكل طرف من هذه الأطراف أهداف محددة -سبق وأن أشرنا إليها[2]-.

وبعد تشكيل الحلف تمت المواجهـة العسـكريّة مـع حمـير، وانتصـر الحلـف الثلاثي وتحققت أهدافه، ومايهمنا هنـا، إن الأحبـاش ومنـذ تلـك الفـترة، أوجـدوا لهـم موطأ قدم في المنطقـة علـى الشـريط السـاحليّ الغربـيّ، مـن (عـدن) جنوبـاً، وحتـى (نجران) شمالاً، مروراً باقليم المعافر (الحجريّة اليوم).

---

1) - Robin. ch: " La première intervention Abyssin en Arabie Meridionale" (de 200 - 270 de l'ere chretiénne environ) dans proceeding of the English International Confernce of Ethiopian Studies , vol 2 , Addis Ababa , 1989 , p. 149 .

2) Ibid , 149 ...

بعد "علهان نهفان" تولى ابنه "شعر أوتر" حكم سبأ (٢١٠ -٢٣٠م) تقريباً ويبدو أن العلاقات الدبلوماسيّة بين سبأ والحبشة ظلّت قائمة في بداية عهده، فالنقش (Ja 631) يحدثنا عن سفارة سبأيّة اتجهت إلى ملك الحبشة وأكسوم (جدرة) إلاّ أنّ ذلك النقش لم يحدثنا شيئاً عن تفاصيل تلك المهمة[١].

بيد أن الأحباش لم يكتفوا بتلك الانتصارات العسكريّة التي تحققت لهم، ولا بتلك العلاقات الدبلوماسيّة الجيدة التي أقاموها مع ملوك سبأ، فأخذوا يبحثون عن مزيد، خاصة وأن الظروف السّياسيّة المترديّة كانت مناسبة لهم لتحقيق أطماع أخرى، عندما شرعوا في مد نفوذهم بشكل سافر في كثير من المناطق الداخليّة، منتهجين سياسة الاندماج مع السكان اليمنيّين وتوطيد العلاقات مع بعض القبائل وسبق أن عرفنا أن قبيلة "خولان الجديدة" كانت تشكّل خطراً يداهم الدولة السبأيّة بدافع من الأحباش، كما تغلغلوا بشكل كبير في إقليم "نجران"[٢]، وغرب "حاشد" وسيطروا على بعض حصونها..[٣].

أمام تلك الوضعيّة لم يصمت ملوك سبأ، فأصدر الملك السبأيّ (شعر أوتر) مرسوماً عسكريّاً يقضي بتعيين أحد قادته ويسمّى "وافي أذرح" للمرابطة على حدود قبيلة حاشد، وبالفعل ظل مرابطاً حتى سلّم الأحباش ما استولوا عليه من الدور في عدد من المناطق[٤].

وقد حدثنا النقش (Ry 533) عن تحرشات حبشيّة ضد حصون وقلاع (بني سؤران) أقيال ريدة، وقد ساندهم في ذلك الأعراب القاطنون في تلك البقاع، وكذلك قبيلة خولان الجديدة، وقبائل مختلفة من تهامة منها قبيلة (ذي سهرة)*، ونجد أن

---

[١]) Bafaqih: l'unification... , p. 259

[٢]) راجع نقش (Ja 631)

[٣]) Bafaqih: l'unification... , p. 259

[٤]) الإرياني: نقوش مسنديّة، ص ١٠٠ – ١٠٨ (النقش: ارياني ١٢).

*) سهرتن: إسم (معرفه) جاء في النقوش كثيرا، وقد يكتب (سهرتم) نكره، ويطلق هذا الاسم على المنحدرات المعروفة باسم تهامه، وقد ذهب العلماء إلى أن هذا الاسم يقابل اسم "السراة" عند (الهمداني) ويطلق على القبيلة التي تستوطن هذا الأقليم (السهرة) أو (ذي سهرة).

جميع تلك القبائل كما تشير النقوش - خارجة دوماً عن طاعة الدولة السبأيّة.

وفي الوقت ذاته، نجد حميراً أيضاً تواجه تحدياً، وتهديداً حبشياً، فقد توغل الأحباش في المناطق الجنوبيّة من دولة حمير، ووصلوا حتى (ظفار)، كان ذلك في عهد الملك الحميري (العزم يهنف يصدق) لم يطل مقام الأحباش كثيراً عندما أجبروا على الأنسحاب[1].

في (سبأ) وصل إلى عرش الدولة الملك (إلي شرح يحضب) "الثاني" وأخوه (يأزل)، حوالي عام (٢٤٠ - ٢٥٠ م) تقريباً، فترة شهدت فيها المنطقة معارك ضارية ضد الأحباش من الجنوب إلى الشمال، وعينوا عليه حاكماً حبشياً، يدعى (سيلقم)[2]، إلاّ أنّ (إلي شرح) وأخاه أستطاعا أنْ يتغلباعلى النفوذ الحبشي بنجران، كما هاجم قبيلة (عك) التهاميّة التي ظلت موالية للأحباش، بل أرتبط اسمها دوماً بهم[3].

وفي عهد الملك الحميريّ (شمر يهحمد) المعاصر لـ (إلي شرح يحضب) (الثاني) وأخيه (يأزل) شهدت العلاقة الحبشيّة - الحميريّة تطوراً جديداً، فقد سادها نوع من الوئام، وكان الهدف من ذلك الوئام ضرب الدولة السبأيّة[4].

إلاّ أنّ تلك العلاقة الحميمة لم تدم طويلاً، عندما انتهت بحرب خاضها الحميريّون ضد الأحباش، أو العكس وتمكّن الأحباش خلالها من احتلال (ظفار) مرة أخرى[5]، لكنهم لم يبقوا فيها سوى سبعة أشهر[6]، حدث ذلك في عهد الملك الحميري (كرب إل أيفع)، في حوالي (٢٤٨ أو ٢٤٩) تقريباً[7].

أمّا في عهد الملك (ياسر يهنعم) بمفرده، خلال الأعوام (٢٦٠ -٢٧٠م)

---

[1]) بافقيه - روبان: "نقوش المعسال"، مجلة ريدان، العدد (٣) لوفان، ١٩٨٠ م ص ١٨- ١٩.

[2]) أنظر نقش (Ja 755 / 8 - 11).

[3]) Robin: La première intervention ..p. 153 .

[4]) نقش (Ja 576 / 3 - 11) .

[5]) أنظر النقوش التالية: (Ja 577 / 3 Ja 585 / 14 - 16)

[6]) راجع نقش المعسال: (Mis̀al 3/8 - 9) .

[7]) Robin: La première intervention ..p. 153 - 154 .

تقريباً، نجد النفوذ الحبشي يمتد في الأراضي الحميريّة، ونتيجة لذلك، دارت معركتان ضاريتان في ضواحي (ظفار)، الأولى في وادي (حوبان) والثانية نشبت بعد ثلاثة أشهر في إقليم وادي (بنا)، ومن المؤسف أن النقوش لم تكشف لنا عن نتيجة تلك المعارك بشكل واضح، ونلاحظ ان قبيلة "المعافر" تقف إلى جانب الأحباش[١].

بعد السرد الموجز لتاريخ الأطماع الحبشيّة في اليمن، نستنتج أنّ الأحباش قد بسطوا نفوذهم طيلة القرنين الثاني والثالث الميلاديين على المناطق التهاميّة، من عدن جنوباً وحتى نجران شمالاً، مروراً بالمعافر -القبيلة اليمنيّة المتمرّدة على ملوك حمير-ربما بسبب مصالحها الاقتصاديّة المرتبطة بالأحباش. وممّا يؤكد الارتباط بين المعافر وبين والأحباش ان عاصمة المعافر (ش و م)[*] كانت بمثابة مركز رئيسيٍّ للأحباش، يستقبلون فيه سفراءهم، وينطلقون منه بقواتهم، من ذلك الموقع الهام استطاع الأحباش ان يربطوا إقليم (عدن) بغرب (ظفار) و (وصاب) بغرب (صنعاء)- حيث توجد قبيلة (عك) بالقبائل التهاميّة الأخرى في شمال (خولان-صعدة)، ومعهم مجاميع من البدو (الأعراب) في تلك التهائم[٢].

بذلك فقد شغل النفوذ الحبشي كل الأقاليم الساحليّة الغربية والجنوبيّة، الغربيّة لليمن القديم، ولهذا أطلق على القبائل الحبشيّة المستوطنة في تلك الأقاليم (أ ح ز ب ح ب ش ت) أي قبائل الأحباش (Ja 574 /5 - 6) ومع مرور الزمن، غدو جزءاً لا يتجزء من القوات الحبشيّة.

ومع قيام الدولة المركزيةّ، خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين اختفت التحرّشات الحبشيّة ويؤكد ذلك استقرار الحياة السّياسيّة، وتوحيد البلاد، فترة لم تشهد لها جنوب شبه الجزيرة العربيّة مثيلاً من قبل.

ولكن عندما بدأت الصراعات والخلافات تدبّ في أوصال الدولة المركزيّة

---

[١]) Ibid ...

[*]) ش و م: إسم جاء في النقوش أطلق على عاصمة المعافر، وهي منطقة تقع جنوب (تعز).

[٢]) Robin: La première intervention.. .p. 154 .

في اليمن، وخاصة في القرن السادس الميلادي ظهر الأحباش من جديد بقوة جديدة وبدعم خارجيّ كبير، عندما لم تستطع الدولة اليمنيّة، -نتيجة لضعفها- الصمود أمام تلك الحشود فسقطت تحت نير الاحتلال الحبشي، الذي جثم عليها قرابة (٧٥عاما).

ثالثاً: اليزنيّون ودورهم في تثبيت دعائم الدولة الجديدة

اليزنيّون ينتسبون لذي (يزأن)، و (يزأن) اسم لمحفد أو قصر كما جاء في نقش (عبدان) الكبير، أمّا أقدم نقش ذكر اليزنيّين فهو نقش حضرمي عثر عليه في منطقة (العقلة)* كتب الاسم (بالذال) (ذ - يذأن) وكتابته بحرف (الذال) وليس (الزاي) شيء مألوف في اللهجة الحضرميّة، حيث يستبدل الزاي بالذال، جاء في النقش اسم شخص يدعى (شهر أسأر بن ربيعة ذ - يذأن) (ش هـ ر م/أ س أ ر /ب ن/ر ب ع ت/ذ - ي ذ أ ن)، وقد وقّع هذا الشخص اسمه ضمن مجموعة من الأشخاص، على إحدى صخرات (العقلة)[١] .

(شهر) دون شك شخصيّة حضرميّة هامة، ربما أحد الأذواء اليزنيين، أمّا تاريخ النقش فيرجّح العلماء أنه يعود إلى فترة لا تبعد كثيراً عن الاحتلال الحميريّ لحضرموت[٢]، وما يؤكد ذلك، الكتابة التي كتب بها اليزنيّون بعد الاحتلال الحميريّ، حيث تركوا الكتابة باللهجة الحضرميّة ونقشوا نصوصهم باللهجة السبأيّة[٣] .

---

*) العقلة: جبل يحتل موقعاً استراتيجيا هاما، يبعد عن العاصمة الحضرميّة (شبوة) بحوالي (١٥) كم عثر في هذا الموقع على عدد كبير من النصوص النقشيّة، والمخربشات وآثار عماريّة، كالبناية الشرقية التي تدعى في النقوش (أنودم)، حيث كانت فيما يبدو عبارة عن قصر ملكي يقضي فيه ملوك أوقاتهم، وربما قصرا يتوّج فيه ملوك حضرموت أنظر: محمد عبدالقادر بافقيه: "آثار ونقوش العقلة". مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة ١٩٦٨م.

١) راجع النقوش التالية (Ja 994 , 1003) (RES 4891). أنظر أيضا

- Robin. ch: “ du nouveau sur les Yazanides “ , dans Proceeding of the Seminar for Arabian Studies (PSAS) 16 London, 1986 , p. 181 - 197 .

٢) - Robin: Les Yazanides ... pp. 182 - 183 .

٣) بافقيه، محمد عبدالقادر: "هوامش من نقش عبدان الكبير"، مجلة ريدان، العدد (٤) / لوفان ١٩٨١، ص ٢٩ - ٤٨.

لقد توافرت لنا -حتى وقتنا الراهن- جملة من النصوص النقشيّة التي تحكي عن السلالة اليزنيّة، تاريخهم ووقائعهم، ويعتبر نقش (عبدان) الكبير والذي اكتشف عام (١٩٧٦م) من أهم نقوش الأسرة اليزنيّة، عثر عليه في موطنهم الأصلي بوادي (عبدان)، الذي يبعد بضعة كيلومترات جنوب منطقة (نصاب)، ويعود تاريخ النقش إلى منتصف القرن الرابع الميلادي (٣٥٥ ميلادي)، فترة شهدت فيها المنطقة استقراراً سياسياً لا مثيل له، خاصة بعد أن استتب الأمر للحميريين، وبعد استيلائهم على (شبوة) العاصمة الحضرميّة (Ja 662).

ويظهر أنّ للسلالة اليزنيّة ثقلاً سياسياً كبيراً في المنطقة، وهذا ماجعل الحميريّين يستعينون بهم لتثبيت أسس دعائم دولتهم الجديدة، ومد نفوذهم إلى المناطق الداخليّة، وبالفعل شكّل اليزنيّون رأس الحربة في الاندفاع نحو المناطق الداخليّة لحضرموت ومنطقة المهرة والمناطق التهاميّة لإخماد التمردات وإخضاع تلك المناطق لنفوذ السلطة الحميريّة، بل واندفعوا صوب وسط شبه الجزيرة العربيّة إلى جانب قادتهم ملوك حمير[١].

من خلال النقش -عينه-، يمكن أن نتتبع حياة الأسرة اليزنيّة خلال ثلاثة أجيال، منذ أول انطلاقة لها من مقرها قصر (يزأن) بوادي (عبدان). كما كشف لنا النقش عن المؤسس الأوّل للأسرة اليزنيّة، وكان يدعى (ملشان)، وهو معاصر للملك الحميريّ (ثأران يهنعم)، حينها كانت الأسرة اليزنيّة تسيطر على رقعة جغرافيّة تمتد من وادي (عبدان) وحتى وادي (عماقين)، بعد ذلك يحدثنا النقش عن الارتقاء السّياسيّ والاجتماعي لتلك الأسرة، فيمتد نفوذها وتتوسع أراضيها، فتشمل كل أودية المشرق مثل: (حبّان) و (عماقين) و (عبدان) و (جردان) ووادي ميفعة[٢]... (أنظر الخريطة رقم ١٨).

---

[١] Robin. ch: Les Yazanides .. p. 183. -أنظر أيضا بافقيه: نقش عبدان .. ص ٢٩-٤٨.

[٢] المرجع نفسه.



(خريطة رقم 18) أودية المشرق موطن اليزنين

أمّا عن الأعمال العسكريّة، والتي يتزعمها القادة اليزنيّون إلى جانب ملوك حمير، فقد حدثنا النقش عن عدة حملات قاموا بها امتدت إلى (عسير) و (قرية/ العاصمة الكنديّة، وظفار (عمان)، بل وامتدت حتى (الحجاز) و(نجد) مع ذكر لاسماء من رافقهم من القادة العسكريين، إحدى تلك الحملات مرت بواحة (يبرين) وأخرى، اتجهت صوب قبيلة الاسد (الازد) وامتدت حتى (جو) باليمامة[1].

حروبٌ كثيرة خاضها اليزنيّون تحت قيادة ملوك حمير، أو أحد أفراد الأسرة المالكة، وقد ساعدت الحروب على تنامي قوة اليزنيين، وبزوغ نجمهم، فاصبحوا بعد ذلك قوة عسكريّة كبيرة لا يستهان بها في المنطقة.

لم يقتصر نقش (عبدان) على الأعمال الحربيّة لتلك الأسرة، بل تطرّق أيضاً للإنجازات المدنيّة كبناء المنشآت الزراعيّة والعمرانيّة، التي قام بها اليزنيون في أراضيهم كإعادة بناء وترميم مدينتهم (عبدان) بعد أن أحرقت أثناء المواجهة العسكريّة المتكرّرة بين حمير وحضرموت وقد أضافوا عند الترميم إلى محفدهم (بيت يزأن) ثلاثة محافد، أمّا الأعمال الزراعيّة التي أقاموها فقد تمت في وادي (حطيب) أعالي وادي (عبدان) ووادي (ضراء)، كما يحدثنا النقش عن رحلة صيد قام بها اليزنيون في جبال وأودية (حجر)، و (جردان)، و(عبدان) ضمت في مجموعها (٨٠٠) رجل و (٥٠٠) كلب، وخلال تلك الرحلة قتلوا عدداً من الابقار، والثيران الوحشية، وعدداً من الوعول، وقتل الأقيال (٥٠) نمراً [2].

وهناك نقوش أخرى تتحدث عن اليزنيين منها نقش (RES 5085)، عثر عليه بوادي (رخيلة)، شمال منطقة (عزّان) يعود تاريخه إلى منتصف القرن الخامس الميلادي (٤٥٥م)، يذكر السلالة اليزنيّة مع إضافات جديدة، فقد أدرج ضمن اسماء تلك الأسرة قبائل (يغلب وكبرن) ومن تبعهم، حيث نجدهم ولأوّل مرة ينضمّون إلى السلالة اليزنيّة، ممّا يوحي بتوسّع نفوذ الأسرة وضمها لأراضي جديدة[3]. وتستمر الإضافات للأسرة اليزنيّة، فتدخل في إطارها أسرة جديدة هي (بنو

---

[1]) محمد عبدالقادر بافقيه: اليزنيون ص ٨٦.

[2]) Robin: les Yazanides ... pp. 182 - 183 .

[3]) بافقيه – روبان: نقوش المعسال ....، ص ٩ – ٢٩.

لحيعه يرخم) الجدني الأصل[١]، كما جاء في نقش (RES 4069). كل ذلك يؤكد استمرار اتساع نفوذهم السّياسيّ، ففي عام (٥١٠ م) تقريباً كان اليزنيون -الأذواء سابقاً- يسيطرون على نصف مملكة الحميريّين الشرقيّ، والذي أطلق عليه (حضرموت ويمنة)، كما جاء في نقش (ينبق ٤٧)، وهكذا يستمر النفوذ السّياسيّ لليزنيّين إلى أن يصلوا إلى السلطة، كما سنرى ذلك لاحقاً.

رابعاً: الأعراب جزء لايتجزأ من القوة العسكريّة للدولة المركزيّة

أقدم ذكر للعرب جاء في النقوش اليمنيّة القديمة، يعود تاريخه للقرن الأوّل الميلادي، أي بعد حوالي ٩٠٠ سنة من أقدم ذكر لهم في الكتابات الأشوريّة، وهذا لايعود لنقص الثوثيق، بقدر ما يعود لطبيعة النقوش النذريّة، والتي لا تتطرق بشكل مباشر للاتصال بعرب وسط وشمال الجزيرة[٢].

بعد تلك الفترة نجد في النقوش لفظة (ع ر ب) عرب، (أ ع ر ب) أي أعرب[٣]. فإجمالي النقوش التي أحتوت على لفظة (عرب) أو (أعراب)، يبلغ -حتى الآن- حوالي ستة وعشرين نقشاً، ويقصد بهذا الاسم "البدو الرحل"[٤].

لعب الأعراب دوراً مؤثراً في الأحداث السّياسيّة لليمن القديم منذ مطلع القرن الأول الميلادي، فقد بدأ ظهورهم على الساحة في بداية الأمر كعناصر مشاكسة تغير على أطراف الأوديّة الزراعيّة، وبالذات المراكز الحضاريّة حول رملة السبعتين[٥]، قادمة من أطراف الربع الخالي، أو نجدها تتسلّل من جبال السّراة وتهامة، أمّا ظهورها في ذلك الوقت بالذات -أعني القرن الأول الميلادي- فيعود

---

[١]) بافقيه: العربية السعيدة، جـ ٢، ص ١٥٨.

[٢]) روبان كرستيان: "إنتشار العرب البداه في اليمن من القرن الثاني إلى العاشر الميلادي"، ترجمة: علي محمد زيد، مجلة دراسات يمنيّة، العدد٢٧ مركز الدراسات، صنعاء،١٩٨٧م ص٨٧.

[٣]) أنظر نقش (Ja 211).

[٤]) روبان: إنتشار العرب ....، ص ٨٧ .

[٥]) بافقيه: العربيّة السعيدة، جـ ١، ص ٢٦ .

أسبابه للضرر الاقتصاديّ الذي لحق بها، من جراء ضعف الطريق البريّ، خاصة بعد أن انتعشت الملاحة البحريّة، وهو نفس السبب الذي شجّع كثيراً من اليمنيّين لترك مدنهم في أطراف تلك الأوديّة، واللجوء إلى الهضبة الغربيّة، بعد أن كانوا يشكّلون درعاً واقيا ضد غزوات البدو، تلك الهجرة التي أدت -بدون شك- إلى انتشار ظاهرة التصحّر لكثير من المناطق الواسعة المرويّة والواقعة على أطراف الأودية الشرقيّة المطلّة على الصحراء، بعد أن أهملت شبكات الري والزراعة فيها.

أول نزاع دار بين اليمنيّين والأعراب، يعود لعهد الملك السبأيّ (نشأ كرب يهأمن)، في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي، ويبدو أنّ ذلك النزاع حُلّ وديّا، بعد عام (١٥٠م)، وبالذات في عهد الملك السبأيّ (وهب إل يحوز)، عندما شنّ زعماء قبيلة (حاشد) الواقعة شمال صنعاء الحرب ضد بعض البدو (الأعراب) على حدود أراضيهم، بيد أن الضغط البدويّ استمر على تلك القبيلة وعلى قبائل سبأيّة أخرى، كما حدث في منطقة (م ن هـ ت م) = (حزمة أبو ثور) حاليا الواقعة في وادي (الخارد) بالجوف[١].

في تلك الظروف، نجد الدولة السبأيّة تعمل كل ما بوسعها لصد الهجمات البدويّة، والحيلولة دون توغل البدو (الأعراب) إلى أراضيها، أمّا دولة حضرموت فنجدها تنتهج سياسة جديدة تجاه الأعراب، تلك السّياسة التي تقوم على الدمج، لقد حدث أول مؤشرلتلك السياسة في حواليّ عام (١٥٠ م)، عندما برز الأعراب كمقاتلين في صفوف الجيش الملكيّ الحضرميّ، والدليل على ذلك نقش (المعسال) الذي يشير إلى أنّ الجيش الملكيّ الحضرميّ كان يضم قوة بدويّة يتزعمها قائد يوصف بـ (س و د / ع ر ب ن) أي سيد الأعراب[٢].

أمّا سبأ فقد وجدت نفسها في ظروف عسكريّة خطيرة، ممّا اضطرّها لانتهاج نفس السّياسة الحضرميّة، سياسة الدمج[٣]، ففي عهد الملكين السبأيّين

---

[١]) روبان: انتشار العرب .. ص ٩٥.
[٢]) بافقيه: نقوش المعسال، ص ٩ -٢٩.
[٣]) روبان: انتشار العرب ... ص ٩٥...

(سعد شمس اسرع) وابنه (مرثد يهحمد)، واجهت (سبأ) تحالفاً خطيراً قادماً من الشرق، يضم كلاً من: (حضرموت) و (قتبان) و (ردمان) و (مضحى) وأعرابهم، وأمام تلك الوضعيّة لم تتأخر (سبأ) في دعم قواتها بالقوات البدويّة، كذلك في عهد الملك السبأيّ (علهان نهفان)، (نهاية القرن الثالث الميلادي) نجد الجيش النظاميّ السبأيّ يعزز بقوات من الأعراب.

يبدو جلياً أنّ تلك السياسة التي أنتهجها ملوك حضرموت وملوك سبأ تجاه الأعراب، كان لها أهدافاً هامة أهمها:

أ. درء خطر الأعراب الذين كانوا يشكّلون قوة تهدد أمن واستقرار الدويلات، بين الفينة والأخرى.

ب. الاستفادة من تلك القوة، فبدلاً من أن تكون قوة معاديّة، ومشاكسة تكون قوة مساندة ورديفة للقوات النظاميّة للدولة، تساهم بشكل فعّال في دعم القوات الرسميّة.

ومنذ القرن الثالث الميلاديّ، وبفضل تلك الجيوش البدويّة تبنت الدولة السبأيّة استراتيجيّة هجوميّة في مواجهة القبائل البدويّة في وسط شبه الجزيرة العربيّة، كما أنّ لتلك السياسة فضلاً كبيراً في تشكيل ممالك في وسط وشمال شبه الجزيرة وأفضل مثال علىذلك: مملكة (كندة) التي تأسست في وادي (الدواسر)[1].

صعّد ملوك سبأ هجومهم على أعراب وسط شبه الجزيرة والتهائم، فشنّ الملك السبأيّ (شعر أوتر)، حملتين عسكريّتين على قبيلة (ربيعة) من بطن (ثور)، كما هاجم ملوك سبأ وأعرابهم بعض الأعراب في التهائم، وبالذات الذين يقفوا إلى جانب الأحباش، مشكّلين خطراً يداهم الدولة السبأيّة، ويهدد أمنها بين الحين والآخر[2].

بالرغم من ذلك نجد الأعراب يمثّلون قوة لا يستهان بها في صفوف الجيوش النظاميّة للدولة الحميريّة، فكان لهم فضل كبير في توسيع نفوذ الدولة

---

[1]) بافقيه: العربيّة السعيدة، جـ ١، ص ٢٦ -٢٧.
[2]) الارياني: نقوش مسندية، ص ١٠٠ -١٠٨، نقش (إرياني ١٢).

المركزيّة، وقد عيّن الحميريون على تلك القوات قائداً جدنباً (من قبيلة ذي جدن) اسمه (سعد تألب يتلف الجدنيّ)، لقّب بكبير الأعراب (كبير أعراب كندة ومذحج وحرمم وباهل وزيد إل وأعراب ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة)[١].

فإذا كانت بعض القبائل الوارد اسمها في النقش لم يبق لها أثر، فالمهم أن قبيلتي (كندة) و (مذحج) كانتا في مقدمة القبائل التي انتظمت في صفوف الجيش البدويّ الحضرميّ. وقد اتخذت تلك القوة البدويّة التي كان يتزعمها "سعد تألب" من مدينة (نشق) بالجوف مركزاً لها.

وبفضل الجيش النظاميّ الحميريّ، وجيش الأعراب، استطاع الحميريّون من أن يواصلوا عملية توحيد الأرض اليمنيّة ويقضون على كل تمرد داخلي، ففي عهد الملك الحميريّ (أبي كرب أسعد) = (أسعد الكامل) تمكّنت القوات النظاميّة وأعرابها من التوغل شمالاً في نجد حتى وصلت إلى منطقة (مأسل الجمح)[٢][•].

إنّ تلك الخدمات الجليلة التي قدّمها الأعراب لملوك اليمن، سمحت لهم بالتغلغل في أوساط اليمنيّين، وخلْق نوع من التعايش، الذي تنامى مع مرور الزمن، فهناك مؤشرات نقشيّة تؤكد ذلك التعايش والاندماج، ففي أحد النقوش تعلن قبيلة (الحدا) –وهي قبيلة بدويّة– تبعيتها للملك (شمر يهرعش)، وبتلك المناسبة قدمت – أعني قبيلة (الحدا) –نذراً إلى معبد الإله (المقة) هي مأرب، أمّا قبيلة (كندة) والتي كانت تقطن وسط شبه الجزيرة العربيّة بوادي (الدواسر)، أصبحت في القرن السابع الميلاديّ تسيطر على حضرموت كلها، ومع الوقت نجد كثيراً من القبائل البدويّة استوطنت اليمن إلى جانب (كندة) و (مذحج) و (الحدا)، بعد أن اعترفت بالسلطة الكاملة لملك حمير[٣].

---

[١]) راجع نقش (Ja 665).

[٢]) بافقيه: العربيّة السعيدة، جـ ١، ص ٣٥.

[•]) مأسل الجمح: وادي يقع في نجد، يبعد حوالي (٥٠) كم جنوب شرق الدوادمي. راجع نقش (مأسل الجمح Ry 509) (أنظر خريطة رقم ١٩)، وأنظر أيضا كتاب: حسين عبدالله العمري وآخرون: في صفة بلاد اليمن عبر العصور من القرن السابع ق.م وحتى (١٩م)، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠ ص ١٨ –١٩.

[٣]) روبان: إنتشار العرب ....، ص ١٠١.

خامساً: التحولات الدينيّة وآثرها على الوضع السياسيّ في المنطقة

شهد القرن الرابع الميلاديّ تحولات دينيّة خطيرة، شكّلت منعطفاً تاريخياً هاماً، أثّر بشكل مباشر على سير الأحداث السّياسيّة في اليمن القديم، فقد تخلى ملوك وشعوب المنطقة منذ ذلك القرن عن التّقرب إلى الآلهة الوثنيّة واختفت صيغة الدعاء والتّقرب لتلك الآلهة وحلّت محلّها صيغ جديدة ذات طابع توحيدي غامض شبيه بمذهب الحنفيّة*.

فهناك نقش (RES 3383) يتحدث عن قيام الملك (ملكيّ كرب يهأمن) وابنيه (أبي كرب أسعد) و (ذرأ أيمن) ببناء معبد للإله (ذي سموي) أي إله السماء، كان ذلك حوالي عام (٣٧٨ م)، يمثّل هذا النقش أوّل إشارة واضحة وصريحة للتحوّل الدينيّ، فقد تحوّل الملوك من العبادة الفلكيّة إلى عبادة (رب السماء)، أي إلى عقيدة التوحيد الغامضة التي برزت في النقوش في القرن الرابع الميلادي، ويبدو ذلك من خلال استعمالهم اسلوب التجريد، والتجريد كما هو معروف يعتبر الخطوة الأولى في اتجاه التوحيد، بعد ذلك تأخذ العقيدة التوحيدية، مرحلة جديدة من التطور، فتذكر النقوش اسم (الرحمن) رب السماء والأرض[1].

إن تلك التّحولات الدينيّة، لم تظهر في اليمن فحسب، ففي الوقت ذاته، نجد الديانة المسيحيّة تحتلّ مكانة مرموقة بين الديانات، وبالذات منذ عام (٣١٣)م، عندما اعتنق الأمبراطور الروماني (قسطنطين الأكبر Constantius) تلك العقيدة الدينيّة، فاصبحت ديناً رسمياً للأمبراطورية الرومانية منذ عام (٣٣٠)م [2]، منذ ذلك الحين بدأت البعثات التبشيريّة تجد طريقها إلى كثير من البلدان، ومنها الحبشة، عندما وصلت بعثة تبشيريّة بزعامة (فرومنتوس Frumentius) إلى الحبشة في عهد النجاشي (عيزانا)، واستمرت الوفود التبشيريّة، حتى كلّلت جهودها بالنجاح، إذ ترك

---

*) معروف أن حنفية إبراهيم تقوم على رفض الوثنية، خاصة عبادة الكواكب التي تنتهي إلى الأفول والحنفاء: معتنقوا مذهب إبراهيم ودعوا إلى عبادة الإله الواحد، وجاء الإسلام مكرما له.

[1]) أسمهان الجرو: "الفكر الديني عند قدماء اليمنيين"، (دراسة قيد النشر).

[2]) جواد علي: المفصل، جـ ٢، ص ١٧٦.

الأحباش الديانة الوثنية واعتنقوا المسيحيّة. فالهدف الأساسي لملوك (الروم) من وراء ذلك الأصرار، لم يكن دينيّاً بل سياسيّاً محضاً، فالحبشة تحتل موقعاً استراتيجياً هاماً، فهي تقع على طريق تجارة الهند من ناحية، وعلى تخوم بلاد مصر، وتجاور جنوب شبه الجزيرة العربية -الحلم القديم للرومان- من ناحية أخرى[1].

وقد وصلت الديانة المسيحيّة اليمن عن طريق الحبشة، وعن طريق البعثات التبشيريّة القادمة مباشرة إلى اليمن، وكان ممّن أرسلهم الأمبراطور (قسطنطين)، المبشّر (ثيوفيلوس Theophilus Indus)، الذي وصل إلى اليمن للتبشير بالديانة المسيحيّة ولبناء ثلاث كنايس للتجار الرومان، واحدة في (عدن) والثانية في (ظفار) والثالثة في (هرمز) على الأرجح![2]

فأغلب النقوش[3] التي صبغت بالصبغة المسيحيّة سجّلت في عهد الملك الحميريّ (يوسف أسأر يثأر)، وقد حملت تلك النقوش، إشارات تدلّ على الوجود الحبشيّ في اليمن، والمبشّرين المسيحيّن في اليمن[4].

أمّا الديانة اليهوديّة فتاريخ دخولها اليمن غير معروف، كما أنّ النقوش التي تحمل طابعاً يهودياً محدودة للغاية، وقد سجّلت جميعها في الفترة التي اعتنق فيها ملوك حمير الديانة اليهوديّة، وأهم النقوش التي سجّلها ملوك حمير المتهودين نقشي (Ja 669) (Ja 671)، وعلى الرغم من أن بعض الدراسات التاريخيّة تشير إلى أن وصول الديانة اليهوديّة إلى اليمن كان قد تم بواسطة بعض الجماعات اليهودية التي تشتّت في بلاد العرب هرباً من اضطهاد أباطرة الروم وبطشهم، لا سيّما بعد تخريب بيت المقدس عام (٧٠م) وفروا في الصحراء ونزلوا في جاليات صغيرة على الطريق التجاريّ المتّجه جنوباً صوب اليمن، إلاّ أن هذا الرأي لم يظهر له دليل

---

[1]) ولفنسون، اسرائيل: "تاريخ اللغات السامية"، ص ٢٦٠. أنظر أيضا: الصلويّ: الأخدود، ص١٦، ٣٨.

[2]) سحّاب: إيلاف قريش...، ص ١٢٤.

[3]) راجع النقوش التالية: (Ja 1028) (Ry 507) , (RES 508)

[4]) الصلويّ: الأخدود، ١٦ -١٩.

ماديّ، فالنقوش اليهوديّة لم تظهر في اليمن قبل القرن الرابع الميلاديّ، كنقش (بيت الأشول) الذي نقش في عهد الملك الحميريّ (ذمر أمر أيمن)، وكان صاحب النقش يهودي العقيدة يسمّى (يهودا يكف)[١].

وهناك من المؤرخين من يعتقد أن الملك الحميري (أبي كرب أسعد) قد اعتنق الديانة اليهوديّة، وقيل أنه نشرها بين اليمنيّين[٢]، ويرى الإخباريّون ومنهم (إبن سعيد الأندلسي): "أن الملك الحميري دعا اليمنيّين إلى إتباع اليهوديّة، فاتفقت حمير على اليهوديّة منذ ذلك الزمان وهدّموا بيتهم الذي كانوا يعبدونه"[٣].

ويروى ابن هشام في (سيرة النبي) قصة مرور (تبّع) بمكة وطوافه بالبيت، وأنه أول من كسى البيت، وأوصى به ولاته من قبيلة (جرهم) وأمرهم بتطهيره[٤].

في تلك الظروف الدوليّة سعت الديانتان اليهودية والمسيحيّة، إلى التغلغل في شبه الجزيرة العربيّة منذ القرن الرابع الميلاديّ، وكانتا متّصلتين بالصراع السياسيّ والاقتصاديّ العالمي، وتطوّرت الأوضاع في المنطقة إلى صراع يهودي مسيحي شامل في القرن السادس الميلاديّ.

---

[١]) راجع نقش (بيت الأشول ١)، المؤرخ سنة ٦١٩ حميري = ٥٠٤ م.

[٢]) -Van Wissmann: Ḥimyar... pp 480 -481

[٣]) ابن سعيد، الاندلسي: "نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب" (جـ١)، تحقيق: نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى، عمان ١٩٨٢م، ص ١٤٩.

[٤]) ابن هشام: "سيرة النبي"، تحقيق محمد محي الدين بن عبدالحميد، القاهرة، ١٩٣٧م، ص١٩-٢١.

الفصل الرابع

دولة سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم في الطود والتهائم

"أحداث القرن الخامس الميلاديّ"

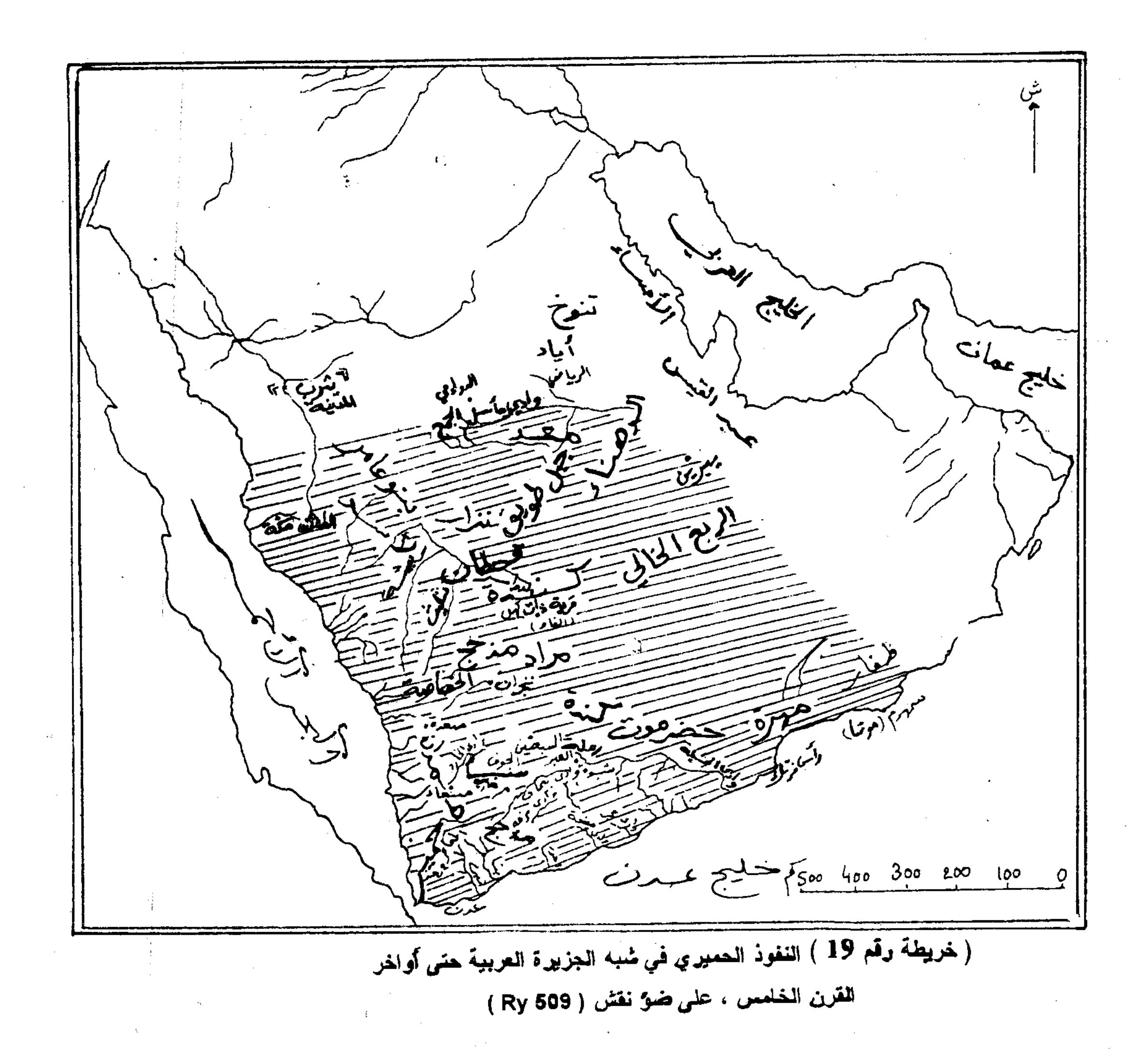
الفصل الرابع

دولة سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم في الطود* والتهائم

منذ مطلع القرن الخامس الميلاديّ تولى حكم اليمن الملك الحميريّ (أبي كرب أسعد) والذي يعتبر من أشهر الملوك الحميريّين، فقد تردد صداه كثيراً في كتب الأخبار فسمي بـ (تبّع الأكبر) كما أطلق الإخباريون عليه اسم (أسعد الكامل)، ونسبوا إليه كثيراً من الغزوات والفتوحات. وليست تلك الروايات بعيدة عن الحقيقة، فقد ذكرت النقوش نفوذ ذلك الملك، الذي تمكّن بالفعل من إكمال سيطرته على أعراب المرتفعات، وإخضاعه لمن تبقى من الأعراب المشاغبين في إقليم (السراة)، وفي المنحدرات الغربيّة كما تعقّب أمثالهم في تهامة الحجاز، فأطلق على نفسه لقب (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم في الطود والتهائم)، وفي ظل حكم ذلك الملك وأبنائه بدأت سياسة الاندفاع نحو وسط شبه الجزيرة العربيّة وشمالها، وهي السياسة التي سبق وانتهجها أسلافه الحميريون. فخضعت عدد من القبائل البدويّة لسلطانه. وأهم نقش يحدثنا عن وصوله إلى شمال شبه الجزيرة العربيّة هو نقش (Ry 509)، الذي يحكي عن وصول الملك (أبي كرب أسعد) إلى وادي (مأسل الجمح) (أنظر الخريطة رقم ١٩) ، ويعود تاريخ النقش إلى الربع الأوّل من القرن الخامس الميلاديّ، حوالي عام (٤٢٨ م). ويقول النقش: "أبا كرب أسعد" وابنه حسّان يهأمن، ملكا سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم في الطود والتهائم، أبناء حسّان ملكي كرب ويهأمن ملك سبأ وذي ريدان

---

*) الطود: كلمة جاء في النقوش بلفظة (طودم) ، والتي تعني المرتفعات أي ما يعرف اليوم ببلاد عسير، راجع (الإرياني: نقوش مسنديّة ص ٢٤٥).



(خريطة رقم 19) النفوذ الحميري في شبه الجزيرة العربية حتى أواخر القرن الخامس ، على ضوء نقش (Ry 509)

وحضرموت ويمنة، مروا من هذا الممر بوادي (مأسل الجمح) يوم غزا أرض (معد) ضمو وحلّوا بها نازلين بين قبائلهم ومع قبائلهم من حضرموت وسبأ ...."[1].

ويرى بعض المؤرخين أن الملك "أبو كرب أسعد" قد اعتنق الديانة اليهوديّة وقيل أنّه نشرها بين اليمنيّين، كما سبق وأن أشرنا لذلك.

بعد (أبي كرب أسعد) يأتي على رأس السلطة ابنه (حسّان) والذي شارك أباه الحكم كما جاء في النقش السابق، في عهد (حسّان) توسعت الرقعة الجغرافيّة للدولة الحميريّة، وتمتّعت بروابط وعلاقات متينة مع مختلف قبائل ودول شبه الجزيرة العربيّة، وتربط المصادر بين (حسّان يهنعم) وقيام الدولة الكنديّة، فيعتبر ملك كندة (أكل المرار) أخاه لأمه[2].

بعد عشرين عاماً تقريباً، نجد الملك (شرحبيل يعفر) الابن الثاني لـ (أبي كرب أسعد) على العرش وحيداً، ففي عام (٤٤٩م)، نجده يقوم بأهم إنجاز إنشائي، وهو ترميم سد مأرب الذي تعرّض حينها للتصدّع، ولم يلبث أن تصدّع مرة أخرى في السنة الثانيّة، فسخّر الملك (شرحبيل) حوالي (٢٠,٠٠٠) من رجال حمير وحضرموت، للقيام بالترميمات المطلوبة، وذكر النقش (CIH 540) الذي خطه الملك على سد مأرب، كميات الطعام وأنواعه المختلفة التي استهلكها ذلك العدد الكبير من العمال المسخّرين. ويتضح أنّ عهد الملك (شرحبيل) شهد حالة من الاستقرار السياسيّ والنمو الحضاريّ، فقد سجّل لنا نقشاً أخر يتحدث فيه عن بناء وتجميل قصره (هرجم) وقد عثر على النقش في خرائب (ظفار) العاصمة الحميريّة[3]، يقول النص: "شرحبيل يعفر ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم في الطود

---

[1]) العمريّ وآخرون: صفة بلاد العرب ....، ص ١٨ – ١٩.

[2]) أ. ج لوندن: "اليمن إبّان القرن السادس الميلادي"، مجلة الأكليل، وزارة الإعلام صنعاء ١٩٨٨م، العدد ٣، ٤، (الحلقة الأولى)، ص ١١.

[3]) نقش استنسخه (مطهّر الإريانيّ) ، من خرائب ظفار عام ١٩٦٩ م، ونشر في نفس العام من قبل العالم الإيطالي (جيوفاني جربيني) ، أنظر مطهر الإرياني :"قصر غمدان بين الحقيقة والأسطورة"، مجلة دراسات يمنية، العدد الرابع، صنعاء ١٩٨٠ م، ص١٢٢.

والتهائم، ... أسس، بل وزيّن بيته (هرجم) من موخرته إلى قمته، وجعل فيه نزوقا (تبيتم؟) من الجير، من الخلف والأمام، وعلاه وأعلى سقوفه، وجعل فيه ربعة (ربعتم؟) وكثيراً من اللهوج (الهوج؟) الواسعة وأمدّه بالماء بوساطة سواقية مبنيّة بحجارة منحوتة على شكل رؤوس ثيران، وأسود، وجعل فيه أجراساً من البرونز المذهّب (ذي ذهبن) بين تماثيل وثيران، وزيّنه بالمساند كما جعل فيه تماثيل لأناس، ووعول وأسود، ونمور، كل ذلك من البرونز المذهّب".

هذا البناء البديع لقصر (هرجم) غير معروف حالياً، لكن ماجاء في النقش من وصف دقيق لفن البناء والزخرفة التجميلية يؤكد العظمة والثراء الذي عاش فيه ملوك اليمن قديماً. إذاً فإن ماذكر عن قصر "غمدان" الشهير ليس ببعيد عن الحقيقة.

تنقطع أخبار الملك (شرحبيل) ويتوالى الحكم بعده حتى نهاية القرن الخامس الميلاديّ، عدد من الملوك منهم: (شرحبيل ينكف) و (يانوف) و (لحي عثت ينوف) و (مرثد إلن) و (معدي كرب)، لم نعرف شيئاً عن كثير من إنجازاتهم فلم تتحدث النقوش عن أيّ تغيّير جوهري في حدود الدولة اليمنيّة، وهذا يشجّع على الاستنتاج بأن الدولة كانت تعيش حينها في حالة من الاستقرار السياسيّ والحضاريّ.

الجزء الرابع

اليمن إبّان القرن السادس الميلاديّ

الفصل الأول : الأوضاع الدوليّة وأثرها على اليمن.

الفصل الثاني : يوسف أسأر يثأر "ملك كل الشعوب".

الفصل الثالث : الغزو الحبشيّ لليمن.

الفصل الرابع : اليمن تحت السيادة الحبشيّة.

الفصل الخامس : ثورة سيف بن ذي يزن وتولّيه الحكم.

الفصل السادس : اليمن تحت السيادة الفارسيّة.



الفصل الأول

الأوضاع الدوليّة وأثرها على اليمن

أولاً: الصراع الدوليّ من أجل الطرق التجاريّة.

ثانياً: الأحوال الداخليّة لليمن في القرن السادس الميلاديّ.



الفصل الأول

الأوضاع الدوليّة وأثرها على اليمن

أولاً: الصراع الدولي من أجل الطرق التجاريّة

شهدت منطقة الشرق الأوسط في القرن السادس الميلاديّ أحداثاً سياسيّة خطيرة، فالامبراطوريتان العظيمتان، (فارس وبيزنطة)، دخلتا في صراع حربيّ مرير من أجل السيطرة على الطرق التجاريّة، وأهم الطرق التي كان ينشب حولها الصراع هي:

(أ) الطريق القادمة من المحيط الهندي وسواحله عبر الخليج العربيّ إلى الفرات فبادية الشام.

(ب)طريق البحر الأحمر المتّجه صوب فلسطين ومصر.

(ج)طريق القوافل البريّ في شبه الجزيرة العربيّة، فكانت (بيزنطة) تعمل كل ما بوسعها لتعزيز موقفها بين النهرين، وكان الفرس بالمقابل يتطلّعون برغبة عارمة للسيطرة على (سوريا) و(مصر)، أي السيطرة على الطريق البريّ القادم من جنوب شبه الجزيرة العربيّة، وقد نتج عن ذلك الصراع الحربيّ، أضرار فادحة في الاقتصاد العالميّ، فتضرّرت بفعله التجارة تضرّراً بالغاً (أنظر خريطة رقم ٢٠).

لم تكن شبه الجزيرة العربية بمنأى عن تلك الصراعات التي أتخذت في جوهرها بعداً سياسياً واقتصادياً، وفي شكلها بعداً دينيّاً،[1] عندما حاولت كل من (بيزنطة) و(فارس) خلق حلفاء لها يكونون بمثابة واجهة قويّة، ودرعاً عازلاً لمجابهة القوة الأخرى، وكان هؤلاء الحلفاء من العرب البدو، وأشباه البدو في شمال

---

[1] Rodinson , Maxime: Mohamet ,(3eme) édition du Seuil , Paris 1974, P. 47 .

(خريطة رقم 20) الموقع الاستراتيجي لليمن

شبه الجزيرة العربية، وارتبطت كل منهما مع هؤلاء الحلفاء بـالأحلاف والمعـاهدات وأمدّتهما بالسلاح والنفوذ والمـال والحمايـة السيّاسـيّة، فبرزت دولتـا (المنـاذرة) فـي الشرق، و(الغساسنة) في الغرب، اللتان حلّتا محل دولة (تدمر) و(الحضر) وقد كانت مهمتهما عسكريّة أكثر منها تجارية.[1]

لقد وفّق (الفرس) بملك على (الحيرة) هو: (المنذر الثالث بن النعمان) الـذي بـدأ حكمــه ســنة (٥٠٦ - ٥٥٣ م)، وكـــان بمثابـــة رأس الحربـــة التـــي شـــغلت (بيزنطـة) فترة مـن الزمـن، كمـا حظيـت (بيزنطـة) أيضـاً، بقـائد لايقـل قـوة هـو: "الحارث بن جبله" الذي ملك (غسان) سنة (٥٢٨ - ٥٥٦ م)[2].

وكانت كل امبراطوريّة تعمل مافي وسعها لضرب الامبراطوريّة الأخرى، من خلال تدمير تجارتها الدوليّة، ويتم ذلك بواسطة حلفائهـا مـن العـرب (المنـاذرة) و(الغساسنة)، وكانت مهمتها التحرّش بـالخصم مـن حيـن إلـى أخـر، إلاّ أنّ القـائدين العربيّين اكتسبا من الثقة والنفوذ ما جعلهما يميلان إلى الاسـتقلال مـن تلـك التبعيّـة، من خلال المعارضة أحياناً في تنفيذ مـا يطلـب منهمـا مـن أعمـال عسـكريّة، فبـدأت الخلافـات تنشـب بيـن الملـوك "الفـرس" وملـوك (الحـيرة)، وبيـن "بيزنطـة" و ملـوك "الغساسنة"[3].

في خضمّ تلك الأجواء الدوليّة، نجد الظـروف مهيـأة لامتـداد ذلـك الصـراع إلى جنوب شبه الجزيـرة العربيّـة (اليمـن القديـم)، فـاليمن يتحكـم بطريقيـن مـن تلـك الطـرق التـي يتمحـور حولهـا الصـراع، خاصـة وأن طريـق (العـراق) قـد تعـذّر استخدامه بسبب الحرب الناشبة بين (فارس وبيزنطة)، فتصويب الأنظار نحو اليمـن شيء حتميّ، ويبقـى السؤال أي مـن الامـبراطوريتين سبّاقة بالاسـتحواذ علـى تلـك

---

[1]) سحّاب: المرجع السابق، ص ٩٩ -١٠٦.

[2]) فيليب حتّي: "تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين"، المنـاذرة ص ١٠٩ أنظـر أيضـاً: نولدكـه ثيودور: "أمراء غسان من أل جفنـة"، ترجمـة د. بندلـي جوزي وقسطنطين زريـق، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت ١٩٣٣م.

[3]) سحّاب: المرجع السابق، ص ١٠٦ - ١٠٧.

المنطقة ؟ فالمسافة الجغرافيّة بين بيزنطة واليمن شاسعة، وهذا يعيق تحقيق هدفها بالسيطرة على جنوب شبه الجزيرة العربيّة، خاصة وأنّ لروما تجربة فاشلة في ذلك المضمار، وليس أمامها من سبيل سوى البحث عن حليف يقوم مقامها بتلك المهمة، ويعتبر الغساسنة أقدم حلفاء لها في شمال شبه الجزيرة، فهل توكلت إليهم تلك المهمة؟ فالأولى بها أنّ تلمّح لذلك الحليف برغبتها في إخضاع المنطقة الجنوبيّة من شبه الجزيرة العربيّة لنفوذها، وإذا تحقق لها ذلك تكون قد ضمنت الطريق البريّ من جنوبه إلى شماله، لكن الغساسنة فيما يبدو لم يعّدوا تلك العجينة السهلة التشكيل، فقد قوى عودهم، وأصبح ملوكهم يمتلكون من النفوذ مايجعلهم يأبون القيام بمثل تلك المهمة[1]، فروابط الدم بين الغساسنة واليمنيّين لها جذور تاريخيّة، لهذا لم يطاوعوا البيزنطيين في تحقيق تلك الرغبة، فليس أمام بيزنطة إلاّ البحث عن سبيل أخر للوصول إلى تلك البقاع، فوجدت في العقيدة الدينيّة مبتغاها، عندما عزّزت تحالفها مع الأحباش مستخدمة الديانة المسيحيّة، التي اعتنقها الأحباش، وسيلة لتحقيق تلك الغاية المنشودة[2].

أمّا الفرس فكانوا يفضّلون التعامل مع اليهود، والمذاهب الدينيّة المناهضة للروم مثل (النسطوريّة)، للتحريض ضد بيزنطة وتأجيج المعارضة عليها، ويتحيّنون الفرصة الملائمة لمدّ نفوذهم إلى ذلك الجزء البعيد من شبه الجزيرة العربيّة.

ثانياً: الأحوال الداخليّة لليمن في القرن السادس الميلاديّ

عاشت الدولة المركزيّة في اليمن أوج ازدهارها في القرن الخامس الميلاديّ، حيث نجد نفوذها قد امتدّ إلى وسط شبه الجزيرة العربيّة، ولكن منذ النصف الأخير من هذا القرن، بدأت بوادر الإضمحلال تدبّ في أوصالها، والسبب

---

[1]) المرجع نفسه.

[2]) ولفنسون: المرجع السابق، ص ٢٥٩ - ٢٦٠.

الرئيسيّ في ذلك: (أ) الصراعات الداخلية التي برزت بين الأقيال للاستحواذ بالزعامة السياسيّة -فلا غرابة في ذلك- فالأقيال كانوا قوام الجيش الحميريّ، ومصدر قوته النافذة إلى شمال شبه الجزيرة العربيّة، كما أنّ تلك الانتصارات التي حققوها للدولة المركزيّة، خلقت منهم كياناً له كل الحق في إبداء المشورة واتخاذ القرار، ويظهر أن هناك من المواقف المصيريّة التي لم يتم حولها الأتفاق، فكانت سبباً مباشراً لذلك الشقاق الذي بدأ ينخر جسم الدولة المركزيّة. وأبرز هؤلاء الأقيال في ذلك العصر هم: اليزنيّون -الجدنيون. (ب) بروز ملامح الأطماع الأجنبيّة، تلك الأطماع التي أفرزتها الظروف العالميّة، وكانت الدول العظمى حينها تبحث عن فرصة ملائمة للتّدخل في الشؤون الداخلية لليمن عندما اتخذت من العقيدة الدينيّة وسيلة مضمونة لتمرير أهدافها الاستعماريّة. (ج) الانتفاضات التي قادتها القبائل المعدية- النجدية على التواجد الحميري في شمال شبه لجزيرة العربيّة، والهزائم الّتي تكبّدتها القوات الحميرية. كل تلك العوامل كانت سبباً في ضعف الدولة المركزيّة في اليمن.

وفي مطلع القرن السادس الميلاديّ، نجد على عرش الدولة الحميريّة ملكاً يحمل اللقب الطويل "ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم في الطود والتهائم"، كان يسمّى (معدي كرب يعفر) جاء ذكره في نقش (RES 4069) والذي يعود تاريخه لعام (٥١٥م) تقريبا، وكذلك في نقش (Ry 510)، والذي يعود تاريخه لعام (٥١٦ م). يتحدث النقش عن الملك (معدي كرب) ملك حمير، الذي قام بحملة عسكريّة بناءً على طلب قبيلة (كندة) التابعة لدولته، بعد أن تعرّضت لهجوم من قبل (المنذر الثالث). لذلك الغرض، قاد الملك (معدي كرب) حملته ضد (المنذر)، ووصلت قواته إلى منطقة أطلق عليها في النقوش اسم (سهل قتع)*، ويوضّح النقش عدد القوات التي حشدها ذلك الملك ضد عدوه، وقد شاركت في تلك الحملة قوات من (سبأ وحمير والرحبة) "ر ح ب ت ن" وحضرموت وأعرابهم كندة ومذحج،

---

*) سهل قتع: سهل يقع بالقرب من وادي (مأسل الجمح) موضع سبق تحديده.

والقبائل البدويّة الخاضعة لحمير)، وقد نوّه النقش إلى قبيلة (بنو ثعلبة) القبيلة العربيّة المعروفة باسم (ثعلبة بن عقبة بن بكر)، التي لم تخضع للدولة الحميريّة، ولكن كانت لها أواصر وصلات قويّة مع (الكنديّين) فوقفت كحليف (لمعدي كرب)، أمّا نتائج تلك الحملة فتتلخص في أن (المنذر) في نهاية المطاف أبرم اتفاقية سلام مع الملك لحميري (معدي كرب) وقبل بدفع الجزيّة أيضاً[1].

ومن الملاحظ أن النقش لم يحمل أيّة صيغة دينيّة، إلاّ أنّ هناك من المصادر السريانيّة، ما تشير إلى أنّ (معدي كرب) قد اعتنق الديانة المسيحيّة، وقد أوصله نصارى (نجران) إلى العرش، ومنذ تلك الفترة اقترنت الديانة المسيحيّة في اليمن بالنفوذ الحبشي – البيزنطي[2].

وتضيف تلك المصادر إلى أن الديانات المسيحيّة منذ عهد الملك (معدي كرب) وجدت سبيلاً للانتشار، فبنيت الكنائس في (نجران) و(ظفار) و(مأرب) و(حضرموت)، وأصبحت (نجران) كرسياً أسقفياً، ومركزاً تجاريّاً هاماً يضاهي (يثرب) مركز اليهوديّة في شبه الجزيرة العربيّة[3].

إذاً فقد اعتنق الملك (معدي كرب)، ديانة مغايرة للديانة اليهوديّة السائدة آنذاك في اليمن منذ قرن من الزمان. فكيف – ياترى تم ذلك التغيير؟ وماهي المستجدات التي شهدتها المنطقة آنذاك ؟ سنجيب على هذه الأستفسارات في الفصل القادم.

---

[1]) لوندن أ. ج: "اليمن إبّان القرن السادس الميلادي"، ترجمة: محمد علي البحر، (الحلقة الأولى)، "مجلة الأكليل"، العددان الثالث والرابع، (١٤٠٩ – ١٩٨٨) ص ١٣.

[2]) سحّاب: المرجع السابق، ص ١٢٧.

[3]) الصلوي: الأخدود، ص ٥٥ – ٥٦، أنظر أيضا: بتروفسكي، م. ب: "اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة، القرن الرابع حتى القرن العاشر"، تعريف: محمد الشعيبي، دار العودة، بيروت ١٩٧٨، ص ٧٦.

الفصل الثاني

يوسف أسأر يثأر ملك كل الشعوب



الفصل الثاني

يوسف أسأر يثأر ملك كل الشعوب

جاء بعد الملك (معدي كرب) (٥١٧ م)، الملك "يوسف أسأر يثار"، (Ry 508,507) الملك الذي لقّب نفسه "بملك كل الشعوب"، وأطلق عليه الإخباريون (ذا نواس)، لقد تخلّى "يوسف" عن اللقب الطويل المعروف لدى ملوك حمير، وتخلّيه عن ذلك اللقب يوحي بأكثر من احتمال، حيث يرى بعض المؤرخين أن سبب تخلّيه عن ذلك اللّقب يعود إلى أنّه لا ينتمي للأسرة المالكة، وأنّه وصل إلى الحكم نتيجة انقلاب قام به في حوالي عام (٥١٧ م)، قضى خلاله على سلفه (معدي كرب)، الذي انتهج سياسة موالية لبيزنطة، بعد أن جمع حوله القبائل القويّة، والتي كان من أبرزها "بني ذي يزن" [١].

ويرى فريق أخر، أنّه ينحدر من أسرة الملك النصراني "معدي كرب"، بل وكان خلفه في الحكم بعد موته، ولم يثر عليه أو يسلب منه السلطة، فقد كان نصرانياً أيضاً في بداية عهده. ما جاء به هذا الفريق يؤكد قول "محمد بن حبيب البغدادي" عن (يوسف) أو (ذي نواس) حيث يقول: "وملك بعده ثم تهوّد ودان باليهوديّة ودعا الناس إليها" [٢] أي أنّه أعتلى العرش وهو يدين بالنصرانية، ولعله بعد أن اعتنق الديانة اليهوديّة أطلق على نفسه اسم (يوسف)، أمّا سبب تخلّيه عن اللقب الطويل، واكتفائه بلقب (ملك كل الشعوب) فيعود -في اعتقادنا- لما يحتويه اللقب الأخير من شمولية تؤكد سعة النفوذ السياسي الذي حظي به، فكان يضم تحت

---

[١]) بافقيه: موجز تاريخ اليمن ....، ص ٦٢.

[٢]) إبن حبيب البغدادي، محمد بن حبيب بن أمية بن عمر الهاشمي (ت ٢٤٥ هـ): "المحبّر"، تحقيق: ايلزة ليختن شتيتر، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٣٦١ هـ = ١٩٤٢ م، ص ٣٦٨.

سلطانه كل المنطقة من جنوبها إلى شمالها، حتى قلب شبه الجزيرة العربيّة، بكل بدوها وحضرها. ويذكّرنا هذا اللقب، باللقب الذي تحلّى به الملك (امرؤ القيس بن عمر اللخمي) عام المتوفى (٣٢٨م) فقد لقّب (بملك كل العرب) بعد أن شمل سلطانه كل قبائل (معد) و (نزار) و (الإزد)، في شمال ووسط شبه الجزيرة العربية، فالتسميّة واحدة، اللهم الاختلاف في كلمة (عرب) عند "امرئ القيس" وكلمة "شعوب" عند "يوسف أسأر"، وهذا أمر طبيعي، فالأعراب في النقوش تعني: القبائل البدوية، أمّا (الشعوب) فتعني: القبائل المستقرة والمتحضرة، وقد أكد القرآن الكريم ذلك التمييز بقوله تعالى: "يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ..."[1]

فبعد أن تهوّد الملك الحميري (يوسف)، انتهج سياسة مغايرة لسياسة سلفه، وأخذ يؤلّب القبائل ويجمع شملها، استعداداً لتحرير المناطق اليمنيّة من النفوذ الحبشي والمصالح البيزنطية، فاستخدم القوة والشدة في معاملته مع التّجار المسيحيين وحلفاء الأحباش، والقبائل اليمنيّة الموالية لهم، كقبائل (عك) و (الأشاعر) بتهامة، وبسبب تلك السياسة قلّ تعامل التّجار البيزنطيين مع المؤانى اليمنيّة وتضرر كثير من اليمنيين تضرراً اقتصاديّاً كبيراً، وخاصة من ارتبطت مصالحهم بتلك التجارة، وأبرز البؤر المسيحيّة التي ظلّت تناصب الملك الجديد عداءها وهي أولاً: نجران: المركز التجاريّ والديني، وملتقى الطرق التجاريّة التي تنطلق من (نجران) إلى الخليج العربيّ عبر وادي (الدواسر) و(اليمامة) و(البحرين)، وعبر(نجران) تأتي الطريق القادمة من (صنعاء)، و (مأرب)، و(الجوف) والمتّجهة إلى (الشام)، وفي (نجران) توجد جاليات مسيحيّة متمركزة حول بيت العبادة الذي سمّي بكعبة (نجران) .

ثانياً: ظفار: العاصمة الحميريّة والتي سبق وأن احتلها الأحباش وطردهم الملك الحميري (ملكي كرب يهأمن)، إلاّ أنهم عادوا في وقت متأخر في عهد

---

[1]) سورة الحجرات، آية رقم (١٣) .

(معدي كرب) بحجة التبشير بالنصرانيّة وحماية كنائسها.

ثالثاً: المناطق الساحليّة الغربيّة (المناطق التهاميّة) وتقطنها أهم القبائل الموالية للأحباش وهم: (الأشاعر) و (الركب) و (عك) و (فرسان) والواقعة أراضيهم على امتداد الساحل المقابل للحبشة، وقد تمكّن الأحباش منذ القرن الأول الميلادي، من إيجاد موطأ قدم لهم في ذلك الأقليم الساحليّ، وظلّت تلك القبائل وفيّة لهم بحكم مصالحها الاقتصاديّة، وبحكم الجوار الجغرافيّ، خاصة وأنّ الأحباش امتزجوا بسكان ذلك الإقليم لقرون لايستهان بها، كما أسسوا لهم مستوطنات وبنوا فيها الكنائس، ومن هنا كانوا ينطلقون إلى المناطق الداخليّة كلما سنحت لهم الفرصة بذلك.

لقد كان لسياسة العداء التي أنتهجها (يوسف) ضدهم رد فعل قوي، عندما لجأ المتضررون من تلك السياسة (البيزنطية) لمساعدتهم في وضع حد لتلك المعاملة[1]. فوجّهت (بيزنطة) نظرها صوب (الحبشة)، التي وجدت في تلك الدعوة سبيلاً لتحقيق حلم طال انتظاره، فرحّبت بالفكرة دون تردد.

---

[1]) ابن كثير الدمشقي، الحافظ بن كثير: "البداية والنهاية"، جـ ١، بيروت ١٩٦٦، ص ١٦٩.



الفصل الثالث
الغزو الحبشي لليمن

أولاً: الحملة الحبشيّة الأولى على اليمن.

ثانياً: الإعداد للحملة الحبشيّة الثانيّة.

ثالثاً: الأوضاع الداخلية في اليمن قبيل الحملة الحبشيّة الثانيّة.

رابعاً: تنفيذ الحملة وانهزام القوات اليمنيّة.

خامساً: أسباب الهزيمة.

الفصل الثالث

الغزو الحبشي لليمن

أولاً: الحملة الحبشيّة الأولى على اليمن

تجمع المصادر النقشيّة، والسريانيّة، والعربيّة، على أنّ "الحبشة"، شنّت غزوتين عسكريتين على اليمن، في الربع الأوّل من القرن السادس الميلاديّ، الأولى حدثت عام (٥١٨ م)، والثانيّة: تمت عام(٥٢٥ م)[1].

وقد أظهرت المصادر العربيّة، ذرائع للتدخل الحبشيّ، تختلف في تفاصيلها، وتتفق في جوهرها، حيث تورد أنّ اضطهاد ملك حمير -اليهوديّ العقيدة- للنصارى كان سبباً رئيسياً لذلك التّدخل.

ويذكر (أبو هلال العسكري)، أن الشرارة الأولى التي فجّرت الموقف، كانت قتل نصارى نجران لأبناء رجل يهوديّ يدعى (دوساً) حيث يقول: "كان (لدوس بن ثعلبان) -يهودي من نجران- ضيعة يخرج بنوه إليها ليلاً، فيجرّون فيها الماء أكثر ممّا يخصّها فأجمعت نصارى (نجران) فقتلوهم، وطلبوا أباهم دوساً فاعجزهم فسار حتى قدم إلى (ذي نواس)، وكان قد تهوّد فشكا إليه ما أصيب به، فخرج إلى أهل (نجران) وحاصرهم، ثم عاهدهم، فلمّا تمكّن منهم أوقع فيهم فلم ينج منهم إلاّ الشريد، فلحق بعضهم بالنجاشي ومعه الإنجيل قد أحرق أكثره، فلما شاهده ساءه، فكاتب ملك الروم بذلك، واستدعى منه سفناً يحمل فيها الرجال إلى اليمن. "ويضيف: "وبلغ ذاك "ذا نواس" فصنع مفاتيح كثيرة فلما دنا منه جيش الحبشة أرسل إليهم بها وقال: "هذه مفاتيح كثيرة خذوا المال والأرض وأنا طوع لكم، فاطمأنوا وتفرقوا في المخاليف، فأرسل (ذا نواس) إلى المقاولة "الأقيال"، إذا كان يوم كذا

---

[1]) الصلويّ: الأخدود، ص ٥١ .

فاذبحوا كل ثور أسود فيكم، فعملوا ما أراد، وقتلوهم، ولم يبق منهم إلاّ القليل."[1]

أمّا رواية (الطبريّ) فتتفق مع هذه الرواية في جوهرها، وأن اختلفت بعض الشيء في تفاصيلها[2].

لقد أوردت المصادر العربيّة الذريعة الشكليّة للغزو، ولم تشر إلى حقيقة وأبعاد هذه الحملة، التي تخدم في جوهرها مخططاً دولياً خطيراً، كانت ترسم له الدول العظمى آنذاك (فارس وبيزنطة)، والتي عاشت قروناً في حروب من أجل التجارة وطرقها الدوليّة، وكان اليمن القديم حينها مركزاً تجارياً هاماً يتحكم في اقتصاديات العالم القديم، وذلك من خلال تحكّمه بأهم الطرق التجاريّة.

في عام (٥١٧ م) نزلت القوّات الحبشيّة إلى ميناء (المخا) على البحر الأحمر، حيث لقيت الدعم من أصدقائها المسيحيّين هناك، وسارت القوات الحبشيّة حتى وصلت (ظفاراً) العاصمة الحميريّة، وفرّ (يوسف) إلى الجبال ليستعيد قواه، أمّا النجاشي فقد أقام قرابة سبعة أشهر، وأثناء إقامته بنى العديد من الكنائس، وشجّع النصارى على العبادة الحرّة، كما أخضع البلاد للجزيّة، وترك حاميات حبشيّة لمساندة نائبه ولحراسة الكنائس، ثم عاد إلى الحبشة ومعه عدد من الأسرى والمناؤون لحكم الأحباش[3].

أمّا المصادر النقشيّة: (Ry 507 , 508) (Ja 1028) فقد زودتنا بمعلومات علميّة دقيقة عن ذلك الحدث، عندما تطرّقت -بشكل مفصّل- لسير قوات (يوسف) ومواجهتة للأحباش، ونديـن بالفضل لقائده الفذ (شرحئيل يقبل اليزنيّ)، الذي قام بتسجيل كل الانتصارات التي حقّقها سيده على الأحباش.

عاد (يوسف) بعد أن جمع قواه، فبدأ هجومه على (ظفار) العاصمة

---

[1]) العسكريّ: أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل: " الأوائل "، تحقيق: محمد المصري ووليد قصّاب، جـ ١، بلا تاريخ، ص ٢٨ – ٢٩.

[2]) الطّبريّ، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير: "تاريخ الرسل والملوك" جـ ٢، دائرة المعارف بمصر (١٩٦٦)، ص١٢٣.

[3]) Rodinson: op. - cit , pp. 52 - 53.¡ أنظر أيضاً :الصلويّ: الأخدود، ص ٥٤.

الحميريّة، وقتل الأحباش فيها، واستولى على الكنيسة وأحرقها، وقد لجأ اليها قرابة (٢٨٠) من الأحباش، وبمجرد سيطرته على (ظفار) توجه لمحاربة (الأشاعر) لإخضاع سكان (تهامة) لسلطته، ثم اتجه إلى (شمير)* هدّم حصونها ومعاقلها، وبعد ذلك عاود هجومه على (الأشاعر)، ثم توجّه إلى ميناء (المخا). ويشير قائده (شرحئيل) إلى أنّه استولى عليها، وأباد سكانها وأحرق الكنيسة فيها، وبالاستيلاء على (المخا)، قطع الطريق على الإمدادات الحبشيّة التي قد ترسل إلى (الأشاعر) عن طريق البحر؛ فقد كان (يوسف) وقائده يهدفان من شن هجومهما على المدن الساحليّة، فرض سيطرتهما عليها، والحيلولة دون إنزال أيّة قوات حبشيّة جديدة تدعم القوات الموجودة في اليمن، وبالفعل تمكّن الملك الحميريّ من بسط سلطته على المنطقة بشكل كامل، وقد ورد في النقوش الخاصة بانتصارات (يوسف) اسماء مناطق ساحليّة أخرى خضعت لنفوذه مثل: (الركب)** ، و(رمع)، كما أشار إلى تحطيمه لقوات قبيلة (فرسان)، وبإخضاع ذلك الإقليم تنتهي المرحلة الأولى من الصراع. ويورد النقش نتائجها بـ (١٣٠٠٠) قتيل و (٩٥٠٠) أسير، و (٢٨٠٠٠٠) جمل وماشية (Ry 508,4-6)، أرقام هائلة تؤكد مدى إتساع الصراع وحدّته [١].

وبعد أن أخضع الملك الحميريّ (يوسف أسأر) الساحل الغربيّ، استلم (شرحئيل) أمراً من الملك بالتوجّه على رأس جزء من القوات إلى (نجران)

---

*) شمير: منطقة تهاميّة، تلي منطقة الأشاعر، غرب (تعز) أنظر: (الهمداني): الصفة، ص٧٤،٢٢، ٧٨، وأنظر أيضا:

AL - Scheiba ʿAbdalla Ḥasan: "Die ortsnamen in den altsudarabischen Inschriften " (Mit dem versuch ihber Identifizieruing und Lokalisierung Inaugural Dissertation Zur Erlangung Der doktorwurde, Marburg / Lahn , 1982 , p. 37.

**) الركب: منطقة تقع بالقرب من فرسان؛ جاء ذكرها عند (الهمداني) في كتابه: الصفحة: ص٧١، ٧٤، أنظر أيضا: AL - Scheiba: op. cit , p. 31.

[١]) راجع نقش الملك الحميري (يوسف أسأر) الخاصة بتتبّع النصارى والأحباش (Ja 1028) (Ry 507 ,508)، وقد تناول دراسة تلك النصوص كل من: إبراهيم الصّلويّ في رسالته (قصة أصحاب الأخدود)، ص ٢١ – ٢٢، و أ. ج. لوندن في موضوعه: "اليمن أبّان القرن السادس الميلادي" (الحلقة الأولى)؛ ص ٢٤، ومطهر الإرياني في: نقوش مسنديّة، ص ٣٧٣ و أيضا: - Rodinson: op. - cit , p. 53 .

لمحاصرتها، وأمر الملك (يوسف) ببناء القلاع والحصون على امتداد شاطئ (منبـن) كما جاء في النقش وتعني: (المندب)، تحسباً لأي هجوم حبشيّ مبـاغت، ولحق بعد ذلك مع مَنْ بقي من جيشه بقـائده (شـرحئيل) إلـى (نجـران)، (Ry508,6-9) فتغلّبـت جيوشه على هـذه المدينـة، وأنزلـت بسـكانها خسـائر فادحـة فـي الأرواح والأمـوال، ووضعـت الأغـلال فـي أيـدي الأسـرى، وقتـل مـن وجـد هنـاك مـن الأحبـاش، وقـد أشتركت في هذه الحرب إلى جانب الملك والقوات الحميريّة؛ قبائل (يزأن) و (مراد) و (خولان) و (همدان) بدوها وحضرها، وأخوته الأقيال (لحيعـث يرخـم) و (سـميفع اشوع) و (شرحئيل أسعد) وقد دوّنت النّقوش الثلاثة الخاصة بهذا الحدث سنة (٦٣٣) من التقويم الحميري، الموافق لسنة (٥١٨) للميلاد.

ويمكن الاستنتاج:- بأن قوات (شرحئيل) لم تواجه أيّة مقاومـة علـى امتـداد الطريق من (Ry 507,10)(Ry508, 7-8) (المخا) الـى (كوكبـان) وحتـى (نجـران)، وتؤكد اسماء القبائل التي حاربت الى جانب الملك الحميريّ، أنّ سطوته كـانت قويّـة وأنّ مؤيديه كانوا كثيرين، وربما وجدوا فيه المنقذ والخـلاص مـن التبعيّـة الحبشـيّة، أمّا معارضوه فكانوا محدودين، يتمركزون في مناطق -سبق وأن أشـرنا إليهـا- لهـا إرتباط قوي بالمصالح الاقتصاديّة الحبشيّة والبيزنطيّة[1] مثل:

١. (ظفار) العاصمة الحميريّة، حيث يوجد الأحباش فيها منذ زمن بعيد بحجـة التبشير بالنصرانيّة، وحماية كنائسها، وقد كسبوا ود زعمائها.
٢. المنـاطق السـاحليّة مثـل: (الركـب) و (فرسـان) و (المخـا) و(الأشـاعر)، جميعها مناطق وجد فيها الأحباش منذ القرون الأولى للميلاد، وبنوا لهم فيها مستوطنات دائمة.
٣. نجران: مركز تجاريّ، وصناعيّ هام، يقع على طريق القوافل، وقد اتخـذ النصارى من نجران معقلاً لهم يضـاهي (يـثرب)، مركـز اليهـود الهـام فـي شبه الجزيرة العربيّة، كما يروي (ابن حبيـب): ان عبـدة الأوثـان كـان لهـم

---

[1]) الصلويّ: الأخدود، ص ٢٤.

صنم في (نجران)، بل أنّ (نجران) كانت أيضاً من المستوطنات التي نزل فيها اليهود، فعاشوا فيها مع غيرهم من نصارى وعبدة أوثان[1].

وتشير المصادر السريانيّة، إلى أنّ هناك مفاوضات تمّت بين (شرحئيل) وأهل (نجران) قبل بدء الصراع المسلّح، وكان لهذه المفاوضات أثر في الموقف السلبيّ للحاميّة الحبشيّة المتمركزة في (نجران)، فبعد تلك المفاوضات، وافق وجهاء (نجران) على تقديم الرهائن للقائد (شرحئيل)، وربما كانت تلك سياسة تكنيكيّة لجأ إليها القائد، من قبيل كسب الوقت، والحيلولة دون القيام بأي هجوم قد تشنه الحامية الحبشيّة في (نجران) فهدف الملك (يوسف) الجوهري كما سيتضح لاحقاً، هو: دكّ بؤرة النصارى المناوئين للأحباش[2] وتم له ذلك في خريف عام (٥١٨ م) وقد تحدّثت المصادر السريانيّة، والعربيّة والإسلاميّة بشكل مفصّل عن احتلال (نجران) وملاحقة النصارى وقتلهم، تلك المقتلة الكبرى التي أشتهرت في كتب التاريخ الإسلامي بإسم "وقعة الأخدود"[3].

ويمكن أن نستنتج أيضاً: أن الهدف الرئيسي (ليوسف) من وراء تلك الأعمال العدائيّة التي انتهجها ضد النصارى المرتبطين أساساً بالأحباش، لم يكن هدفاً سياسياً فحسب؛ بل اقتصادياً بالدرجة الأولى، فقد كان (يوسف) يسعى للقضاء على الأوساط المرتبطة إرتباطاً مباشراً بالأحباش ومن ثم بالتجارة البيزنطيّة أو الموالية لها، فبعد أن حقق مهمته في (نجران) غادر المدينة تاركاً قائده (شرحئيل).

فالسؤال الذي يبرز هو: لماذا لم تبعث الحبشة بأية إمدادات عسكرية إلى نجران؟

---

[1]) ابن حبيب، "المحبّر"، ص ٣١٧.

[2]) يرى (لوندن) أن النقش: (Ry 507) قد نوّه لتلك المفاوضات في السطر السادس، بما معناه أن الملك أرسل مرة ثانية إلى منطقة (نجران)، ليطلب منهم الرهائن. لوندن: "اليمن أبّان القرن السادس"، (الحلقة الأولى)، ص ٢٤، هامش رقم (٨٢).

[3]) سحّاب: المرجع السابق، ص ١٣٣، عن: - Shahid Irfan: " The Martyrs of Najran" , New Documents , Socitete des Bollandistes , Bruxelles , 1971.

يبدو لنا وكما مرّ علينا سابقاً في النقش (Ja 1028) أنّ الملك الحميريّ قد استعد لمثل ذلك الرد، فأمر ببناء القلاع والحصون على طول المدن الساحليّة الاستراتجية، كما أن الوقت الذي نفّد فيه عمليته -نهاية عام (٥١٨م)- كان ملائماً؛ إذ كان وقتاً يستحيل أن تتحرك فيه أية إمدادات بحريّة من الحبشة، بسبب هبوب الرياح، لهذا نجد (نجران) تخضع وتستكين، بعد الهزيمة، بعدما يستتب الهدؤ في كل مقاطعات الدولة الحميريّة. ويبدو أن (يوسف) بدأ في البحث عن حليف يمكن الاعتماد عليه عند الضرورة، فوجه نظرة صوب (فارس) العدو التاريخي (للبيزنطيّة) مستغلاً الأحوال المضطربة بينهما.

ثانياً: الإعداد للحملة الحبشيّة الثانيّة

لم تحدثنا المصادر النّقشيّة، ولا السّريانيّة ولا العربيّة الإسلاميّة، عن الأوضاع السياسيّة، التي شهدتها اليمن بعد انتصارات (يوسف أسأر) منذ (٥١٨م) وحتى عام (٥٢٥م)، وقد يعود ذلك لغياب الأحداث السياسيّة الكبيرة التي تستحق التوثيق.

ولذلك يبرز استفسار بحاجة لإجابة شافية هو: لماذا لم يفكّر الأحباش في الانتقام خلال تلك الفترة، التي تقدّر بسبع سنوات تقريبا؟ بل انتظروا كل تلك الفترة للرد على ملك حمير؟

نظرة شاملة على الأوضاع الدوليّة في تلك الفترة تكفي للإجابة على هذا التساؤل. لقد كانت الحبشة في تلك الآونة تعيش صراعاً سياسياً حاداً، بين الأخوين (يكسوم) و (اولوس) من أجل السلطة، ولعل ذلك مبرر كافٍ، حال دون التفكير في مد يد المساعدة لحلفائهم في اليمن.

أمّا بيزنطة فهي الأخرى كانت تعيش حالة من عدم الاستقرار في سياستها الخارجيّة، وبالذات مع عدوها التاريخيّ (فارس) فعلاقتها معها تتسم بالسلام حيناً، وبالحروب حيناً آخر، وفي الوقت ذاته نجدها تترقب استقرار الأوضاع الداخليّة للحبشة لتعد العدة للانتقام.[1]

---

[1]) سحّاب: المرجع السابق، ص ١٣١.

بعد أن استقرت الأوضاع في الحبشة، وبدأت تلوح في الافق بوادر سلام بين (بيزنطة) و (فارس)، أصبحت الأجواء ملائمة للتفكير في القيام بعمل عسكريّ كبير ضد اليمن وملكها المتهوّد.

بدأت بيزنطة والحبشة في بالإعداد للغزو إعداداً عسكرياً وسياسياً ودبلوماسياً –وقد ذكر آنفاً– أنّ حماس بيزنطة للانتقام للنصارى، لم يكن دفاعاً عن العقيدة الدينيّة، ولكنه كان رغبة قويّة ملحّة للسيطرة على المسالك التجاريّة عبر البحر الأحمر، أي السيطرة على الجانب الغربيّ من شبه الجزيرة العربيّة، بعد أن أضطربت طريق (الفرات) المسيطرة "فارس" عليها. وستفقد بيزنطة مصالحها اذا ظلّ الطريق الغربيّ بيد ملك يهودي معادٍ لبيزنطة[1].

ولتحقيق تلك الغاية بدأت المساعي الدبلوماسيّة البيزنطيّة تنشط بصورة محمومة، فقد فكرت أولاً في البحث عن وسيلة للحيلولة دون مساعدة ملك الحيرة والفرس لملك اليمن، وانتهزت فرصة عقد مؤتمر (الرملة)[*]، المنعقد سنة (٥٢٤ م)، لتحقيق هذا الهدف. فقد أوفد امبراطور بيزنطة (جستينيان الأوّل Justinian) سفيره (ابراهام Abraham) بن (افراسيوس Euphrasius)، خبيراً للشئون العربيّة للتفاوض مع (المنذر) ملك الحيرة، في شأن عقد صلح بين (بيزنطة) و (فارس).

أثناء انعقاد ذلك المؤتمر الذي حضره ممثلون عن ملك الفرس (قباذ)، حضر من اليمن وبالصدفة، مبعوث أرسله الملك الحميريّ (يوسف) ليبحث عن دعم يصد أي هجوم، حبشي –بيزنطي متوقّع، والنظر في وضع المسيحيين الذين أصبحوا يشكّلون تهديداً قوياً لسياسة (يوسف) هذا إذا ماعرفنا حينها أنّ (الحيرة) كانت تصدّر إلى (نجران) وإلى شبه الجزيرة العربيّة المسيحيين النساطرة ثم اليعاقبة[2].

---

[1]) سحّاب: المرجع السابق، ص ١٣١ – ١٣٢.

[*]) الرملة: منطقة تقع جنوب شرق الحيرة.

[2]) سحّاب: المرجع السابق، ص ١٣٣ – ١٣٤، أنظر أيضا: Rodinson: op. - cit , p. 53. -

لقد استغلت الدبلوماسيّة البيزنطيّة ذلك الحدث، وأشاعت بأن الرسل التي جاءت من ملك اليمن تطلب من (المنذر) ومن ملك (فارس) اجتثاث المسيحيين من أراضيها، كما فعل بهم في اليمن، وكانت مثل تلك الدعاية كافية لإثارة مشاعر السخط بين المسيحيين، وكسب الرأي العام المسيحي بشكل عام. وبذلك حقّقت الدبلوماسيّة البيزنطيّة هدفها المرجو. خاصة عندما تخلّى (المنذر) وملك (فارس) عن مساعدة ملك اليمن، في الوقت الذي كان فيه (يوسف) بأمسّ الحاجة لمثل ذلك الدعم، بل كان يرى في (فارس) العدو التاريخيّ لبيزنطة، والسّند الدوليّ لسياسته. لكن بيزنطة تمكّنت من عزل الملك اليمنيّ عن القوى الوحيدة المؤثرة والتي كانت بالإمكان ان تسانده. وفي الوقت ذاته نجح المبعوث (البيزنطي) أيضاً في أن يعقد معاهدة سلام مع (فارس)، كان ذلك في شهر فبراير من عام (٥٢٤م)[١].

الإعداد العسكريّ

حدثتنا المصادر العربيّة الإسلاميّة عن بالإعداد البيزنطي –الحبشي، للحملة العسكريّة الثانيّة، وأنّ بيزنطة بأسطولها الحربيّ ساهمت في نقل جنود الأحباش عبر البحر الأحمر، من الضفّة الغربيّة إلى الضفّة الشرقيّة[٢].

فقد استخدمت حوالي خمس عشرة سفينة من (إيلة) وعشرين من (القلزم)، وسبع من (يوتابه)، و أثنتين من (برنس) (جنوب الشاطئ المصريّ المطلّ على البحر الأحمر)، وسبع من (فرسان) جنوب البحر الأحمر، وتسع من (انديكه) (ارتيريا؟)، أي ما مجموعه ستون سفينة، وكان معظم تلك السفن بيزنطيّة، وبعضها استؤجر من بعض التّجار، أمّا النجاشي فقد أضاف إلى هذا الأسطول عشرين سفينة بناها خصّيصاً لهذه الحملة[٣].

---

[١]) سحّاب: المرجع السابق، ص ١٣٥.

[٢]) الطبريّ: التاريخ، جـ ٢، ص ١٢٣.

[٣]) - Rodinson: op. - cit , p. 53

ثالثاً: الأوضاع الداخلية في اليمن قبيل الحملة الحبشيّة الثانيّة

بالرغم من غياب المصادر النقشيّة، التي تبحث الأوضاع في اليمن في هذه المرحلة، إلاّ أننا ومن خلال الأحداث اللاحقة، نستطيع أن نرسم صورة عن الأحوال السياسيّة الداخليّة، التي كان يعيشها اليمن، فقد اتسمت تلك الفترة بالتفكّك والتمزّق، ممّا أتاح للأحباش فرصة ثمينة لتثبيت وجودهم في المناطق التهاميّة، والتي غدت منذ ذلك الوقت قاعدة لانطلاقهم صوب المناطق الداخليّة، ويرجّح بعض المؤرخين بأن هناك خلافاً خطيراً برز بين الملك الحميريّ (يوسف) وقادته العسكريين (اليزنيّين) ففي -اعتقادهم- أنّ هذه الفئة قد غدت بعد غزوات الملك الحميريّ، قوة لايستهان بها، حيث كان لها تأثير كبير على اتخاذ القرار السياسيّ، وبالقدر الذي كان لهم الفضل في تقوية المركزيّة واستتباب أمنها واستقرارها، قد يكونوا وراء إضعاف وتطويق نفوذها السياسيّ[1]. وعلى الرغم من غياب الدلائل القاطعة لذلك الاحتمال، إلاّ أننا لا نختلف على وجود أوضاع سياسيّة مضطربة بسبب السّياسة التي انتهجها الملك الحميري (يوسف)، والتي لم يرضَ عنها بعض الزعماء، وبالذات الفئات الارستقراطيّة ذات المصالح الاقتصاديّة المرتبطة بالاحباش، وبالتالي بيزنطة، مثل ذلك التفكك والسخط الداخليّ، انعكس في عجز (يوسف) في جمع كلمة (حمير) عندما طلبهم لمواجهة الأحباش كقوة واحدة، وقد أكّد لنا (الطبريّ) هذا الخلاف حيث قال على لسان (ابن هشام): "لما سمع (ذو نواس) بوصول الأحباش كتب للمقاول أي (الأقيال) يدعوهم إلى مظاهرته، وأن يكون أمرهم في محاربة الحبشة ودفعهم من بلادهم كرجل واحد، فأبوا وقالوا ليقاتل كل رجل من مقولته"[2] (أي من ناحيته).

---

[1]) بافقيه، محمد عبدالقادر: اليزنيون، ص٩٧.

[2]) الطّبريّ: التاريخ، جـ ٢، ص١٢٧.

رابعاً: تنفيذ الحملة الحبشيّة الثانيّة وانهزام القوات اليمنيّة

أوردت بعض المصادر الإخباريّة العربيّـة الإسلاميّة ذرائع شكليّة للغزوة الحبشيّة الثانية، يقول (الطبري): "ان رجلاً من أهل نجران خرج حتى قدم على ملك الحبشة وأتاه بالانجيل وقد أحرقت النار بعضه، فقال له: عندي كثيرٌ من الرجال وليست عندي سفن، وأنا كاتب إلى القيصر ليبعث إليّ بسفن أحمل فيها الرجال، فكتب إلى قيصر في ذلك، وبعث إليه بالانجيل المحروق، فبعث إليه قيصر بسفن كثيرة [١] وقد اتفقت المصادر العربيّة الأخرى مع ما جاء عند (الطبريّ).

بالرغم ممّا يشوب تلك المصادر من خلط واضطراب وبُعْدٍ عن التمحيص، إلاّ أنّ الحقيقة التي لا خلاف حولها، هي أنّ الاحباش نفّذوا بالفعل ما خططوا له بعد دراسة دقيقة ومساعدة فعليّة من بيزنطة، فقد أبحر أسطولها من ميناء (أدوليس) في ١٨ مايو من عام (٥٢٥م) حيث نزلت قواتها على الساحل الغربيّ لليمن، وأشارت المصادر الإخباريّة إلى أنّ عدد القوات الحبشيّة بلغ (١٥,٠٠٠) مقاتل[٢]، وقد واجه جنود الأحباش مقاومة عند نزولهم إلى الشاطئ، ولكن لم يكن ليوسف أسطولاً يحارب به العدو في البحر قبل ان يصل إلى البر.

وتجمع المصادر، على أنّ الملك الحميريّ، عندما شعر بعجزه أمام جحافل الأحباش انسحب إلى الجبال ليتحصن بها، وليدعم قواته، وبالفعل جمع بعض القوات وتحقق له نصر مؤقت[٣]. ولما بلغ نجاشي الحبشة ما حلّ بعساكره في اليمن على يد الملك الحميريّ، أرسل حملة عسكريّة أخرى لتعزيز القوة الأولى، فخاضت تلك القوة معارك ضارية مع الجيوش اليمنيّة، التي يبدو أنّها عجزت عن صد الهجوم. بعد معارك ضاريّة أشارت إليها النّقوش وبالذات نقش (حصن الغراب)(RES621) سجّله القادة العسكريون للملك الحميري "سميفع أشوع وشرحئيل يقبل، ومعدي كرب يعفر بن لحيعث يرخم الكلاعيين –اليزنيين– الجدنيين"، وقد سطّروا هذا النقش في

---

[١]) المصدر نفسه، ص١٢٣.

[٢]) حوراني، المرجع السابق، ص١٥١.

[٣]) الصّلويّ: الأخدود، ص ٥١.

حصن (ماوية) (حصن الغراب) حالياً، بعد أن رمّموا أسواره وبابه وصهاريجه والطريق المؤدية اليه، وتحصّنوا بعد أن تقهقروا من أرض (حبشت) ووجدوا الأحباش زرافات بأرض حمير، قتلوا حينها الملك الحميريّ وأقياله الحميريين والأرحبيين".

امّا المصادر العربيّة فترسم صورة مقتل الملك الحميريّ كالتالي: عندما خسر (ذو نواس) المعركة فضّل الموت على عار الأسر ورمى بنفسه من حصانه في البحر، وملكت الحبشة اليمن.[1]

خامساً: أسباب الهزيمة

لقد هزمت القوات اليمنيّة بزعامة ملكها (يوسف) لأسباب نوجزها في ما هو آت:

(١) عدم تكافؤ القوتين الحبشية -البيزنطيّة اليمنيّة، وقد مرّ بنا، كيف أعدت بيزنطة والحبشة لهذا الهجوم عسكرياً وسياسياً ودبلوماسياً، وحشدت ما يزيد على ستين سفينة، وما يزيد على (١٥,٠٠٠) مقاتل.

(٢) خذلان ملك الحيرة والفرس للملك (الحميريّ) عندما طلب نجدتهم، فلم ينجدوه بعد أن عقدوا صلحاً مع بيزنطة وعاد رسول (يوسف) من الحيرة خائباً.

(٣) اتسمت الأوضاع الداخليّة لليمن بالتردي، وما وصل إليه جسم الدولة المركزيّة اليمنيّة من تمزّق، فلم يتمكّن (يوسف) من جمع كلمة (حمير) وفضّلوا القتال بشكل انفرادي كل من مقولته.

أمام تلك العوامل يبدو واضحاً أنّ الملك الحميريّ، لم يتمكّن من صد الهجوم، فالمقاومة اليمنيّة لم تكن قويّة، فانتصر الأحباش بسهولة، فالخذلان انتاب (يوسف) من قومه وممّن كان يعتقد أنهم سيساندونه، هذا الإحباط الذي عاشه ملك حمير، أكّدته المأثورات العربيّة الإسلاميّة من أنّه أغرق نفسه في البحر يائساً، بعد أن رأى خسران المقاومة التي حاول جاهداً تنظيمها.

---

[1] ابن سعيد الأندلس، "نشوة الطرب"، ص١٥٦ أبو هلال العسكري: "الأوائل": جـ١، ص٢٩، ابن حبيب: "المحبّر"، ص ٣٦٨، ابن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، ج٢، ص١٦٩.



الفصل الرابع

اليمن تحت السيادة الحبشيّة

أولاً: النجاشي (إلاّ اصبحه) في اليمن.

ثانياً: سميفع أشوع ملك صوريٌ.

ثالثاً: استيلاء أبرهة على حكم اليمن.

رابعاً: السياسة الداخليّة لأبرهة.



الفصل الرابع

اليمن تحت السيادة الحبشيّة

أولاً: النجاشي (إلاّ اصبحه) في اليمن

بعد إنتصار القوات الحبشيّة، توجه النجاشي (الاّ اصبحه) أو (كالب) كما يسمى أيضاً، إلى (صنعاء) وأستولى عليها بسهولة، حيث أقام فيها قرابة سبعة أشهر، ولتثبيت وتدعيم سيطرته قام بعدة إجراءات منها:

- تقديم الّدعم لمسيحي اليمن، فأعاد بناء الكنائس، ونصب كهنة من القساوسة الذين حضروا مع الأحباش.
- عين ملكاً يمنياً من السلالة اليزنيّة وهو (سميفع أشوع) حاكماً صورياً خاضعاً للأحباش، وترك لديه وجهاء من الأحباش بهدف حمايته.
- ترك أعداداً كبيرة من القوات الحبشيّة. وأخضع سكان اليمن لنظام الأتاوات.

بعد تلك الإجراءات غادرت القوات الحبشيّة اليمن محمّلة بالغنائم، وباعداد من الأسرى من بينهم (٥٠) فرداً من الأسرة الحميريّة المالكة.[١]

ثانياً: سميفع أشوع ملك صوري

ذكر (بروكوبيوس Procopius)[*] : "ان الذي حكم حميراً بعد مقتل ملكهم

---

[١]) الصّلويّ: الاخدود، ص٥٤، عن كتاب: "الشهداء الحميريون"، اغناطيوس يعقوب، أنظر أيضاً، لوندن: "اليمن إبّان القرن السادس الميلادي"، ترجمة محمد علي البحر، الحلقة الثانية "مجلة الاكليل"، العدد الأول، السنة السابعة (١٤٠٩ – ١٩٨٩)، ص١٢٠.

[*]) بروكيبوس Procopius: مؤرخ بيزنطي عاش حوالي عام (٥٠٠ – ٥٦٥ م) يعتبر كتابه، (History of the wars)، من أهم المصادر، التي تناولت الأحداث السياسيّة، التي شهدها القرن السادس الميلادي.

الحميري هو رجل إسمه (Esimiphaeus) (Esimiphaios) السميفع، اختاره النجاشي من نصارى حمير ليكون ملكاً، على أن يدفع إلى الأحباش جزية سنويّة فرضي بذلك وحكم."[1]

أمّا المصادر النّقشيّة، فتحدثنا عن القيل اليزنيّ "سميفع أشوع" الذي تحصّن في قلعة (ماويّة) على ميناء (قنا) أثناء الهجوم الحبشي -كما سبق وأن شرحنا ذلك-.

وقد أجمع المؤرخون على أن "سميفع أشوع" صاحب نقش (حصن ماوية) (CIH 621)؛ هو نفسه القيل الذي تولى حكم اليمن في ظل الاحتلال الحبشيّ (RES 3904)، فإذا صحّ ذلك فستبرز أمامنا جملة من التساؤلات، منها: ماذا كان يعمل (سميفع أشوع) وأولاده وأتباعه بالحبشة؟ ولماذا قدم منها -في ذلك الوقت بالذات- ليتحصن بحصن (ماوية)؟ ومن هو العدو الذي تحصّنوا منه؟

اجتهد بعض المؤرخين واعتبر أنّ (سميفع أشوع) قد جاء ليمهّد لدخول الأحباش إلى اليمن، بل واعتقدوا أنّه كان زعيم المعارضة اليمنيّة في الحبشة؛ التي شملت -في رأيهم- كل الفارّين من (نجران) وغيرهم ممّن وقع عليهم جور التعذيب بسبب رفضهم لسياسة (يوسف)[2]؛ والذي جعلهم يذهبون إلى هذا الاعتقاد ماجاء في النّقش من ان (سميفع) ومن معه قدموا من (حبشت)؛ إلاّ أنّنا نختلف مع أصحاب هذا الرأي، (فأرض حبشت) يمكن ان تطلق على بعض المناطق التهاميّة، التي أستوطن فيها الأحباش، منذ ما يزيد عن خمسة قرون من الزمان، فقد جاء في نقش (CIH, 314 ,904) (حزب حبشت) التي تعني: المستوطنات الحبشيّة في اليمن أو القوات العسكريّة الحبشيّة، وجاء في نقش (Ry 535) حديث عن حرب شنّها الملك السبأيّ (إلي شرح) ضد أحزاب "حبشت وذي شهرتن" في تهامة.

---

[1]) جواد علي: المفصل، جـ ٣، ط (١٩٦٩) ص٤٧٢، عن:
- Procopius: "The History of the wars", translated by: H. B dewing Combridge and London . 1979 , Vol. I.

[2]) لوندن: "اليمن إبّان القرن السادس"، (الحلقة الثانية)، ص١٢٠. بافقيه: العربية السعيدة، جـ٢، ص ١٨٥.

وقد عرفنا أن اليزنيّين قد وصلوا إلى تلك الأراضي وخاصة (الكلاع)، فسمّوا أنفسهم (بالكلاعيين - اليزنيين - الجدنيين)، خاصة بعد أن توسّعت رقعتهم الجغرافيّة وامتد نفوذهم حتى غرب اليمن.

أمّا السؤال الثاني والذي كان مثار نقاش، فهو كالتالي: إذا كان اليزنيّون أثناء الغزو الحبشي قد تمركزوا على السواحل التهاميّة، فلماذا لم يصدّوا الأحباش من الدخول؟ وكيف تمكّن الأحباش من خرق صفوفهم حتى وصلوا إلى المناطق الداخليّة؟

لقد كانت قوات (الكلاعيين - اليزنيين - الجدنيين)، متمركزة -كما جاء في النقش على السواحل الغربيّة، لغرض صدِّ الهجوم الحبشيّ، والدفاع عن الساحل، وقد أكدت كثير من المصادر النقشيّة والأدبيّة المقاومة التي واجهت الأحباش في باديْ الأمر، ولكن عدم تكافؤ القوّتين أحالت دون ذلك، فالقوات الحبشيّة كانت أقوى من تلك الدفاعات اليزنيّة ؛ ففرّ زعيمهم (سميفع) ومن معه حفاظاً على ما تبقى من الأراضي في الشرق.

فقد ذكر "اليزنيّون" في نقش (حصن الغراب) أنهم وجدوا الأحباش زرافات بأرض حمير حيث قتلوا الملك الحميريّ، وأقيال حمير والأرحبيين.

إذاً فقد شاهدوا المعركة التي مات فيها الملك الحميريّ ومن معه، لكنهم فرّوا ليتحصنوا في موقع آخر بعيد جغرافياً، ومحصّن، والوصول إليه صعب المنال، لهذا اعتقد بعض المؤرخين بان عدم وجودهم إلى جانب الملك، يعد تواطؤاً مع الأحباش، إنّ هذه الحجّة -في رأينا- تقوي الاعتقاد، بأنهم ظلّوا على الساحل لصد الهجوم من بدايته، وهذه المهمّة أخطر، ولن توكل إلاّ لأقيال أتّصفوا بالقوة والشجاعة وبالوفاء لملكهم.

وهناك حقائق أخرى تدعم ما ذهبنا إليه، فإذا كان (سميفع) وأبناؤه وأتباعه متواطئين مع الأحباش، فممّن تحصّنوا؟ لقد تحصّنوا من الأحباش حتماً الذين قدموا كما جاء في النقش (زرافات) أي بأعداد هائلة، لهذا لم يكن أمامهم من سبيل سوى

الفرار إلى مناطق منيعة لمواصلة المقاومة، أمّا اختيارهم (لحصن ماوية) حصن "الغراب حالياً" فيعود للأسباب التالية:-

أولاً: يعتبر ذلك الحصن المشرف على ميناء (قنا) موقعاً استراتيجياً هاماً، فهو بمثابة المدخل الرئيسي لدولة حضرموت الجزء الأكبر من اليمن فانهزامهم في ذلك الموقع يعني سقوط اليمن كلها في أيدي الأحباش، لهذا لجأوا إلى الجزء الشرقي من اليمن حفاظاً عليه من السقوط من جانب، وليحشدوا ويجمعوا قواتهم من جديد من جانب آخر.

ثانياً: يشكّل ذلك الأقليم موطن ومعقل اليزنيين. بعد ذلك لم يجد الأحباش من سبيل سوى استمالتهم والتفاوض معهم.

لقد تم بالفعل التفاوض بين الأحباش والقوات المرابطة في (حصن الغراب)، وانتهى ذلك التفاوض بتعيين ملك حميريّ هو (سميفع أشوع) على اليمن تحت وصاية الأحباش، بذلك نجح الأحباش في استمالة الأطراف المتمرّدة، وتحقق لهم استتاب الهدؤ والاستقرار.

بعد توليّه الحكم، ترك لنا (سميفع أشوع) نقشاً (RES 3904) يحمل صيغة دينيّة، يستهلّه بالعبارة التالية: "بخيل (بقوة) وردء ورحمة الرحمن وابنه الكريشت (المسيح) المنتصر ونفس (روح) القدس.." افتتاحية كهذه، توحي -دون شك- بايمانه العميق بالعقيدة المسيحيّة، وبالذات بالمذهب السائد في الكنيسة بالحبشة وهو مذهب" الطبيعة الواحدة للمسيح "المذهب اليعقوبي" "كما يوضّح النّقش تبعيته الصريحة لملوك الحبشة، من خلال العبارة التالية (أمراهمو/ بخشت / اكسمن) سيدهم نجاشي أكسوم، أمّا اللقب الذي تحلّى به فهو "ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم في الطود والتهائم" وهو نفس اللقب الطويل لملوك حمير.

في عهد الملك (سميفع أشوع اليزنيّ) شهدت العلاقة بين اليمن وبيزنطة تطوراً كبيراً، فقد جاء في (بروكيبيوس) أنّ القيصر البيزنطي (جوستنيانوس) أرسل بعثة دبلوماسيّة مثّلها البيزنطي (جوليانس Julianus) عام ٥٢٩ م، إلى ملك الحبشة

يرجو منه إعلان الحرب على الفرس، وقطع العلاقات التجاريّة معهم[١] وشراء الحرير من الهنود مباشرة، على أن يبيعوه للرومان، بذلك يجنون أرباحاً كبيرة، ويتجنبون وساطة الفرس في التجارة مع الهند والصين، كما أرسل نفس المبعوث إلى ملك حمير وطلب منه تنصيب (قيس Kaison) سيداً على قبيلة (معد)، وأن يجهّز جيشاً كبيراً يشارك به مع قبيلة (معد) في غزو أرض الفرس، وكان (قيس) من أبناء سادات قبيلة (معد) وله عند قومه مكانة ومنزلة، وعند القيصر أهمية وحظوة، واذا وافق القيصر على ذلك، يكون قد اكتسب حليفاً قوياً يفيده في تنفيذ خططه الراميّة إلى بسط سلطان الروم على العرب ومواجهة الساسانيين. وقبل كل من الملكين الحبشي والحميريّ ذلك الطلب وتعهدا القيام به لكن أياً منهما لم يلتزم بوعوده[٢].

لقد صمتت المصادر النقشيّة والأدبيّة الخاصة بتلك الفترة عن ذكر أيّ تمرد أو ثورة قامت ضد الملك (سميفع أشوع)، بالرغم من النفوذ الحبشيّ السائد، لكن هذا -قطعاً- لايفسر الرضا الكامل بالسياسة الحبشيّة، وربما هناك من الأسباب ما تجعل اليمنييّن يعيشون في حالة من الهدوء النسبيّ، فالمصادر تتفق حينها على بروز النزعات الاستقلاليّة للأقيال في كثير من مناطق اليمن.

ثالثاً: استيلاء أبرهة على حكم اليمن

لم تحدثنا المصادر عن نهاية الملك (سميفع أشوع)، ويبدو أن نهايته لم يكن مأسوفاً عليها، فقد كان بمثابة مطيّة امتطاها الأحباش حتى استتبت لهم الأمور، وفي ذات الوقت لم يكن مفيداً بالنسبة لبيزنطة، فهو لم يحقق سياستها المرجوة، وهي التي استثمرت أموالاً طائلة لغزو اليمن، ولايستبعد أن تكون قد أبتهجت لتلك النهاية، كل مافي الأمر، إنّ الأحباش بسطوا نفوذهم على اليمن وحكموه حكماً مباشراً، فعيّنوا

---

[١] (Ryckmans, J: "La persecution des cheretièns Ḥimyarites au sixième siècle", Istambul, 1956, p.6.

[٢]) سحّاب: المرجع السابق، ص١٤٣ عن. Procopius, pp. 193-195
أنظر أيضا: , Rodinson , op.- cit .p. 53

حاكماً حبشيّاً، لعله القائد الأعلى للجيش الحبشيّ المقيم في اليمن (أرياط)، هذا ماتتفق عليه المصادر العربيّة، لكن قائداً آخر في الجيش يدعى (أبرهة) ما لبث أن انقلب عليه واستولى على الحكم. اذاً (فأرياط) كان قائداً للقوات الحبشيّة، و(أبرهة) أيضاً كان قائداً بالجيش الحبشيّ، إلاّ أنه أقل رتبة منه، حدثنا (ابن هشام) بشكل مفصّل عن تولية (ابرهة) الحكم حيث قال: "فلما بلغ النجاشي قتل ابرهة لأرياط غضب غضباً شديداً"[1]. امّا (الأزرقيّ)، فيقول حول ذلك: "لما ظهرت الحبشة على أرض اليمن كان ملكهم ألى (أرياط) و(أبرهة) وكان (أرياط) فوق (أبرهة)"[2]، اي أعلى منه رتبة.

أمّا عن تولية (أبرهة) الحكم، يروي (بروكيبيوس Procopius) كيفية استيلاء (أبرهة) على الحكم فيقول: "كان في الجيش الحبشيّ كثير من العبيد والمنحرفين الذين لا يرغبون في اتباع الملك على الاطلاق. وإذا تركوا هناك، مكثوا رغبة في الأستيلاء على أرض الحميريين، لأنها غنية جداً، وبعد زمن قصير تمرّد هؤلاء الرعاع مع آخرين على (اسميفيوس Esimphaios) أي (السميفع) وحبسوه في إحدى قلاع تلك البلاد، وعيّنوا ملكاً آخر على الحميريين، اسمه (ابراموس) أيّ (ابرهة)، وكان (ابراموس) مسيحيّاً، لكنه كان عبداً لمواطن روماني في مدينة حبشيّة تسمّى (أدوليس)، كان يقيم هناك لأجل تجارته في البحر. ويواصل (بروكيبيوس) حديثه: "فلما سمع (النجاشي) (هلتيايوس Hellestheaios)، "الأصبحه" بفعله (ابراموس) اراد أن يعاقبه والمتمردين على معاملتهم (اسميفيوس) (السميفع) فأرسل إليهم جيشاً قوامه (٣٠٠٠) رجل، وواحداً من أقاربه ليتولى الحكم، ولما أعرض جنود هذا الجيش عن اداء مهمتهم ورفضوا العودة إلى بلادهم ورغبوا في البقاء في هذه البلاد الغنيّة، بدأوا التفاوض مع (ابراموس)، في غفلة من الحاكم، (وبعد ذلك) قتلوا الحاكم والتحقوا بجيش العدو، وظلّوا معه. غضب (هلتيايوس) كثيراً فأرسل جيشاً آخر إليهم، وقاتل هذا الجيش جماعة (ابراموس) لكن بعد أن لحقت به هزيمة ساحقة في

---

[1]) إبن هشام: السيرة جـ١، ص ٤٢.
[2]) الأزرقيّ: المصدر السابق، ص ٨٧.

المعركة، عاد إلى بلاده على الفور. ولم يرسل الملك الحبشي -بسبب خوفه- أيّة حملة على (ابراموس)، فلما مات (هلتيايوس)، قبل (ابراموس) ان يدفع جزية للملك الذي خلفه على عرش الأحباش وبذلك ضمن لنفسه حكماً شرعياً[1].

ومن خلال معرفتها بتاريخ موت (هلتيايوس)، توصّلت المصادر إلى فترة الاعتراف (بابرهة) حاكماً رسمياً على اليمن، فكان ذلك بين عاميّ (٥٣٣ - ٥٣٥م).

بذلك يكون (أبرهة) قد انفرد بالحكم، متخذاً من (صنعاء) عاصمة له. تحدثت المصادر العربيّة الإسلاميّة عن (أبرهة) كثيراً، وأحاطته بهالة من القصص الأسطوريّة، نسبت النسّابة إلى (أبرهة تبّع ذي المنار بن الرائش بن قيس ... بن سبأ)، كما يدرج (الهمدانيّ) رجال "أبرهة" ضمن نسب الأصابح[2].

رابعاً: السياسة الداخليّة لأبرهة

بعد أن تخلّص (أبرهة) وأعوانه من الحاكم اليمنيّ، وعزلوه في إحدى القلاع كما جاء في المصادر، وبعد أن قضى على منافسه قائد القوات الحبشيّة (أرياط)، نجده يتولى الحكم في اليمن، بمساندة بعض الأقيال اليمنيّين.

لقد عمل (أبرهة) على استعادة الدولة الحميريّة لقوتها ومجدها السابقين، من خلال قيامه بجملة من التغيرات الجوهريّة في الحياة الداخليّة للبلد، أمّا أهم مصدر استقينا منه معلوماتنا، هو نقشه الشهير (CIH 541) الذي نقشه على جدار سد مأرب.

يستهل (أبرهة) نقشه بالافتتاحيّة التاليّة: "بقوة ورحمة الرحمن ومسيحة القدس" ثم يورد اسمه ولقبه: "أبرهة عزبي ملك الجعزيين (رمحس زبيمن) ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم في الطود والتهائم.

---

[1]) سحّاب: المرجع السابق، ص ١٣٨ - ١٣٩. عن (Procopius: History ... pp. 189 - 191. أنظر أيضاً: Rodinson : op. - cit , p. 54، وحوراني: الملاحة، ص ١٠٤.

[2]) الهمداني: الإكليل، جـ ٢، ص٥٣، ١٤٣.

توضّح هذه التسميّة التي تحكي بها، تبعيته أو نيابته لملك الأحباش، فكلمة (عزبي) تعني: نائباً، أمّا لفظ (رمحس زبيمن) فربما تكون نعتاً أو لقباً ملحق باسم أبرهة[1]، بعدها يتطرق النّقش إلى حادثين أساسيتين:

الحادثة الأولى: تتمثل في تمرّد واجهة (أبرهة) من قبل زعيم كندة (يزيد بن كبشة)*، وثورة قام بها أقيال المناطق الشرقيّة ضده.

الحادثة الثانيّة: تهدّم سد مأرب

خبر أخر ورد في النقش ليس له علاقة بالحادثين السابقتين، ويتمثل في وصول وفود خارجيّة إلى أبرهة لتهنئته.

يبدو أن الحادثة الأولى، حادثة مركّبة تجمع بين حدثين رئيسيين، تمرّد (يزيد بن كبشة) وثورة الأقيال في (المشرق)**، وقد جمع كثير من المؤرخين بين الحدثين على أنه حدث واحد، وان (يزيد) كان الرأس المدبّر لتلك الثورة، لكن النقش يوحي بان هناك تمرداً وثورة، فالتمرد تزعمه "يزيد بن كبشه" الذي عيّنه (أبرهة) والياً على (كندة) بعد أن أقسم له يمين الولاء، ثم نكث بذلك العهد الذي قطعه على نفسه، وأعلن العصيان، عندما جمع حوله بعض من أطاعه من أعراب (كندة)، وأغار على حضرموت الموالية للملك (أبرهة) وأسر زعيمها "مأزن هجّان الأذموري"، وقد اتخذ من منطقة (العبر)*** الواقعة غرب وادي حضرموت مركزاً لعملياته العسكريّة، وامتد نفوذه حتى منطقة (الكسر) الواقعة على وادي يحمل نفس الاسم عند مدخل وادي حضرموت[2].

---

[1]) بافقيه: العربية السعيدة، جـ٢، ص١٨٩.

*) يطابق المؤرخون (يزيد بن كبشة) الوارد اسمه في هذا النقش، (بيزيد بن معاوية بن حجر)، حاكم المنطقة الجنوبيّة لكندة. لوندن: "اليمن ابان القرن السادس الميلادي"، (الحلقة الثانية) ص٢٥.

**) المشرق: معقل اليزنيين، كما سبق أن أشرنا لذلك، والمقصود به الأودية الشرقية، ومن أبرزها وادي عبدان، ووادي عماقين ووادي ميفعة ووادي وينبق...(أنظر الخريطة رقم ١٧).

***) أنظر الخريطة (رقم ٨).

[2]) بافقيه: العربية السعيدة، جـ٢، ص ١٩٣.

يواصل (أبرهة) حديثه عن ثورة قام بها الأقيال في (المشرق) (أنظر الخريطة رقم ٢١) عندما أرسل اليهم (جرة بن زبانر)* لبسط نفوذه -أعني أبرهة- في الشرق، معقل اليزنيين، واتّخاذه من حصن (كدور)** المنيع مركزاً للإدارة الجديدة، لكن أقيال المشرق أعترضوا سبيله، ثم قتلوه ودكّوا حصن كدور)، وقد حرص النقش على ذكر اسماء الأقيال الثائرين، فمن سبأ: (بنو مرة)، و(ثمالة)، و(حنش) و (مرثد) من الأساحر (أو آل ذي سحر) و (حنيفة) و (ذي خليل) من (آل ذي خليل) ومن اليزنييّن: "معدى كرب بن سميفع" (ربما إبن الملك المخلوع) و "هعّان"، وإخوته "بنواسلم". ومن خلال تلك الأسماء يمكن رسم خريطة جغرافيّة للأقاليم التي أشتعلت فيها تلك التمردات: كندة الإقليم الشماليّ الغربيّ لحضرموت، اليزنيون في الأودية الشرقيّة، وسرعان ماشملت سكان حضرموت والأساحر والأقيال الهمدانيين في مرتفعات الهضبة الغربيّة.

وعندما بلغ (أبرهة) خبر تلك الثورة، بادر بجمع المقاتلين من الأحباش ومن الحميريّين، حيث بلغ عددهم الآلاف، وكان ذلك في شهر (ذي القياظ) أي (حزيران من عام ٥٤٢م)، واتّخذوا طريقهم في مرتفعات (سبأ) لينطلقوا من (صرواح) إلى منطقة (نبط)*** ، وما أن بلغوا منطقة (نبط) حتى أتّجهوا إلى مصنعة (كدور) وكانت السرايا مكونة من قبائل (إلو)، و (لمد) و (حمير) ومعها عاملان من عمال (أبرهة) وهما (طه) و (عودة) الجدنيين، ليقوما بإدارة المشرق بعد جرة[١].

أمّا منطقة (العبر) التي تشهد تمرد (يزيد) فلم تتوجه إليها أيّة قوة، لأن (يزيد) وفّر عليهم المشقّة، ووافى الملك بمنطقة (نبط) وجدد له الولاء قبل تحرك السرايا، ممّا أضعف ثورة الأقيال بقصد أو بغير قصد.

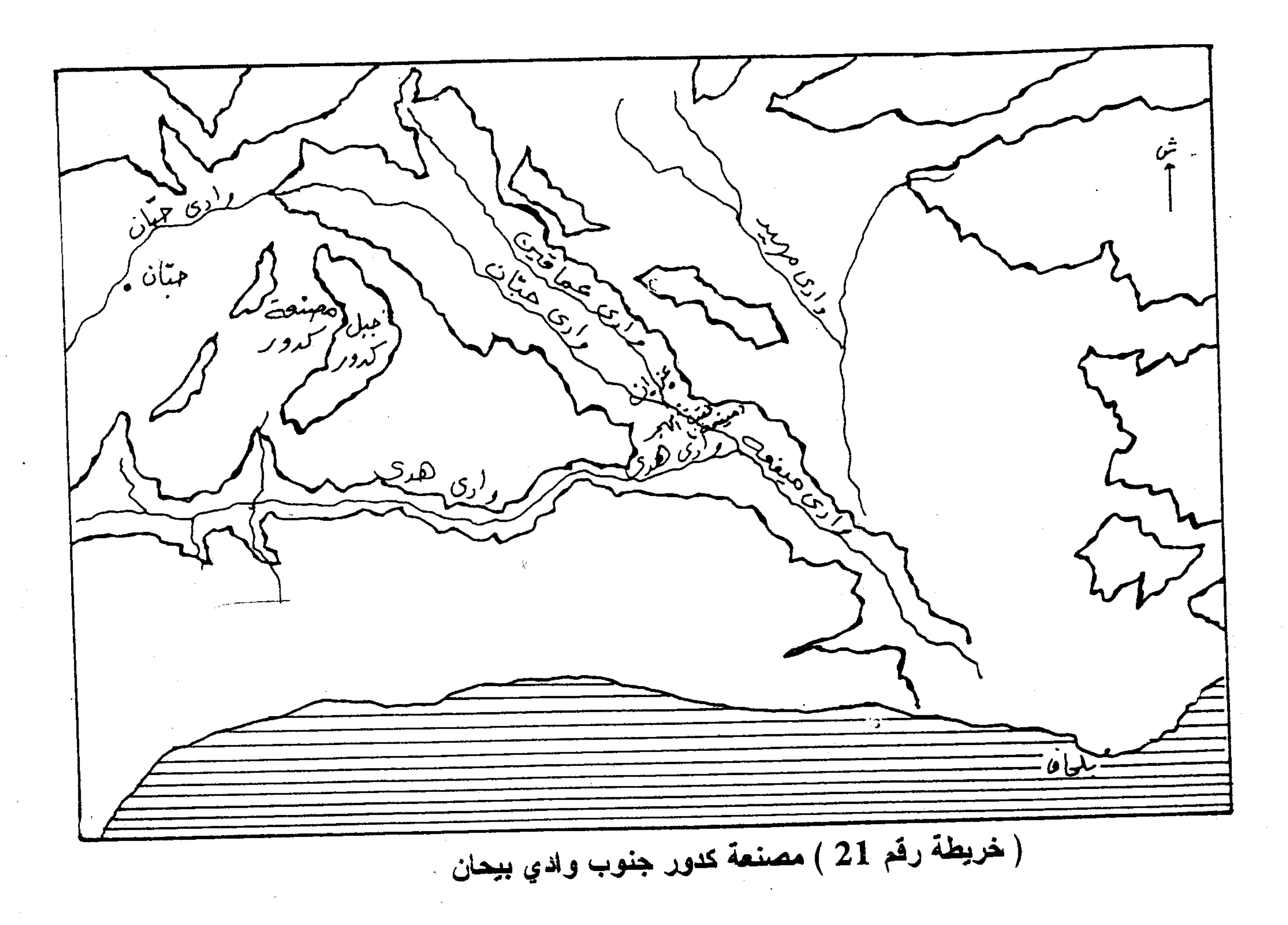
---

*) آل ذي زبانر: أذواء المناطق الغربيّة، تقع أراضيهم إلى جوار (بني جرة) الأقيال القاطنيين حول جبل (كنن) جنوب صنعاء.

**) مصنعة كدور: تقع على جبل كدور، الواقع إلى الجنوب من وادي (حبّان). أنظر:
Bafaqih. M.A: The Site of Kadur . in (PSAS) . 12 , London , 1982 , pp. 1 - 5.

***) نبط: منطقة جاء ذكرها في النّقش لم يعرف موقعها الجغرافيّ بالتحديد.

[١]) بافقيه: "العربية السعيدة"، جـ٢، ص ١٩٦.



(خريطة رقم 21) مصنعة كدور جنوب وادي بيحان

وفيما كان (أبرهة) ينتظر نتيجة إرسال السرايا إلى مصنعة (كدور) قدم إليه مستغيث من سبأ، يخبره بأن (العرم) -وتعني السد في النّقوش- قد تهدم في بعض أجزائه، وكان ذلك في شهر (ذي المذرأ) أي تموز من عام (٥٤٢ م)[١].

لم يطل (بابرهة) الانتظار إذ سرعان ما وصلته الأخبار بان الأقيال الذين تمرّدوا مع (يزيد) جددوا ولاءهم للملك، وقدّموا له الرهائن عربوناً لذلك، وبأن السرايا التي أرسلت إلى مصنعة (كدور)، ألقت القبض على الأقيال الثائرين.

باستسلام (يزيد)، وانهيار ثورة الأقيال في المشرق؛ تبرز أمامنا جملة من الاستفسارات منها: لماذا أستسلمت كل الأطراف؟ وهل كانت التمردات متزامنة؟ ولماذا استسلم (يزيد) بسهولة؟ فهل أهاب قوات أبرهة؟

يرى بعض المؤرخين، أنّ استسلام (يزيد) جاء بعد سماعه خبر انهيار سد مأرب، وكذلك المتمردين من الأقيال الذين أجمعوا على ترك الحرب والمبادرة بإصلاح السد، لذلك فاتحوا (أبرهة) في الصلح[٢].

فالواقع أن التراجع الذي أقدم عليه (يزيد) ومن معه، وأقيال المشرق ومن انضمَّ إليهم، كان بمثابة فرصة عظيمة جاءت لصالح (أبرهة) فهدأ باله وأطمأن قلبه، ممّا سهّل عليه مهمة ترميم وإصلاح ما أصاب السد من خراب. فاستدعى القبائل اليمنيّة من كل حدب وصوب، للقيام بذلك العمل الوطني العظيم، وتوجه إلى مدينة (مأرب) حيث قدّس بيعتها، عندما بايع قسيساً ليرعى مصالح الجماعة النصرانيّة هناك، وصعد إلى (العرم) عند مخرج وادي (أذنة) وتسلّق الجبل المحيط بالمخرج، للحصول على الأحجار اللازمة لإقامة أساس حجريّ يحجز المياه، وهو الجزء الأساسّي للعرم. وما أن بدأوا بوضع الأساس، حتى حدثت وفيّات وأمراض بين القبائل القادمة لترميم السد وأهل المدينة، بسبب انتشار وباء خطير، فأذن لهم

---

[١]) المرجع نفسه، ص ١٩٧.

[٢]) لوندن: "اليمن إبّان القرن السادس الميلادي"، ترجمة: محمد علي البحر، مجلة (الأكليل)، الحلقة الثالثة، العدد الثاني، السنة السابعة، (١٤٠٩-١٩٨٩) وزارة الأعلام الجمهورية العربية اليمنية، صنعاء، ص٢٦-٢٨.

(أبرهة) بالانصراف، فتوقف العمل[1].

وبعد الإذن بالانصراف، وصل الأقيال الذين اعتصموا بمصنعة (كدور) في صحبة السرايا، التي أرسلت لإلقاء القبض عليهم، وبايعوا الملك. وقد حرص (أبرهة) في نقشه، على أن يذكر أسماء الأقيال الذين كانوا بصحبته، ربما كان قصده من ذلك، إظهار ما كان يتمتع به من تأييد من قبل بعض الأقيال البارزين، ومن غريب الصدف أن نجد من بين من كان يقف إلى جانبه بعضاً من (اليزنيّين)، و(الجدنيّين). علماً أن من أبرز الثائرين عليه في المشرق هم من اليزنيّين والجدنيّين، وهذا لا يدل إلا على تفسير واحد هو: وجود شقاق وتمزّق بين صفوف اليمنيّين أنفسهم، فمنهم من عاداه، ومنهم من وقف إلى جانبه أيّ أن كلمتهم لم تعد موحّدة، وهذا سبب كاف لوصول الأوضاع السياسيّة إلى تلك الحالة.[2]

بعد ذلك ينقلنا النّقش (CIH 541) إلى حدث آخر ليس له آية صلة بالحدثين السابقين، فهو يتحدث عن وصول سفراء النجاشيّ (ملك الحبشة)، وسفراء ملك الروم، ووفود ملك فارس، ورسل (المنذر اللخمي)، ورسل (الحارث بن جبلة الغسانيّ)، ورسل (أبي كرب بن جبلة).

لعل تلك الوفود قد وصلت لتهنئته بتوليّه الحكم، وبحث العلاقات الدبلوماسيّة والمصالح المتبادلة مع النظام الجديد. أمّا الجزء الأخير من النّقش فقد كرّس لوصف سير أعمال ترميم سد مأرب، والتكاليف الباهضة التي صرفت لذلك الإنجاز العظيم وهنا نجده يتشبه بنّقش الملك الحميريّ (شرحبيل يعفر) "CIH 540"، الذي سجّل على سد مأرب لنفس الغرض. وقد أشار (أبرهة) إلى أن رجاله قضوا حوالي أحد عشر شهراً في ترميم السد، واستهلكوا (٥٠,٨٦٠) غرارة من الدقيق، و (٢٦,٠٠٠) من التمر، و (٣٠٠٠) بعير وثور و (٢٠٧,٠٠٠) رأس من الغنم.

إنّ تلك المستجدّات التي شهدها اليمن في عهد (أبرهة) كانت بمثابة نقطة تحوّل كبير، فعلى المستوى المذهبيّ، نجد تغييرا قد حدث في المذهب الدينيّ، فقد

---

[1]) بافقيه: العربية السعيدة، جـ٢، ص١٩٧-١٩٩.

[2]) انظر نقش (CIH 541)

اعتنق (أبرهة) المذهب الرومانيّ (الخلقيدوني)، وهذا يغاير المذهب الذي كان عليه سلفه (سميفع أشوع) مذهب الطبيعة الواحدة للمسيح (المذهب اليعقوبي) المذهب السائد في الحبشة ومثل هذا التحوّل لم يكن جزافاً، بل كان له أبعاد سياسيّة؛ ممّا يعني أنّ (أبرهة) قد ولّى وجهه شطر (بيزنطة)، بدلاً من (الحبشة)، وكان يهدف من وراء ذلك توطيد علاقته السياسيّة مع بيزنطة. ولترسيخ الديانة المسيحيّة، قام (أبرهة) ببناء الكنائس، ومن أشهرها كنيسة (القليس)*، التي بناها في العاصمة (صنعاء)، وقد تحدّثت المصادر العربيّة الإسلاميّة، عن تلك الكنيسة التي كانت تعد من أضخم كاتدرائيات ذلك العصر[1]، فيشير (الطّبريّ) إلى أنّ الأمبراطور البيزنطي أرسل لأبرهة المهندسين للمشاركة في بناء تلك الكنيسة بناءً على طلبه، كما أرسل له الفسيفساء والمرمر[2].

خامساً: السّياسة الخارجيّة لأبرهة

بعد أن عزّز (أبرهة) وضعه في الداخل، بابرامه اتفاقيّة سلام مع زعيم (كندة) "يزيد بن كبشة" والأقيال الثائرين، يكون قد تجنّب خطرهم وضمن استكانتهم، وبعد أن اتمَّ ترميم سد مأرب، وحصل على مباركة كثير من دول العالم له على توليه الحكم، نجده يحظى بسمعة عالميّة. لقد كان (أبرهة) سياسيّاً محنكاً، فبالرغم من ولائه للسياسة البيزنطيّة، إلاّ إنّه حقق لنفسه نوعاً من التوازن الفريد لسياسته الخارجيّة، فقد عمل على خلق علاقات دبلوماسيّة مع جميع الأطراف من بلاد فارس، وحلفائها من ملوك الحيرة، ومع بيزنطة وحلفائها من ملوك الغساسنة، فقد عبّر نقشه عن تلك السياسة التي هيأت له الظروف، لتحقيق طموحه بالحصول على الاستقلال التام دون تدخّل أو ملامة، مقلداً بذلك ملوك (حمير) بمد نفوذه إلى وسط وشمال شبه الجزيرة العربيّة.

---

*) القليس: تحريفاً عن كلمة (Ecclestic) اليونانيّة والتي تعني: المجمّع الكنسيّ.

[1]) سحّاب: المرجع السابق، ص ١٤٢.

[2]) الطّبريّ: التاريخ، جـ ٢، ص١٣٠.

(أ) حملة أبرهة على قبيلة (معد).

تحدث نقش (Ry 506) عن حملة قام بها أبرهة[1]، استهدفت قبيلة (معد)، تلك القبيلة التي كانت خاضعة لدولة (كندة) في فترة قوتها ومجدها، ولكنها ومنذ عام (٥٤٩م)، وقعت تحت النفوذ اللخميّ، ويوضح النّقش، أنّ (أبرهة) قام بحملته الرابعة لتأديب قبيلة (معد) المتمرّدة، وبعد مواجهة عسكريّة، انتصر عليها وأنزل بها خسائر فادحة، بعد ذلك بدأت مفاوضات السلام مع اللخميين، أبرمها من جانب قبيلة "معد" (عمر بن المنذر) العامل اللخميّ على (معد)، فاعترف بسلطة (ابرهة)، كما قدّم إليه ابنه رهينة فنصبّه (أبرهة) والياً على (معد). واشار النقش أيضاً إلى إخضاع (أبرهة) لقبيلة (عامر)*، في منطقة (حلبن)**، وعيّن (أبا جبر) قائداً في الحرب على (كندة)، وعيّن (بشراً بن حصن) على قبيلة (سعد)، وقد أرّخ هذا النقش بسنة (٦٦٢ بالتقويم الحميريّ) الموافق (٥٥٤م)، وقد شاركت في تلك الحملة إلى جانب الحميريين، قبيلتا (كندة) و (مذحج) الحلفاء الأوفياء للدولة الحميريّة[2].

قد يتساءل المرء، ماهو الهدف من وراء تلك الحملة التي قادها (أبرهة)؟ هل يكمن هدفه في مد نفوذه إلى شمال شبه الجزيرة العربيّة، مقلّداً بذلك ملوك حمير في فترة مجدهم؟ أم كان هدفه أبعد من ذلك، فربما كان الهدف من تلك الحملة، تعزيز نفوذ الدولة الكنديّة، وبذلك يتعزز نفوذ دولة حمير وسط شبه الجزيرة العربيّة، وفي الحالتين يكتسب (أبرهة) شهرة عالميّة. أو أن تلك الحملة جاءت ضمن السّياسة التي تخدم المصالح البيزنطيّة في المنطقة ؟ دراستنا لحملة (أبرهة) على مكة ستجيب عن هذه الاستفسارات.

---

[1]) Ryckmans. J: “La Persécution...., p.1-2”

*) عامر بن صعصعة.

**) منطقة (حلبن): تقع على بعد (١٠٠ كم) تقريبا جنوب غرب وادي (مأسل الجمح).

[2]) الصلويّ: الأخدود، ص ٢٨. أنظر أيضا: لوندن: "اليمن إبّان القرن السادس الميلادي"، ص٢١.

(ب) حملة أبرهة على مكة

تعد حملـة (أبرهـة) علـى "مكـة " مـن أخطـر الأحـداث التـي شـهدتها شبه الجزيرة العربيّة في منتصف القرن السادس الميلادي، لقد تطرّقت المصـادر العربيّـة الإسلاميّة لهذه الحملة بشكل مفصّل وأطلق عليهـا (حملـة الفيـل)، كمـا أسـهبوا فـي الحديث عن الذرائع التي حملت (أبرهة) لهذه الغزوة فذكر (الأزرقي): إنّ (أبرهـة) بعث إلى النجاشيّ بكتاب وعده فيه بأن يصرف حجّاج العرب إلى (القليس) الكنيسـة التي بناها في (صنعاء) ليتركوا الحج إلى بيتهم في مكة، فقد كتب (أبرهة) للنجاشيّ يقول: "إني قد بنيت لك أيّها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك مـن قبلـك، ولسـت بمنتـه حتى أصرف إليها حاج العرب"[1].

وأضاف الأزرقي: "فلمّا تحدّث العرب بكتاب (أبرهة) الى النجاشي، غضب رجل من النسأة أحد (بني فقيم) من (بني مالك بن كنانة) فخـرج حتـى أتـى "القليس" فقعد فيها (دنّسها) ثم خرج حتى لحق بأرضه، فأخبر (أبرهة) بذلك فقال: مـن صنـع هذا ؟ فقيل له: صنعه رجل من العرب من أهل البيت الذي تحجّ اليه بمكة، لمّا سـمع بقولك "اصرف اليها حجّاج العرب..."، فغضب عنـد ذلـك (أبرهـة) وحلـف ليسـيرنّ الى البيت حتى يهدّمه"[2].

وتؤكد المصادر العربيّة الإسلاميّة[3] تلك الرواية، وإن اختلفوا في تفاصيلهـا، فجوهرها لا يخرج عـن أن أحد العـرب مـن (كنانـة) قـام بتدنيـس (القليـس) بعـد أن عرف بأن (أبرهة) سيجعل منهـا مكانـاً يحـجّ إليـه النـاس بـدلاً مـن (مكـة). لقد ردّد المؤرخـون المسـلمون تلـك الذرائـع علـى إنّهـا هـي الأسـباب الحقيقيـة وراء حملـة (أبرهة)، ولم يذهبوا بعيداً في تفكيرهم، فهدف (أبرهة) لم يكن سـطحياً وان الذريعـة الحقيقية وراء تلك الغزوة أخطر من ذلك.

---

[1]) الأزرقي: المصدر السابق، ص ٩٢، الطبري: المصدر السابق، ص١٣٠.

[2]) الأزرقي: المصدر السابق، ص٩٣.

[3]) الطّبريّ: التاريخ، جـ٢، ص ١١٤، ابوهلال العسكريّ: المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٠ – ٣١، سيرة ابن هِشام، جـ١، ص ٤٦، أنظر أيضا: ابن حبيب البغداديّ، محمد بن حبيب: "المنمّق في اخبار قريش"، تحقيق: خورشيد أحمد، دائرة المعارف العثمانيّة، حيدر أباد، الهند ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م، ص ٦٨.

- الدوافع الحقيقية وراء حملة (أبرهة) إلى مكة

لانستبعد صحة الرواية التي رددتها المصادر العربيّة الإسلاميّة فربما استغل (أبرهة) تلك الحادثة لتحقيق مآربه، التي كانت تحمل بعداً سياسياً واقتصادياً خطيراً.

- لقد كان (أبرهة) حليفاً نشيطاً لبيزنطة[1] منذ أن تولى الحكم، خاصة عندما كان يبحث عن سند قويّ، يحميه من نجاشيّ الحبشة، الذي حاول إبعاده، بالمقابل نجد (بيزنطة) قد رحّبت به وأبدت استعدادها لمساندته، شريطة أن يقوم بتنفيذ خططها السّياسيّة والاقتصاديّة في شبه الجزيرة العربيّة، في فترة كانت تعيش فيها حالة من التنافس المتصاعد مع بلاد (فارس)، فكان هدفها الاستراتيجيّ -والذي كلّفها باهظاً- السيطرة على مدخل البحر الأحمر، وعندما فشلت في ذلك، رأت إن الأحباش هم خير مَنْ سيحّقق لها ذلك، وبالفعل تحقق لها ذلك، حسب ما كان مخططاً له، بذلك الانتصار تكون قد ضربت (فارس) منافسها الخطير.

- لقد كان لأبرهة طموحه الخاص من تلك الحملة، فالوضع الاقتصاديّ الذي وصلت إليه (مكة) والمكاسب الماليّة الكبيرة التي كانت تجنيها خلال موسم الحجّ، حيث تنتشر الأسواق التجاريّة، التي تستقبل التّجار من كل صوب، وفيما وصلت إليه (مكة) من شهرة ومكسب في آن واحد. كل ذلك كان دافعاً قوياً لبناء كنيسة (القليس) لتكون بديلاً عن (الكعبة)، بذلك يجذب الناس إلى مركز تجاري جديد.

فالأغراض الاقتصاديّة، كانت المحرّك الأساسي لهذه الحملة، كما إنها تتفق مع رغبة بيزنطة في الهيمنة على الطريق التجاريّ، وإخضاع القبائل البدويّة القاطنة في وسط شبه الجزيرة العربيّة. إذاً فطموح (أبرهة) بتحقيق مصالح اقتصاديّة ودينيّة، مرتبطة كل الارتباط بمصالح بيزنطة في المنطقة[2].

---

[1] (Ry ckmans. J: La Persécution...., P.3..

[2]) سحّاب: المرجع السابق، ص ١٦٥.

– الدافع الثالث، يعد دافعاً شخصياً، فقد عمل (أبرهة) منذ توليه الحكم في اليمن على جذب أنظار العالم إليه، من خلال قيامه بأعمال إنشائية هامة كترميمه لسد مأرب، وكسب بعض الأقيال اليمنيين إلى صفّه، وتلقّبه باللقب الطويل لملوك حمير، كذلك حملاته إلى وسط شبه الجزيرة العربيّة، لاتخرج أيضاً عن التشبّه بملوك (حمير) لمد نفوذه السياسي، وبذلك يكون قد حقّق لنفسه شهرة ومكانة بين الأمم شبيهة بالمكانة التي حققها ملوك حمير.

– سير الحملة

تورد المصادر العربيّة سير الحملة إلى (مكة)، وتشير إلى أن بعض القبائل قد أثارتها الحميّة للدفاع عن الكعبة فمنهم (ذو نفر الحميريّ) أحد المثامنة*، لكن (أبرهة) تمكّن من هزيمته، كما واجهه في أرض (خثعم) "نفيل بن حبيب الخثعمي"[1]، لكنه هزم أيضاً أمام (أبرهة)، وأخذه أسيراً، وتتحدث المصادر أيضاً عن قبائل (قريش) و (الكنانة) و (هذيل)، ومن كان بذلك الحرم "وقد همّوا لقتاله ولكنهم عرفوا أنهم لاطاقة لهم به فتركوا ذلك"[2].

ويقال أنّ بعضاً من جنود الأحباش، تمكّنوا من دخول المدينة، لكن الحملة انتهت بكارثة حلّت بالجيش الحبشيّ، وقد جاء في القرآن الكريم، سورة الفيل: "ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل* ألم يجعل كيدهم في تضليل* وأرسل عليهم طيراً أبابيل* ترميهم بحجارة من سجيل* فجعلهم كعصفٍ مأكول".

لقد فشل (أبرهة) فشلاً ذريعاً، خاصة وأن الأوبئة قد إنتشرت بين قواته، ممّا أضطره للتراجع، وقد وقع عدد كبير من جنوده الفارّين في أسر القبائل البدويّة، أمّا (أبرهة) فقد تمكّن من العودة مع من تبقّى من جنوده، حيث استمر حاكماً لبعض الوقت، إلى أن وافته المنيّة، تاركاً مقاليد الحكم لأبنائه.

---

*)أنظر بافقيه، محمد عبدالقادر :"الهمداني والمثامنة" (في العربية السعيدة) جـ١، ص١١٩– ١٣٢.

[1]) ابن هشام: السيرة، جـ ١، ص ٤٧.

[2]) المصدر نفسه، جـ١، ص ٤٩.

الفصل الخامس

ثورة سيف بن ذي يزن وتوليه الحكم

أولاً: سيف يبحث عن سند دولي

ثانياً: قوات سيف تتلقى مساعدة فارسيّة



الفصل الخامس

ثورة سيف بن ذي يزن وتوليه الحكم

تولى حكم اليمن بعد (أبرهة) أحد أبنائه ويسمّى (يكسوم)، حول ذلك يقول (الأصفهانيّ): "ثم ملك ... يكسوم بن أبرهة، وسار بسيرة الحبشة، وتفاقم الأمر [١]. أمّا في النقش (541 HCI) "نقش أبرهة"، فقد أطلق عليه (يكسوم ذي معاهر)[•]. وقد ظل في الحكم سنتين من الزمان[٢].

ثم يتولى أخوه (مسروق)، الذي لم يعرف سوى في المصادر الإسلاميّة، حيث تذكر بعض تلك المصادر أن أخواله من (آل ذي يزن)، وتارة تذكر انهم من (آل ذي جدن)، وقد حكم ثلاث سنوات.

لقد أتبعا أبناء (أبرهة) سياسة فيها من القسوة والشدّة، فكان كل منهما أكثر شرا من أخيه، فضاق الناس بهما، وأخذوا يبحثون عن مخرج من هذه الأزمة يقول (المسعوديّ): "ان يكسوم الابن الأكبر حين ملك بعد أبيه، عمّ أذاه سائر اليمن، كما ان مسروقاً أخوه الذي تلاه أشتدت وطأته على اليمن"[٣].

---

[١]) الأصفهاني، حمزة بن الحسن (ت ٣٦٠ هـ = ٩٨٠ م): "تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء" (عليهم الصلاة والسلام) جـ٣١، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت، ١٩٦١م، ص١١٤.

[•]) لقب (بذي معاهر) نظرا لتوليه قيالة أرض (معاهر) -في عهد أبيه- ويقصد بها إقليم (ردمان) المعسال اليوم.

[٢]) الأصفهاني: "سنيّ ملوك الأرض"، ص ١١٤.

[٣]) المسعودي: ابن الحسن بن علي: "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، جـ١، القاهرة ١٩٦٦م، ص ٣٤٥.



هشام) في ذلك: "فخرج (سيف) حتى أتى" النعمان "بن المنذر" وهوعامل كسرى على الحيرة وما يليها من العراق، وشكا اليه الحبشة، فقال له (النعمان): "ان لي على (كسرى) وفادة في كل عام، فأقم حتى يكون ذلك، ففعل. ثم خرج معه فأدخله على (كسرى) ثم قال له (سيف): "أيها الملك غلبتنا على بلادنا الأغربة فجئتك لتنصرني، ويكون ملك بلادي لك فجمع كسرى مرازبته وقال لهم: ماذا ترون في أمر هذا الرجل وما جاء له؟ فقال قائل: "أيها الملك، إن في سجونك رجالاً قد حبستهم للقتل، فلو أنك بعثتهم معه، فإن هلكوا كان ذلك الذي أردت بهم، وان ظفروا كان ملكاً أزددته، فبعث معه كسرى من كان في سجونه وكانوا ثمانمائة رجل ... فخرجوا في ثماني سفنٍ، فغرقت سفينتان ووصل إلى ساحل عدن ست سفن، فجمع (سيف) إلى (وهرز) من استطاع من قومه، وقال له: رجلي مع رجلك حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعاً، قال له وهرز: "أنصفت وخرج إليه (مسروق) ابن (أبرهة) ملك اليمن، وجمع إليه جنده فأرسل اليهم وهرز أبناءه ليقاتلهم، فيختبر قتالهم، فقتل ابن (وهرز) فزاده ذلك حنقاً عليهم"[1]. ويستمر (ابن هشام) في سرد القصة حتى انهزام الحبشة ودخول (وهرز) صنعاء.

ثانياً: قوات سيف تتلقى مساعدة فارسيّة

يشير (ابن قتيبة) إلى ان (كسرى) قد أرسل المساعدة اليمنيّة حملة قوامها سبعة الآف وخمسمائة رجل كان معظمهم من (الديلم)،[2] وضمّ اليهم كل من كان في سجونه من المجرمين، وعيّن عليهم أحد قادته البارزين، ويسمّى (وهرز)، والذي كان حينها قائداً لمنطقة (الديلم) وينتمي للأسرة المالكة[3].

ما ذكره (ابن قتيبة) عن قوام الحملة الفارسيّة لليمن، هو الصواب، ولا

---

[1]) إبن هشام: السيرة، جـ١، ص ٦٥ وما بعدها.

[2]) إبن قتيبة، أبي محمد عبدالله بن مسلم: "المعارف"، تحقيق: ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب، مصر ١٩٦٠م، ص٦٣٨.

[3]) الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد: "اليمن في صدر الإسلام"، دار الفكر، دمشق، سوريا ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٧ م، ص٢٦-٢٧.

يعقل مطلقاً أن يغفل الفرس طلب (سيف بن ذي يزن)، فهذه فرصة ثمينة انتظرها الفرس طويلاً، تسمح لهم بالقضاء على نفوذ خصومهم (البيزنطيّين) في جنوب شبه الجزيرة العربيّة، وبسط نفوذهم بدلاً منهم، وسبق وأن أشرنا إلى الأوضاع الدوليّة وإلى الصراع الحاد الذي كان قائماً بين (فارس) و (بيزنطة)، على المنافذ البحريّة الاستراتيجيّة لشبه الجزيرة العربيّة، ذلك الصراع الذي ظل متأججاً إلى قبيل الدعوة المحمديّة، وانتهى في فجر الدعوة بانتصار بيزنطة وطرد الفرس من مصر، وبيت المقدس والشام عموماً، حينها كان الفرس قد ثبّتوا أقدامهم في اليمن كتعويض لخسارتهم في شمال شبه الجزيرة العربيّة.

إذاً فقد كان استنجاد (سيف بن ذي يزن) نابعاً من إدراكه لحقيقة ذلك الصراع القائم بين الفرس وبيزنطة، عندما استغل تلك العداوة[1]، وتحقق له ما أراد.

وعندما وصل الجيش الفارسيّ إلى السواحل اليمنيّة، كان لنبأ قدومهم رد فعل كبير، فالتحمت القوات الفارسيّة واليمنيّة، وأبلوا بلاءً حسناً، وفي تلك المعركة قتل (مسروق) ابن (أبرهة) وتشتت الجيش الحبشيّ، وفقد قادته السيطرة على الموقف، وأمام هذا الوضع، أخترقت القوات الفارسيّة -اليمنيّة صفوف الأحباش وكان النصر حليفهم، فسار (وهرز) حتى وصل (صنعاء) في أبّهة عظيمة، كان ذلك عام (٥٧٥ م) . ووضع ذلك الانتصار نهاية للوجود الحبشي في اليمن.

بعد ذلك يحدثنا (الطبريّ) عن تسلسل الأحداث السّياسيّة لليمن، منذ الانتصار على الأحباش حتى ظهور الإسلام فيقول عن (وهرز): "فلما ملك اليمن ونفى عنها الحبشة كتب إلى كسرى:" إني قد ضبطت لك اليمن وأخرجت من كان فيها من الحبشة. وبعث إليه بالأموال، فكتب إليه كسرى يأمره ان يملّك (سيف بن ذي يزن) على اليمن وأرضها، وفرض كسرى على سيف بن ذي يزن جزيةً وخراجاً يؤديه اليه في كل عام، وكتب إلى (وهرز) ان ينصرف إليه"[2].

---

[1]) الصلّويّ: الأخدود، ص ٢٨.

[2]) الطّبريّ: التاريخ، جـ ٢، ص ١١٧، ١٢١، ١٥٧.

وبالفعل تولى (سيف) حكم اليمن، وقد أشارت المصـادر العربيّـة الإسـلاميّة إلى الحفاوة التي تلقاها عنـد تولّيـه حكـم اليمـن، حيـث جـاءت اليـه الوفـود العربيّـة مباركةً، وتروي بعض تلك المصادر[1] (ان عبدالمطلب بن هشام بن عبد منـاف) جـد الرسول كان ضمن وفد مكة واليمن تفرض تلـك الدبلوماسيّة، أمّـا مـا ذكرتـه بعـض تلك المصادر عن تنبؤات (سـيف) بظهـور نبـيّ مـن نسـل (عبدالمطلب)، فهـو قـول يحتاج لشيء من التروّي قبل قبوله.

لقد حكم (سيف بن ذي يـزن) اليمـن تحـت طاعـة الفـرس كمـا حكمهـا قبلـه (سميفع أشوع) تحت طاعة الحبشة. لم تتحدث المصادر عن فترة حكم (سـيف) لكـن يبدو أنّه حكم منذ عام (٥٧٥م)، ولم يدم حكمه طويلاً، بعدها تحدثنا المصادر إنّه لقي مصرعه على أيدي جماعة من الأحباش، ربما بدافـع كراهيتهم الشـخصيّة لـه. وقـد كان عهد ولده (معد يكرب) -الذي خلفه تحت طاعة الفرس- قصيراً أيضاً[2].

---

[1]) الطّبريّ: التاريخ، جـ ٢، ص ٣١٢ - ٣١٣.

[2]) المسعودي: مروج الذهب، جـ٢، ص ٢٠٦، وما بعدها.



الفصل السادس

اليمن تحت السيادة الفارسيّة حتى مجيء الإسلام



الفصل السادس

اليمن تحت السيادة الفارسيّة حتى مجيء الإسلام

بعد موت الملك اليزنيّ (سيف بن ذي يزن)، حكم الفرس اليمن حكماً مباشراً، عندما عاد (وهرز) مرة أخرى إلى اليمن، ومعه أمر من (كسرى) بقتل الأحباش، حيث يقول (الطّبريّ) أقبل (وهرز) حتى دخل اليمن ففعل ذلك ولم يترك بها حبشياً إلاّ وقتله، ثم كتب إلى (كسرى) بذلك، فأمّره (كسرى) عليها، وبقي عليها حتى مات، ثم أمّر بعده ابنه (المرزبان) وتوالى الولاة الفرس على اليمن"[1].

بدخول الفرس اليمن وسيطرتهم عليه، أصبح اليمن مقاطعة فارسيّة تحكم من مدائن (كسرى) مباشرة، بل وكان بمثابة القسم الرابع في التقسيم الإداري لمملكة فارس، أطلق عليه (إصبهبذ تيمروز)[2].

وبالرغم من وقوع اليمن تحت السيادة الفارسيّة، إلاّ أنّ وجودهم قد اقتصر على بعض المدن الرئيسيّة (كصنعاء) و (عدن)، والمراكز التجاريّة الهامة و كان الغرض من تواجدهم فيها جباية الرسوم الجمركيّة .من هنا تحقق للفرس حلمهم بالسيطرة على مخارج التجارة البريّة والبحريّة من بلاد اليمن وإليها عن طريق البحر الأحمر (الهندي) إلى جانب ما كانوا يسيطروا عليه من تجارة الخليج العربي[3].

وقد ترك الفرس المخالف في يد الأقيال والأذواء الذين كانوا هم الحكام العقليون، وقد برز منهم (المثامنة) -سبق وأن اشرنا إليهم- وهم: (ذو ثعلبان) و (ذو خليل) و (ذو سحر) و (ذو جدن) و (ذو صرواح) و (ذو مقار) و (ذو حزفر) و (ذو عثقلان)، وهي ثمانيّة بيوت لايستقيم حكم اليمن إلاّ بهم.

---

[1]) الطبريّ: التاريخ، جـ ٢، ص ١١٧، ١٢١، ١٥٧.

[2]) المصدر نفسه، جـ ٢، ص ٩٩، أنظر أيضا: الشجاع: المرجع السابق، ص ٢٧.

[3]) عبدالعزيز صالح: المرجع السابق، ص ١٣٤.

ظل الأقيال والأذواء يؤلفون القوة السّياسيّة الأساسيّة في اليمن إلى العهد الإسلاميّ، وما يؤكد ذلك، الرسائل التي جاءت من الرسول بصدد البعثات المرسلة إليهم، عندما أرسل الأقيال إلى الرسول (صلعم) مبعوثاً يخبره برغبتهم في الدخول في الإسلام، فكتب إليهم الرسول (صلعم) كتاباً يشرح ما لهم وما عليهم فيه من الحقوق والواجبات[١]. كل ذلك يعكس -دون أدنى شك- الأوضاع العامة والنفوذ السياسيّ والاقتصاديّ السائد آنذاك.

تتابع على حكم اليمن خمسة من ولاة الفرس كان أخرهم (باذان)[٢]، الذي اعتنق الإسلام في عهد الرسول (صلعم)، وبعد موت (باذان) ولى النبي (صلعم) ابنه (شهرباذان) على صنعاء وولى على كل جهة واحداً من الصحابة (رضوان الله عليهم)[٣]. وقد امتزج من تبقّى من الفرس باليمنيّين وأطلق عليهم إسم (الأبناء).

وبدخول اليمنيّين في الإسلام عام (٦٢٨م)، تنطوي صفحة من صفحات التاريخ السياسيّ لليمن القديم، وتبدا صفحة مشرقة ساطعة يسجّل عليها اليمنيّون تاريخهم الإسلامي بأحرف من نور.

---

[١]) الهمدانيّ: الإكليل، جـ ٢، ص ٢٧١، نشوان: القصيدة، ص ١٥٦ - ١٥٧.

[٢]) عدّد (الطّبريّ) أسماء الولاة الفرس الذين حكموا اليمن وهم: (وهرز)، و (المرزبان بن وهرز) و (البينجان بن المرزبان بن وهرز)، ثم (خرخسرة بن البيجيان بن المرزبان بن وهرز)، ومن ثم (بادان) أخو (خرخسرة) وهو أخر والي فارسيّ حكم اليمن، أنظر: الطّبريّ: التاريخ، جـ٢، ص ١١٧، ١٢١، ١٥٧.

[٣]) القلقشندي، ابي العباس أحمد: "صبح الأعشى"، جـ ٥، المطبعة الأميريّة، القاهرة، ١٩١٥، ص٢٦.

المصـــادر والمراجــــع

أولاً:- المصادر العربيّة:

القرآن الكريم.

التوراة: الكتاب المقدس، إلى كتب العهد القديم والعهد الجديد، ترجم عن اللغات الأصلية، جمعيات الكتاب المقدس في الشرق الأدنى، بيروت، ١٩٦٦.

١) الأزرقي، محمد بن عبدالله بن أحمد (ت ٢٢٢ هـ = ٨٣٧ م).

- "أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار". ت: فستنفلد غوتّنغن (١٨٥٨م).

٢) الأصفهاني، حمزة بن الحسن (ت ٣٦٠ هـ = ٩٨٠ م).

- "تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)" الجزء الأوّل، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت (١٩٦١م).

٣) ابن حبيب البغدادي، محمد بن حبيب بن أميه بن عمر الهاشمي (ت ٢٤٥ هـ= ٨٠٩م).

- "المحبّر"، تحقيق: إيلزه ليختن شتيتر، مطبعة المعارف العثمانية، حيدر أبّاد (١٣٦١ هـ ١٩٤٢م).

- "المنمّق في أخبار قريش"، تحقيق: خورشيد أحمد، دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، الهند (١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م).

٤) ابن سعيد الأندلسي، على بن موسى بن محمد بن عبدالملك (ت٦٨٥ = ١٢٨٦م).

- "نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب" جـ١، تحقيق: نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى، عمان (١٩٨٢م).

٥) ابن قتيبة الدينوري، أبي محمد عبدالله بن مسلم (٢١٣هـ = ٨٨٩ م).

- "المعارف"، تحقيق: ثروت عكاشه، مطبعة دار الكتب، مصر(١٩٦٠م).

٦) ابن كثير الدمشقي، (أبو الفداء)، (ت ٧٧٤هـ)، الحافظ بن كثير.

- "البداية والنهاية"، الجزء الأوّل، بيروت (١٩٦٦م).

٧) ابن هشام، ابو محمد عبدالملك (ت٢١٨ هـ = ٨٣٣ م).

- "سيرة النبي"، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر للطباعة والنشر (مصوّرة عن الطبعة المصرية ١٩٣٧م).

٨) الحميريّ، نشوان إبن سعيد (ت ١١١٧م تقريباً).

- "ملوك حمير وأقيال اليمن"، قصيدة نشوان ابن سعيد الحميري، وشرحها المسماة، "خلاصة السيرة الجامعة لعجائب الملوك التابعة، حققها وعلّق عليها، علي بن اسماعيل المؤيد، واسماعيل بن أحمد الجرافي، القاهرة (١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ - ١٩٥٩م).

- "منتخبات في أخبار اليمن" من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، الطبعة الثانية (مشروع الكتاب ٣/٨)، صنعاء (١٩٨١م).

٩) الطّبري، أبو جعفر بن جرير بن يزيد بن كثير (ت٣١٠ هـ = ٩٢٣م).

- "تاريخ الرسل والملوك"، جـ٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دائرة المعارف، مصر (١٩٦١).

١٠)العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل (ت بعد ٤٠٠ هـ = ١٠١٠م).

- "الأوائل" تحقيق: محمد المصري، ووليد قصّاب، الجزء الأول، بلا تاريخ.

١١)المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي(ت ٣٤٦ هـ= ٩٥٧- ٩٥٨م).

- "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، تحقيق: شارل بلاّ، منشورات الجامعة اللبنانيّة، بيروت (١٩٦٦م).

١٢)الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (لسان اليمن) (ت ٣٦٠ هـ = ٩٧٠م) تقريباً.

- "كتاب الإكليل"، الجزء الأول، حققه وعلّق عليه، محمد بن علي الأكوع الحوالي، القاهرة (١٩٧٧م).

- "كتاب الإكليل"، الجزء الثاني، حققه وعلّق حواشيه، محمد بن علي الأكوع الحوالي، القاهرة (١٩٦٧م).
- "كتاب الإكليل"، الجزء الثامن "في محافد اليمن ومساندها وقصورها ومراثي حمير والقبوريات"، تحقيق: محمد بن علي الاكوع الحوالي، القاهرة (١٩٧٩م).
- "صفة جزيرة العرب"، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، الرياض (١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤م).

١٣) ياقوت الحمويّ، شهاب الدين أبو عبدالله بن عبدالله (ت ٦٢٦ هـ = ١٢٢٨م).
- "معجم البلدان"، الطبعة الرابعة، دار صادر، بيروت (١٩٧٧م).

ثانياً: المراجع العربيّة والمعرّبة:

١) أحمد فخري:
- "دراسات في تاريخ الشرق القديم"، ط ٢، القاهرة (١٩٦٣).
- "رحلة أثريّة إلى اليمن"، ترجمة: هنري رياض، ويوسف محمد عبدالله، مراجعه، عبدالحليم نورالدين، وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية اليمنية (مشروع الكتاب ٢/٢١) صنعاء (١٩٨٨).

٢) أحمد حسين شرف الدين: "تاريخ اليمن الثقافي" - الجزء الثاني والجزء الثالث القاهرة (١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧).

٣) الإرياني، مطهّر علي:
- "في تاريخ اليمن، نقوش مسنديّة وتعليقات" ط ٢، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء (١٩٩٠).
- "قصر غمدان بين الحقيقة والأسطورة"، مجلة دراسات يمنيّة العدد الرابع، إصدار مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء (١٩٨٠) ص ١١٢-١٢٢.

٤) أسامه عبدالرحمن النور: "مجتمعات الإشتراكيّة الطبيعيّة" اورينتال للنشر والطباعة والتوزيع، مدريد (١٩٨٣).

٥) الكسندر ديمجريه: المجموعة المعمارية الأثرية السبأية في وادي (يلا) "خولان الطيال"، تعريب، عثمان خليفه، سيمو، روما، (١٩٨٨).

٦) الأكوع الحوالي، محمد بن علي:

- "اليمن الخضراء مهد الحضارة"، القاهرة (١٣٩١ هـ = ١٩٧١).

٧) بافقيه، محمد عبدالقادر:

- الأقيال والأذواء ونظام الحكم في اليمن القديم، مجلة دراسات يمنية العدد (٢٧) مركز الدراسات اليمني، صنعاء (١٩٨٧) ص١٤١- ١٥٤.
- "آثار ونقوش العقلة"، دراسة ميدانية لأحد المواقع الأثريّة بالقرب من شبوة في منطقة حضرموت، القاهرة (١٩٦٧).
- "تاريخ اليمن القديم"، بيروت (١٩٧٣).
- "في العربية السعيدة"، دراسات تارخية قصيرة جـ١، ٢، مركز البحوث اليمني، صنعاء (١٩٨٧).
- "المستشرقون وآثار اليمن" (قصة المستشرق السويدي الكونت لند برج) من خلال مراسلاته مع اليمنيين (١٨٩٥ - ١٩١١) المجلّد الثاني، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء (١٩٨٨).
- "موجز تاريخ اليمن قبل الإسلام"، الفصل الأوّل من كتاب مختارات من النقوش اليمنية "لمحمد عبدالقادر بافقيه، والفريد بيستون وكريستيان روبان، ومحمود الغول، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس (١٩٨٥).
- "هوامش على نقش عبدان الكبير"، مجلة ريدان العدد (٤)، لوفان (١٩٨١) ص ٢٩ - ٤٨. في القسم العربي.

- اليزنيون وخلفية الأحـداث التـي أدت إلـى قيـام وسـقوط حكـم الأحبـاش فـي اليمن قبيل الإسلام، في كتاب "العربية السعيدة"، للمؤلف نفسـه، جـ ١، ص ٨٣ - ١٠٦.

٨) - بافقيه، محمد عبدالقادر وروبان كريستيان:

- "أهمية نقوش جبل المعسال"، مجلة ريـدان العـدد (٣) لوفـان (١٩٨٠) ص ٩ - ٢٩. في القسم العربي.
- "من الفاظ المسند"، مجلة ريدان العدد (٤) ١٩٨١ ص (٤٩ - ٥٨) في القسـم العربي.
- "من نقوش محرم بلقيس"، مجلة ريـدان العـدد (١) (١٩٨٧)، ص (١١-٥٦)، في القسم العربي.
- "نقش أصبحي من حصـي"، ريدان العدد (٢) ١٩٧٩ ص (١١ - ٢٣)، فـي القسم العربي.

٩) بافقيه، محمد عبدالقادر، الفريد بيستون، كريستيان روبان، ومحمود الغول:

- "مختارات من النقوش اليمنيـة"، المنظمـة العربيـة للتربيـة والثقافـة والعلـوم، تونس (١٩٨٥).

١٠) بتروفسكي، م .ب: "اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجـرة" (القـرن الرابـع حتى العاشر الميلادي)، دار العودة، بيروت، (١٩٨٧).

١١) بريتون، جان فرانسوا:

- "تقرير أولي عن معبد عثتر -ذو رصف- مدينة السـوداء"، مجلـة دراسـات يمنيـة العـدد (٣٨) مركـز الدراسـات والبحـوث اليمنـي، صنعـاء (١٩٨٩). ص ٢١١ - ٢١٩.

١٢) بريتون جان فرانسوا وآخرون:

- "وادي حضرموت تنقيبات"، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف (عدن) تقرير (١٩٧٨ - ١٩٧٩) بيروت (١٩٨٠).

١٣) بلفقيه، عيدروس علوي:

- "جغرافية اليمن"، دراسة إقليمية، جـ ١ (دراسة لم تنشر).

١٤) بيرن جاكلين:

- "اكتشاف جزيرة العرب"، خمسة قرون من المغامرة والعلم، نقله إلى العربية: قدري قلعجي، قدم له، الشيخ حمد الجاسر، منشورات الفاخرية - الرياض، ودار الكتاب العربي، بيروت، بلا تاريخ.

١٥) بيستون أ. ف. ل، وريكمنز جاك، والغول محمود، ومولر والتر:

- "المعجم السبأي" (بالانجليزيه والفرنسيه والعربية) منشورات جامعة صنعاء، دار نشريات بيترز، لوفان الجديدة، مكتبة لبنان، بيروت (١٩٨٢).

١٦) ثوركلد هانس: "من كوبنهاجن إلى صنعاء"، ترجمة: محمد احمد الرعدي، (اصدارات مركز الدراسات والبحوث اليمني)، صنعاء، دار العودة، بيروت (١٩٨٣).

١٧) جريزنفتش بطرس افان:

- الحضارة اليمنية في الاستشراق، مجلة دراسات يمنية العدد، (٣٢)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء (١٩٨٨) ص(١١٦ - ١٣٣).

١٨) جينيه بول:

- "ملاحظات على آثار جنوب الجزيرة العربية، مجلة دراسات يمنية، العدد (٢٧) صنعاء ١٩٨٧، ص (١٠٩ - ١٣٨).

١٩) جواد علي:

- "المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام" جـ (١ -٣) دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد (١٩٧٦)، (١٩٧٧)، (١٩٦٩).

٢٠) حبشوس حييم يحيا: "رؤية اليمن (١٣١١ هـ = ١٨٩٣)" ترجمة وتحقيق: ساميه نعيم صغير، في كتاب رؤية اليمن بين حبشوش وهاليفي.

٢١) حوراني، جورج فضلو:

- "العرب والملاحة في المحيط الهندي"، ترجمة: يعقوب بكر، وتصدير: يحي الخشاب، مكتبة الانجلو - المصريه القاهرة، بلا تاريخ.

٢٢) خالص الأشعب:

- "اليمن، دراسة في البناء الطبيعي والاجتماعي والاقتصادي" دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، الجمهورية العراقية، بغداد، (١٩٨٢).

٢٣)- خزري، أمير خانوف:

- "الأبحاث الباليوليثيه في وادي دوعن"، نتائج أعمال البعثة اليمنية -السوفيتية لعام (١٩٨٦) المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، عدن (١٩٨٦).

- "العصر الحجري في حضرموت"، نتائج اعمال البعثة اليمنية - السوفيتية لعام (١٩٨٥)، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف (عدن) (١٩٨٥).

٢٤) ديورنت ويل:

- "قصة الحضارة"، ترجمة: محمد بدران، الجزء الأول، المجلّد الثالث، (الحضارة الرومانية)، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، (١٩٥٥).

٢٥)- روبان كريستيان:

- "آثار اليمن وتطور دراستها"، الفصل الثالث من كتاب مختارات من النقوش اليمنية، بافقيه وآخرون...

- "انتشار العرب البداة في اليمن من القرن الثاني إلى القرن العاشر الميلادي"، ترجمة: علي محمد زيد، مجلة دراسات يمنية العدد (٢٧) مركز الدراسات اليمني، صنعاء (١٩٨٧) ص (٨٣ - ١٠٧).

٢٦)- سحّاب، فيكتور:

- "إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف"، كومبيو نشر، المركز الثقافي العربي، بيروت (١٩٩٢).

٢٧) الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد:

- "اليمن في صدر الإسلام" دار الفكر، دمشق، سوريا (١٤٠٨ هـ = ١٩٨٧).

٢٨) الشيبه، عبدالله حسن:

- "إسهام العرب في قيام وتطور أكسوم"، مجلة الاكليل العدد (٤) السنه السابعه ١٩٨٩، ص (٣١ - ٣٩).

٢٩)- الصايدي، أحمد قائد:

- "المادة التاريخية في كتابات" نيبور "عن اليمن"، دار الفكر المعاصر، بيروت (١٩٩٠).

٣٠) الصلوي، إبراهيم:

- "قصة أصحاب الأخدود" الجامعة اللبنانية، بيروت (١٩٧٩)، (رسالة ماجستير لم تنشر).

٣١) عامر سليمان، وأحمد مالك الفتيان:

- "محاضرات في التاريخ القديم"، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد (١٩٧٨).

٣٢) عبدالحليم نور الدين:

- "مقدمة في الآثار اليمنيّة"، منشورات جامعة صنعاء، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥).

٣٣) عبدالعزيز صالح:

- "تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة"، مكتبة الانجلو - مصريه، القاهرة (١٩٨٨).

٣٤) العربي، خالد يحي:

- "الواقع التاريخي لسلطنة عمان"، دراسة ومشاهدات، منشورات مكتبة الدار القومية للكتاب العربي، بغداد (١٩٨٦).

٣٥) العظم، نزيه مؤيد:

- "رحلة في بلاد العربية السعيدة، من مصر إلى صنعاء ط ٢ (١٤٠٥هـ-١٩٨٥).

٣٦) "العمري، حسين عبدالله، والارياني مطهر علي، ويوسف محمد عبدالله:

- "في صفة بلاد اليمن عبر العصور، من القرن السابع قبل الميلاد حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي"، دار الفكر المعاصر، بيروت ١٩٩٥.

٣٧) غريازنيفسكي:

- "تاريخ حضرموت وحضارتها"، قضايا دراستها والبحوث الأخيرة، الفصل السادس من كتاب "الجديد حول الشرق القديم"، لمجموعة من المستشرقين السوفيِّت، ترجمة: جابر ابي جابر، دار التقدم، موسكو (١٩٨٨).

٣٨) فيليبس ويندل: "كنوز مدينة بلقيس" قصة إكتشاف مدينة سبأ الأثريّة في اليمن، تعريب عمر الديراوي، جـ ٢، دار الكلمه صنعاء، بلا تاريخ.

٣٩) لوندن. أ. ج:

- "اليمن إبّان القرن السادس الميلادي"، ترجمة: محمد علي البحر، مجلة (الاكليل)، الحلقة الأولى، العددان، (٣-٤)، (١٤٠٩- ١٩٨٨)، ص (١٠-٣٥)، الحلقة الثانية، العدد الأول، السنة السابعة (١٤٠٩- ١٩٨٩) ص (١٢٠- ١٣١)، الحلقة الثالثة، العدد الثاني السنة السابعة (١٤٠٩-١٩٨٩) ص (٢٢- ٣٣)، وزارة الأعلام، الجمهوري العربية اليمنية (صنعاء).

- الموظف والدبلوماسي السبأي، ترجمة قائد طربـوش مجلـة (الاكليـل) العـدد (٢) السنة السادسة، وزارة الاعلام صنعاء (١٩٨٨) ص (١٩ -٢٥).

٤٠) محمد، يوسف حسن، وعمر، حسين شريف، وعدنان باقر النقاش:

- "أساسيات علم الجيولوجيا"، ط ٣ - نيويورك، سنغافورة، (١٩٨٨).

٤١) نولدكه ثيودور: "أمراء غسان من آل جفنة"، ترجمة: بندلي جوزي، وقسطنطين زريق، المطبعة الكاثوليكيه بيروت (١٩٣٣).

٤٢) هاليفي جوزيف:

- "تقرير عن بعثة أثريّة إلى اليمن" ترجمة، منير عربش، مراجعة علي محمد زيد، نشر في كتـاب: رؤيـة اليمـن بيـن حبشـوش وهـاليفي، اصـدار مركـز الدراسات والبحوث، دار الفكر المعاصر، بيروت (١٩٩٢) ص١٣٩-١٨٩.

٤٣) هومل فرتز:

- "التـاريخ العـام لبـلاد العـرب الجنوبيـة"، الفصـل الثـاني مـن كتـاب "التـاريخ العربي القديم". لدتلف نيلسن وآخرون.

٤٤) ولفنسون، إسرائيل:

- "تاريخ اللغات السامية" دار القلم، بيروت، لبنان (١٩٨٠).

٤٥) يوسف، محمد عبدالله:

- "أوراق فـي تـاريخ اليمـن وآثـاره"، بحـوث ومقـالات (جـ ١، ٢) منشـورات وزارة الاعلام والثقافة، الجمهورية اليمنية، صنعاء الطبعه الأولـى، شـركة دار التنوير للطباعه والنشر بيروت (١٤٠٦هـ -١٩٨٥).
- "حمير بين الخبر الأثر"، مجلة دراسات يمنية العدد (٤٢)، مركز الدراسـات والبحوث صنعاء (١٩٩٠)، ص(٢٨- ٤٨).
- "نقش القصيدة الحميرية أوترنيمة الشمس"، (صـورة مـن الأدب الدينـي فـي اليمن القديم)، مجلة (ريـدان) العـدد الخـامس، دار الهمدانـي، عـدن (١٩٨٨) ص (٨١ -٩٩).

ثانياً: المراجع الأجنبيّة

1- ALBRIGHT, Frank. P.

أنظر:

– Bowen. R. Le Baron and F. P. ALBRIGHT Archaeological Discoveries ...

2- ALBRIGHT, William. F.

– "The Chronology of Ancient South Arabia in the Light of First Campaign of Excavation in Qatabān"dans (BASOR), 119, October 1950, pp. 5- 15.

– "The Chronology of the Minean Kings of Arabia, (BASOR), 129, (1953).

3- BAFAQIH. Muḥammed 'Abd al - Qādir .

– "L'unification du Yémen antique, la lutte entre Sabā'- Ḥimyar et le Ḥaḍramaut du I er au III eme siecle de l'ère chretiénne", Paris (1990).

– "The Site of Kadūr, in (PSAS), 12, London, 1982, pp.1-5.

4- BAFAQIH. M and Christian ROBIN

– "Inscription inedités de Yanbuq", dans Raydān, 2, 1979, p. 15-76.

5- BEESTON, Alfred F. L.

– "Epigraphic and Archaeological Geanings frome South Arabian, dans, Oriens Antiquus, Rome, 1962, pp.41- 52.

– "Katabān" dans Encyclopedie de l'islam, (nouvelle édition), Tome 4, 1978, pp. 775-778.

– "The Mercantile code of Qatbān" part of (Qaḥṭān, Studies in old South Arabian Epigraphy), Luzac, London Fascicule I of 1959, and Fascicule 2 of 1971.

– "Nemara and Faw", dans (BSOAS), 42, 1979 pp.1-6.

– "New Light on the Ḥimyaritic Calendar" in Arabian Studies, I, 1974, pp.1-6.

– "Pliny's Gebbanitae" dans (PSAS), 2, 1972,pp.4-8.

6- BOWEN, Richard Le Baron Jr.

- "Ancient Trade Routes in South Arabia" Archaeological Survey of Beiḥān and
- "Irrigation in Ancient Qatabān (Baiḫān)", dans BOWEN, R, le B., and F..P. ALBRIGHT, Archaeological Discoveries..., pp. 35- 42. 43- 131.

7- BOWEN, Richard le Baron Jr, and Frank P. ALBRIGHT.

- "Archaeological Discoveries in South Arabia" with contributions by B. SEGALL, J. TERNBACH, A. JAMME, H. COMFORT et G. W. Van BEEK, with foreword by Wendell PHILLIPS (Publications of the American Foundation for the study of Man, Vol, II), Baltimore, 1958.

8- BRETON. Jean - Francois

- "Le château Royal de Shabwa, notes d'histoire", Extrait de la Revue SYRIA, tome LXVIII, 1991, Paris 1991, pp. 209- 227.
- "Conclusion: Shabwa et les capitales sud - arabiques (I er - IV Siecle de notre ere)", Extrait de la revue SYRIA, tome LXVIII, 1991, Fascicules 1-4 Paris 1991, pp. 419- 431.
- "Rapport sur une mission Archéologique dans le wādī Ḥadramaut, en 1979" Académie des inscriptions et Belles-Lettres, Paris 1980. pp. 57- 80.
- "Le Temple de Syn - Ḏ - Ḥlsm a Bāqṯfa", Raydān vol 2, 1979. pp. 185- 202.
- "Wādī Ḍurā" Rapport de la mission française au Yémen, Aden 1985.

9- BRETON. J. F, ROBIN. ch, SEIGNE. J, AUDOUIN. R:

- "Rapport prélinaire sur la fouilles de château royale de Shabwa", (1980 - 1981), dans Raydān, vol, (4), 1981.
- "La Muraille de Nagab al - Hağar (Mayfa'a)" Extrait de la revue SYRIA, tome LXIV, 1987, Paris 1987, pp.1 - 20.

10-BRUNNER:

- "Uli Archaedogische Berichte ans dem Yemen II," S. Swiss Final Report.

11-CATON THOMPSON Gertrude .

- "Climate Irrigation and Early Mon in the (Ḥaḍramaut)" Geographical Journal 93, pp. 18 - 19,29 - 35 Januray (1939).
- "Some Palaeoliths from South Arabia" Proceedings of the Prehistoric Society, XIX, 1953, pp. 189 - 218.
- "The Tombs and Moon Temple of Ḥureiḍa (Ḥaḍramaut)" (Reports of the Research committee of the Society of Antiquaries of London, n°XIII), Oxford, (1944).

12-CLEVELAND Ray. L:

- "An Ancient South Arabian Necropolis, Objects from the Scond Campaign (1951) in the Timnaʿ Centery" (Publication of the American Foundation for the study of man, vol, IV), Baltimore, (1965).

13-Corpus Inscriptionum Semiticarum

- Pars quarts, Inscriptions Ḥimyariticas et Sabaeas Continens, t . I, II et III Parisiis, 1889 - 1932 (Inscriptions n° 1 - 985) .

14-Corpus des inscription et antiquites sud - Arabes

- Tome 1, section I: inscriptions .
- Tome 1, section 2: antiquites
- (Académie des inscriptions et Belles - Lettres) Louvain (977).

15-DE MAGRET, Alcssandro .

- "A Bronze Age for Southern Arabia" " East and west", 34, (1984).

16-DE MAGRET, A . and ROBIN, Ch .

- "Les fouilles Italénnes de Yalā, nouveles donnees sur la chronologie de L'Arabie du sud pré - islamique" (Académie des inscriptions et belles - letters), seances de l'année (1989) Avril - Juin, Paris 1989 . pp .255 - 291 .

17-DOE Brian .

- "Port of Ḥuṣn al - Qurāb or site of Qanā" Centre of Ancient Archaeologcal Bulletin n°(3), Aden, July 1964, pp .9 - 13 .
- "Southern Arabia" (New Aspects of Antiquity) London, (1971).

18-DREWES, A. J.

– "Note Additiennelles au sujet d AL - Brīra", le Muséon n°: LXXV, 1967, p . 211 - 212 .

19-FAKHRY Ahmed .

– "An Archaeological Journey to Yemen" (March - May 1947) Cairo,

part I, 1952
part II, Epigraphical Texts by G . Ryckmans, 1952
part III, plates, 1951

20-GARBINI . G .

– Antichita yemenite, (I) dans AION, 30 (NSXX) 1970, pp. 400 - 404 et pl 1 - XVIII "Antichita yemenite II"dans AION, 30 (NSXX) 1970, pp. 537 - 548 et pl. XIX - XLVI.

21-AL - GAROO Asmahān .

– "Les antiquités du Yémen dans louvres d Al - Hamadānī" (thése) Paris (1986) .

22-GERCIA . Michel, and RACHAD . M .

– "Mission de reléve d'art rupestre au Yémen (1989)"(Rapport 1987) .

23-GLASER . E .

– "Von Ḥodeida nach Ṣanʿāʾ vom 24 . April bis I . Mai 1885", dansPetermanns Mitteilungen, 32, 1886, p. 1 - 10, 33 - 48 .

24-GROOM Nigel St . J .

– "A sketch Map of South West Arabia Showing pre-islamic Archaeological sites", scale 1: 1000 000 (The Royal Geographical Society), London 1976 .

– "Frankincense and Myrrh". A study of the Arabian Incense Trade (Arab Background Series), London and New York (1981).

25-HAMILTON . B . A . B .

– "Six Week in Shabwa", dans Geographical Journal, vol (3) (1942).

26-HARDING . G . G .Lankester .

– "Archaeology in the Aden Protectrates", London, (1964).

27-INIZAN, Marie - Louis .

- "Première élements de Pré-histoir, dans le région de Shabwa, Raydān, tome (5), Aden, (1988) .

28-JAMME, Albert .

- "Une nouvelle chronologie des rois de Sabā' et de Raydān", dans Bior, XXII, 1965, pp. 3 - 7.
- "Sabaean Inscription from Mahram Bilqīs (Ma'rib) Yémen" (Publications of the American Foundation for the Study of Man, III), Baltimore, 1962, (Jamme 550 - 856).

29-LUNDIN, A . G .

- "Gosudarstvo Mukarribov Sabā'" (Sabejskij eponimat), Moskva, Akademija Nauk SSSR, Institut vostokovedenija) (1971) .

30-NIEBUHR . Carsten.

- "Beschreibung von Arabien" Aus eigenen Beobachtungen und im Lande Selbst gesammelt Nachrichten Kopenhagen, 1972, Nachdruck (1969).

31-The Periplus .

- SCHOFF . W: أنظر

32-PHILLIPS Wendell .

- "Qatabān and Sabā' En explorant les anciens royaumes d' Arabie a travers les routes bibliques des épices", traduit de l'american par Gabrielle Rives, Paris, 1956 .
- "Unknown Omān" London, 1966 .

33-Pilpy, H . st John .

- "The Background of Islam" Alexandria, 1947 .
- "The Land of Sheba"dans, Geographica Journal, vol XCII, July 1938.

34-PIRENNE Jacqueline .

- "A la découverte de l'arabie (cinq siècle de science et l'aventure)" Paris (1958).
- "Ce que trois campagnes de fouilles nous ont déjà appris sur Šabwa, capitale de Ḥaḍramaut" dans Raydān, vol I, 1978, pp. 125 - 142 .

– "Chronique d'archéologique sud-arabe,1955 - 1956" dans, Annales D'éthiopie n° II, 1957 .

– "Le cimetière royal de Awsān, l'histoir du (Wusr) dans", Raydān, vol (4), 1981, pp. 204 - 240.

– "Corpus des inscriptions et antiquités sud-arabe, tome II, (le Musée d'Aden) Louvain (1986) .

– "De la chronologie des inscription sud-arabes apris la fouilles du temple de Mar'ib (1951 - 1952)," dans Bior, XXVI, 1969 pp. 303 - 311 .

– "Deuxième mission archéologique Française au Ḥaḍramaut, Yémen du sud, de désembre 1975 a fevrièr 1976", (Académie des inscriptions et belles - lettres), Paris 1977 pp. 412 - 426 .

– "La Grece et Sabā'", une nouvelle base pour la chronologie sud-arabe, dans, mémoires présentes par drives savants a l'académie des inscriptions et Belles-Lettres, t.xv .(1955) pp.89 - 196 .

– "Paléographie des inscriptions sud-arabes contribution a la chronologie et a l'histoir de l'arabie du sud antique", Tome I, Des origines jusqu a l'époque ḥimyarite, Bruxelles, (1956) .

– "Prospéction historique dans la région du royaume de Awsān", dans Raydān vol (3), Louvain 1980, pp. 213 - 255 .

– "Le royaume sud - arabe de Qatabān et sa datation d'après l'archéologie et les sourses classiques jusqu ' au Periple de la mer Erythree", avec contribution de Andre MARICQ, Louvain, 1961.

– "La statuette d un roi de Awsān", (note d'archéologie sud-arabe II, dans SYRIA XXXVII, 1961, pp.284 - 301.

– "Les témoins écrits de la région de Shabwa et l'histoir", (fouilles de Shabwa) Tome I, Paris (1990) .

35-PIRENNE . J et ROUX . J . CI .

– "Deux tombes de Shabwa, 1975 - 1976"(Rapport).

36-PLINE / PLINY .

- "Natural History", with an english translation by H.Rackham (The Loeb Classical Library), Cambridge (Massachusetts) - London, II (Books (III - VII), 1943 (reprinted 1969) ; IV (Books XIIXVI), 1945 (reprinted 1968) .

37-RATHJENS . C . and . WISSMANN Hermann Von .

- "Vorislomische Altertumer", Hamburg (1932) .

38-RES: Réprotoire d'épigraphie Sémitique .

- Publie par la Commission du corpus inscrioptionum semiticarum (Académie des inscriptions et Belles - Lettres) tome V, 1927 (RES 2624 - 3052), tome VI, 1935 (RES 3052 - 3946), tome VII, 1950 (RES 3947 - 5106) .

39-ROBIN, Christian

- "A propos des inscriptions in situ de Barāqish, l'antique" yṯl "(Nord Yémen)", dans PSAS, 9, 1979,p. 102 - 112 .
- "L'arabie du sud antique", dans Bible et Terre Sainte, n° 177, janvièr 1979, p. 2-7 .
- "Les études sudarabiques en langue française", janvièr 1977
- juillet 1978", dans Raydān, I, 1978, p. 75 -80 .
- "Gurre et épidémie dans les royaumes d'Arabie du Sud, d'après une inscription datée (11e siècle de l'ère chrétienne Académie des inscriptions et belles - lettres, comptes rendus des seances et de l'année (1992, janvièr - mars), Paris 1992, pp. 215 - 234 .
- "Les hautes - terres du nord - Yémen avant l'Islam", vol, I: Recherches sur la géographie tribale et réligieuese de Ḫawlān Quḍā'a et du Hamdān ; vol . II: Nouvelles inscriptions, Istanbul, 1982 .
- "Du nouveau sur les Yazanides", dans Proceeding of the Seminar for Arabian Studies (PSAS) 16,London (1986), P.181...
- "Aux origines de l'etat Ḥimyarite. Ḥimyar et ḏu -Raydān", dans, Arabian Studies in Honour of Muhmoudal - Ghul, Yarmauk University, Wiesbaden, 1989 .

- "La première intérvention Abyssin en Arabie merdional (de 200 - 270 de lère chrétiénne environ)" dans proceeding of the English International Conference of Ethiophian Studies vol 2, AddisAbaba, 1989, p. 149 ...
- "Résultats épigraphiques et archéologiques de duex brefs séjours en République Arabe du Yémen", dans Semitica, XXVI, 1976, P. 167 - 187 .
- "Trois inscriptions Sabeénes découvertes près de Barāqiš", (PSAS), vol 17, 1987 .

40-ROBIN, ch, et BRON . F :

- Deux inscriptions du Haut - Yāfiʿ dans Semitica, XXIX, 1979, pp. 132 - 145 .

41-ROBIN, christian, et J.F BRETON, et, J .RYCKHMANS.

- "Le Sanctuair de NKRḤ ā Drab aṣ - Ṣabī, environ de Baraqīš", Raydān, 5, 1988.

42-ROBIN, Ch . et Jacques RYCKMANS.

- "L'attribution d un bassin a une divinité en Arabie du Sud antique", dans, Raydān, I, 1978, pp. 34 - 64.

43-RODINSON Maxime.

- "Mahomet", (3) eme édition du Seuil, Paris 1979.

44-RYCKMANS Gonzague.

- "Inscriptions sud - arabe, 8e série" dans le muséon . LXII, 1949, pp. 55 - 124.
- "Inscriptions sud - arabe 13e série" dans le Muséon, LXIX, 1956, pp. 139 - 163, et pl. I.
- "Inscriptions sud - arabe 17e série", dans Le Muséon, LXXII,1959, pp . 159 - 176 . et pl . I - III.

45-RYCKMANS Jacques .

- "Les fauilles du Ḥurayḍa (Ḥaḍramaut)", Muséon LVII, (1944), pp.163 - 175 .
- "L'institution monarchique en Arabie médionale avant l'slam"(Maʿīn et Sabā) (Bibliotheque du Muséon, 28) Louvain,(1951) .

– La persecution des chretiens Ḥimyarites au sixième siècle, Istambul, 1956.

46-AL-SCHEIBA . ʿAbdalla Ḥassan .

– "Die ortsnamen in den altsudarabischen inschriften (mit dem versuch ihrer Identifizierung und Lokalisierung),Inaugural Dissertation zur Erlangung der Doktorwurde Marburg / Lahn, (1982) .

47-SCHOFF, Wilfed . H .

– "The Periplus of the Erythraean Sea", (trans and commentary) Longman, Green, New York, (1912).

48-STRABO .

– "The Geography" trans . by H . L . Jones, Loeb Classical Library, London, 1930 .

49-VAN BEEK . G . W .

– "Hajar bin Ḥumeid . Investigation at a Pre - islamic Site in South Arabia", with contributions by A. Jamme,C . Van Beek M .Salmon, R . al - Kital, Lui - Heung Chan, E . Sayre, T. Soderstrom and W .Melson foremord by W. Phillips (Publication of the American Foundation for the study of Man, Vol V), Baltimore, (1969) .

– "Recovering the Ancient civilization of Arabia", dans the biblical Archaeologist, vol, xv, (1952).

– "South Arabian History and Archaeology" extrait par, the Bible and the Ancient neer East, ed: by, G . Ernest Wright, London (1961) pp. 229 - 248 .

50-Van BEEK, G . W . and, G . H . COLE, and JAMME . A

– "In Archaeological Reconnaissance in Ḥaḍramaut, South Arabia", a Preliminary Report. Smithsonian Inslitution Report (1963- 1964) pp. 525 - 534 .

51-WILLIAN C . BIRCE

– "Asystematic Regional Geography", volume VIII, South - West Asia, London, (1966), pp. 246 - 276 .

52-WISSMANN . H . VON

- "AL - Barīra in Ǧirdān" im Vergleich mit anderen Stadtfestungen Alt - Sud - arabiens, Le Muséon, 75, 1962, pp. 177 - 209 .
- "Ḥimyar Ancient History", Le Muséon 77, 3 - 4 . 1964, pp. 429 - 498 .
- "Southern Arabia" [Carte], Sheet 2, Royal Geographical Society, London, (1958) .

مراجع الخرائط

١- خريطة للجغرافي Groom .N

- GROOM N . St. . J : A sketch Map of South West Arabia, showing Pre - islamic Archaeological (sic) Sites, Scale 1:1.000 000, London (The royal Geographical Society), 1978 .

خريطة الجمهورية العربية اليمنية من ثماني أوراق.

- La Republique Arabic du Yemen au 1/250 000e " The Yemen Arab Republic and Neighousing Areas " produced for the Yemen Arab Republic by the Director of Military Survey, Ministry of Defence, United Kingdom 1974 .

٣- خريطة الجمهورية اليمنية من ورقة واحدة.

- La Republique arabe du Yemen au 1/500 000e " Yemen Arab Republic, 1:500 000e, by Urs GEISER and Hans STEFFEN, Dept . of Geography, University of Zurich (Supervision : prof . Dr. . H. Haefner), produced for the Swiss Technical Co-operation Service, Berne, and the Central Plannning Organisation, San'a, May 1977 .

٤- خريطة الجمهورية العربية اليمنية من ورقة واحدة.

- La Republique arabe du Yemen au 1/500 000e " Yemen Arab Republic, by the Government of the Yemen Arab Republic, by the British Government's Ministry of Overseas Development (Directorate of Overseas Surveys), 1978.

٥- خريطة الجنوب العربي من ورقتين.

- Southern Arabia 1:50 000e, from the reconnaissance of Von Wissmann, made during the Von der Meulen Von Wissmann expedition of 1931 and 1939 and Combined with the results of other expedition.

- TIBBETTS, G.R : Arabia in Early Maps, a bibliography of maps covering the Pininsula of Arabia printed in Western Europe from the invention of printing to the year 1751, England, 1978 .

- كما تم استخدم خرائط نشرت مع بعض الدراسات ، وقد قمنا بـإجراء بعض التعديلات عليها.

١- - MM. Alessendro de Maigret, and, ch . Robin :
les fouilles Italiénne ... p . 257 .

٢- - AL - GAROO . A : Les antiquités du Yémen ... pp.
(٢٧٠ - ٢٧١) ، (٢٨٨ - ٢٨٩) .

٣- - J ,PIRENNE:
- Lés temoins écrits ... p. 14 .
-Prospéction historique ..., p. 215 - 232 .

"قائمة الرموز والإصطلاحات"

- إرياني ١٣ : أحد النقوش التي نشرها وعلّق عليها مطهّر الإرياني، في كتابه "في تاريخ اليمن، نقوش مسنديّة وتعليقات..." ، وقد يختصر اسم الإرياني بـ (Ir).

- شرف الدين ٣١ : أحد النقوش الّتي نشرها أحمد شرف الدين، في الجـزء الثـالث من كتابه "تاريخ اليمن الثقافي".

- A.D.S.A : Archaeological Discoveries in South Arabia :
الإكتشافات الأثرية في الجنـوب العربـيّ، كتـاب شـمل تقـارير بعـض مـن أعضـاء البعثة الأمريكيّة لدراسة الأنسان، التي نقبت في وادي بيحـان بيـن عامي (١٩٥١-١٩٥٢م).

- BASOR : Bulletin of the American schools of oriental Research:
مجلة خاصة بالدراسات الشرقيّة.

- BSOAS: Bullelin of the school of oriental and African studies:
مجلة خاصة بالدراسات الشرقيّة والأفريقيّة.

- CIH: Corpus Inscriptionum Semiticarum, Pars quarta, Inscriptions ḥimyariticas , et sabaeas continens , Tome I , II , III , Paris, (1889- 1932) .مدّونة النقوش الساميّة. :

- Glaser : Inscriptions réceilliés par E . Glaser :
نقوش جمعت بواسطة (جلازر) ولم تنشر في مدونات النقوش المعروفة، بل نجدها في دراسات متفرقة، عنيت بالنقوش اليمنيّة.

- Hamilton: Inscription découvertes lors des Sandages éffectués par R.A.B. Hamilton a Śabwa, et publiée dans W.L. Brown and A.F.L Beeston: Sculptures..
نقوش اكتشفت من قبل (هاملتون) أثناء تنقيباته في شبوة.

- Ja: inscriptions publiées par A.Jamme:
نقوش نشرت بواسطة أ. جام.

- PSAS: Proceeding of the Seminar for Arabian Studies.

- RES: Repérotoire d'épigraphie sémitique. publié par la commission du corpus inscriptionum Semiticarum (Académie des inscriptions et Belles - Lettres) Tome V 1929, Tome VI, 1935, Tome VII, 1950, Paris:

مدوّنة النقوش الساميّة، نشرت بواسطة الأكاديميّة الفرنسيّة للنقوش والفنــون الجميلة، النقوش اليمنيّة نُشرت في ثلاثة أجزاء، الجزء الخامس صدر عـام ١٩٢٩، الجزء السادس صدر عام ١٩٣٥، الجزء الثامن صدر عام ١٩٥٠.

- Ry: Ryckmans, Gonzague.

نقوش نشرت بواسطة، جوانز ريكمنز، وقد بدأ بنشرها منذ عـام ١٩٢٧ وحتى عام ١٩٦٥، بلغت حلقاتها (٢٢) حلقة جميعها نشـرت فـي مجلـة (Le Museon).

- Trad: Tradution: ترجمة

- Philby: inscriptions copies par H.st. J. B Philby:

نقوش نسخت بواسطة (جون فلبي).

- Tome: جزء

- Vol: volume: جزء

- Raydān: (ريدان) حولية الآثار والنقوش اليمنية

فهرس الخرائط

فهرس الجداول

محتويات الكتاب

الجزء الثاني: